سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤١٧)

سبب الخلاف ومنشأ النزاع

من خلال مصنفات العقيدة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١. "هذا من الأصول الموهومة، إذ من ظن أنه أصل خامس فقد أخطأ، لأنا رددنا المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع، ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع، فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصودٍ، فُهِم من الكتاب والسنة والإجماع، وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرفات الشرع، فهي باطلة مطرحة، ومن صار إليها فقد شرع، كما أن من استحسن فقد شرع، وكل مصلحة رجعت إلى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصودا بالكتاب والسنة والإجماع، فليس خارجا من هذه الأصول، لكنه لا يسمى قياسا بل مصلحة مرسلة، إذا القياس أصل معين، وكون هذه المعاني مقصودة عرف لا بدليل واحد، بل بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة وقرائن الأحوال وتفاريق الأمارات، فسمي لذلك مصلحة مرسلة.

وإذا فسرنا المصلحة بالمحافظة على مقصود الشرع فلا وجه للخلاف في اتباعها، بل يجب القطع بكونها حجة.

وحيث ذكرنا خلافا فذلك عند تعارض مصلحتين ومقصودين، وعند ذلك يجب ترجيح الأقوى، ولذلك قطعنا بكون الإكراه مبيحا لكلمة الردة، وشرب الخمر، وأكل مال الغير، وترك الصوم، والصلاة، لأن الحذر من سفك الدم أشد من هذه الأمور، ولا يباح به الزنا والقتل لأنه مثل محذور الإكراه.

فإذن، منشأ الخلاف في مسألة التترس الترجيح – إلى أن قال-: " قلنا: عرفنا ذلك (جواز قتل الأسارى) لا بنص واحد معين، بل بتفاريق أحكام واقتران دلالات لم يبق معها شك في أن حفظ." (١)

٢. "يتبين له – أعزه الله – ما عندنا، وما نحن عليه.

ثم اعلموا وفقكم الله: إن كانت المسألة إجماعا، فلا نزاع، وإن كانت مسائل اجتهاد، فمعلومكم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد؛ فمن عمل بمذهبه في محل ولايته، لا ينكر عليه. وأنا أشهد الله وملائكته، وأشهدكم أني على دين الله ورسوله، وإني متبع لأهل العلم، غير مخالف لهم؛ والسلام.

(رسالة الشيخ ابن عبد الوهاب لأحد علماء المدينة وبيان سبب الخلاف الذي بينه وبين الناس)

وله أيضا – رحمه الله تعالى – مجاوبة لعالم من أهل المدينة.

---

(١) التأويل رسالة ماجستير ابراهيم بويداين ١٧٧/١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين؛ إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم، ثم ينتهي إلى جناب... لا زال محروس الجناب بعين الملك الوهاب؛ وبعد: الخط وصل أوصلك الله إلى رضوانه، وسر الخاطر حيث أخبر بطيبكم؛ فإن سألت عنا فالحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.

وإن سألت عن سبب الاختلاف، الذي هو بيننا وبين الناس، فما اختلفنا في شيء من شرائع الإسلام، من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات. الشيء الذي عندنا زين، هو عند الناس زين؛." (١)

٣. "يوضحه الوجه الخامس الوجه الخامس: وهو أن يقال: هذا الجاهل المركب، من استدل قبلك بهذا الحديث، على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه، يجوز له أن يشترط لنفسه شرطاً، فإن حصل له وإلا لم يفعل، فإن كان وجده في كتاب، فليبين لنا مأخذه، وما أظنه بأهل العلم من الأولين والآخرين، الذين أجمعوا على أن ذلك لا يجوز، أيظن أن إجماعهم باطل؟ وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو؟! وأما استدلاله: بأن الناس فرضوا لأبي بكر لما ولي عليهم كل يوم درهمين، فهذا من أعجب جهله، ومثل هذا مثل من يدعي حل الزنى الذي لا شبهة فيه، ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطؤون زوجاتهم، وهذا الاستدلال مثله سواء بسواء، وذلك، أن استدلاله بقصة أبي بكر يدل على شدة جهله بحال السلف الصالح؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي العمال من بيت المال، وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال، ويفرضون لعمالهم، ولا أعلم عاملاً في زمن الخلفاء الراشدين إلا يأكل من ذلك، بل الزكاة التي هي للفقراء، جعل الله فيها نصيباً للعمال الأغنياء. ولكن أبا بكر رضي الله عنه لما ولي واشتغل بالخلافة عن الحرفة، وضع رأس ماله في بيت المال، واحترف للمسلمين فيه، فأكل بسبب الخلافة، وبسبب وضع ماله في." (٢)

٤. " تسل عن الوفاق فمر بنا قد ... حكى بين الملائكة الخصاما

٥. كذا الخضر المكرم والوجيه المكلم ... إذ ألم به لماما

٦. تكدر صفو جمعهما مرارا ... وعجل صاحب السر الصراما

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية ٥٨/١

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية ٥٤١/٧

٧. ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنا على الخضر الملاما

٨. فدل على اتساع الامر فيما الكرام فيه خالفت الكراما ...

٩. وما سبب الخلاف سوى اختلاف العلوم هناك بعضا أو تماما ...

١٠. فكان من اللوازم أن يكون الاله ... مخالفا فيها الاناما

١١. فلو لم نجهل الاسرار عنها ... بلغنا مثله فيها المراما

١٢. فصار تشابه الاحكام منه ... عليه شاهدا ولنا لزاما

١٣. فلا تجهل لها قدرا وخذها ... شكورا للذي يحيي العظاما

١٤. وحاذر أن تكون لها نسيا ... وتنظر في المواقف أو تراما

١٥. فلو لم ينسها موسى عليه السلام قضى من الخضر المراما ...

١٦. ولو لم تنسها الاملاك في آدم كانوا بها اعتصموا اعتصاما ...

١٧. وإن محارة قد حار فيها الملائك والكليم ولن يسامى ...

١٨. لقاطعة القلوب حرية أن ... يكون الابتداع بها حراما

١٩. ولا تعجب بفضل الله يوما ... فان العجب يورثك السقاما

٢٠. وكن لنعال خلق الله تربا ... إذا ما شئت للنعمى دواما

٢١. الوجه الرابع

٢٢. تدبر كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ألا ترى إلى قوله تعالى إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما فعقب ذكر هذا العذاب العظيم بذكر موجبه من عزته وحكمته التي هي تأويل المتشابه وكذلك قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من ." (١)

٢٣. " وللاحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث ولأن الأنبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم وأما قصة قوم يونس فتأتي في مسألة الوعيد

٢٤. فان قيل إنما يحسن الخلف في الوعيد منا للجهل بالغيب مع نية الصدق فاما عالم الغيب فلو أخلف لم يصح ارادة الصدق عند الوعيد لعلمه بالعاقبة فلو أخلف كان كذبا قبيحا وهذا السؤال قوي إلا أن قوة التباسه بالانشاء هو الذي غرهم فالأولى ترك تجويز ذلك ولسنا نحتاج في هذه المسألة إلى

---

(١) إيثار الحق على الخلق – ابن الوزير ص/١٩٩

تجويزه لا سيما وهذا الكتاب مبني على الأسلم والأحوط فقس ذلك على هذه القاعدة ولا تعدها فمن نهج السلامة نال السلامة وكثيرا ما يلتبس التخصيص بالخلف على من بعد عن تأمل السمع فأفرق بينهما فهو واضح

٢٥. والكلام في هذه المسألة طويل وموضعه مسألة الوعد والوعيد وهو يأتي في آخر هذا المختصر إن شاء الله تعالى ومع ما قدمته من وقوع الشرط في الوعيد لا يحتاج إلى هذا ولا يمكن تقبيح العفو من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين عن أحد من الموحدين والحمد لله رب العالمين لكنه لا سبيل إلى الأمان لأنه وسيلة إلى الفساد والطغيان والله أحكم من أن يؤمن المفسدين من تبوء الجزاء في الآخرة كما لم يسمح لهم الحدود في الدنيا بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار لحفظ الأموال ومصلحة الخلق في ذلك وهو الحكيم العليم الحميد المجيد الفعال لما يريد

٢٦. وبهذا السؤال وجوابه تعلم سبب الخلاف في دوام العذاب فمن توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذي هو قوله تعالى إلا ما شاء ربك على عمومات الوعيد بالخلود ومن ذهب إلى أنه من المرجوحات الظنية المستندة إلى مجرد الاستبعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها على ما تكرر أن ما لم يتأولوه فتأويله بدعة ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور وسيأتي في موضعه الوجه في أنه أحوط الأقوال والله سبحانه أعلم ." (١)

٢٧. "احتج أصحاب أبي حنيفة على أن العاصم الدار بأن التحرز والاعتصام والامتناع إنما يكون بالحصون والقلاع وأن الكافر إذا صار في دارنا عصم دمه وماله فصار كالمال إذا كان مطروحا على الطريق لم يلزم فيه قطع وإذا حوز بحوزة كان مضمونا بالقطع واحتج الشافعي بقول النبي أمرت أن أقاتل الناس الحديث فنص على أن العصمة للنفس والمال إنما تكون بكلمة الإسلام ولو أن مسلما دخل إلى دار الحرب (٨٩ أ) فإنه معصوم الدم والمال والدار معدومة وأما قول أصحابنا إن الاسلام عاصم للنفس دون الولد والمال وقول أصحاب أبي حنيفة إن التحرز والتعصم يكون بالقلاع فكلام فأسد لأنه تعلق بالعصمة الحسية التي يكتسبها الكافر والمحارب ولا يعتبرها الشرع وإنما الكلام على ما يعتبره الشرع ألا ترى أن المحارب من المسلمين والكافر يتحصنان بالقلاع ودمهما وأموالهما مباحان أحدهما على الاطلاق والثاني يشترط أن يستمر ولا يقلع ويتمادى ويتمنع ولكن المال إنما يمنعه إحراز

(١) إيثار الحق على الخلق – ابن الوزير ص/٢٢٧

صاحبه له بكونه معه في حرز

قلت بقول الشافعي قال أشهب وسحنون وهو اختيار القاضي أبي بكر بن العربي حسبما تضمنه كلامه الآن وبقول مالك قال أبو حنيفة وأصبغ بن الفرج واختاره ابن رشد وهو المشهور عن مالك رحمه الله ومنشأ الخلاف ما مر تقريره

١٥ - رأي ابن الحاج

ليس لأحد على مال المسلم المقيم بدار الحرب أو دمه سبيل." (١)

٢٨. "وأجرى الفقيه القاضي الشهير أبو عبد الله بن الحاج وغيره من المتأخرين مال هذا المسلم المسئول عنه المقيم بدار الحرب ولم يبرح عنها بعد استيلاء الطاغية عليها على هذا الخلاف المتقدم بين علماء الأمصار في مال من أسلم وأقام بدار الحرب ثم فرق ابن الحاج بعد الإلحاق والتسوية في هذه الأحكام الملحقة بأن مال من أسلم كان مباحا قبل إسلامه بخلاف مال المسلم لأن يده لم تزل ولا تقدم له في وقت ما كفر مبيح ماله وولده يوما للمسلمين فليس لأحد عليهما من سبيل وهو راجح من القول وواضح من الاستدلال والنظر وظاهر عند التأمل لمنشأ الخلاف الذي تقدم بيانه على ما لا يخفى ويعتضد هذا الفرق بنص آخر مسئلة من سماع يحيي من كتاب الجهاد ولفظه

١٦ - رأي ابن الحاج في المسلمين المتخلفين في برشلونه الذين يشتركون مع النصارى في الإغارة على المسلمين

وسألته عمن تخلف من أهل برشلونه من المسلمين عن الارتحال عنها بعد السنة التي أجلت لهم يوم فتحت في ارتحالهم فأغار (٨٩ ب) على المسلمين تعوذا مما يخاف من القتل إن ظفر به فقال ما أراه إلا بمنزلة المحارب." (٢)

٢٩. "وصف بأنه فريد عصره ديناً وحفظاً ورواية مع اللطف والتواضع(١) والعفة قوي الثقة بالله تعالى، روى يحيى بن مندة في تاريخه عن أبيه وعمه أن أبا عبد الله قال:ما افتصدت قط، ولا شربت دواء قط، وما قبلت من أحد شيئا(٢) قط، كما كان مجانباً لأهل الأهواء والبدع، قال: طفت الشرق والغرب مرتين فلم أتقرب إلى مذبذب، ولم أسمع من المبتدعين حديثاً واحدا(٣). كان من دعاة السنة وحفاظ الأثر آمراً(٤) بالمعروف ناهياً عن المنكر. لا يجامل أحداً فيما يعتقد أنه الحق، فقد نقل الذهبي

---

(١) أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر ص/١٦

(٢) أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر ص/١٧

في سير أعلام النبلاء من طريق عبد الرحمن بن مندة، قول محمد بن عبد الله الطبراني قال: قمت يوماً في مجلس والدك رحمه الله فقلت: أيها الشيخ فينا جماعة ممن يدخل على هذا المشؤوم أعني أبا نعيم الأشعري، فقال: أخرجوهم فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً، ثم قال: على الداخل عليهم حرج أن يدخل مجلسنا أو يسمع منا أو يروى عنا فإن فعل فليس هو منا في حل.

قال الذهبي: "قلت: ربما آل الأمر بالمعروف بصاحبه إلى الغضب والحدة فيقع في الهجران المحرم، وربما أفضى إلى التكفير والسعي في الدم"، ثم قال: "وقد كان أبو عبد الله وافر الجاه والحرمة إلى الغاية ببلده، وشغب على أحمد بن عبد الله الحافظ بحيث اختفى" (٥) يعنى أبا نعيم. وسنذكر سبب الخلاف بينه وبين أبي نعيم في الفصل الرابع عند دراسة عقيدة ابن مندة.

---

(١) من أدركه الخلال من أصحاب ابن مندة... ورقة ١٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/ ورقة ٩/أ.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/١٦٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/٤٧٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ١١/٩/ب.." (١)

٣٠. "٣. وقيل : اسمه عبدالله بن يزيد ، وهو الأزهر ابن الكلبية، أو الزهري ابن الكلبية المشوه (١) .

٤. وذهب البعض إلى أن لفظ السفياني ليس اسماً لشخصٍ بعينه، وإنما هو لقب وصفة (٢) ، فهو يطلق على كل حاكم لا يحكم بماأنزل الله تعالى (٣) .

وسبب الخلاف هو اختلاف الآثار في بيان اسمه وصفته .

٢_ الأحاديث الواردة في السفياني :

كثرت الروايات في شأن السفياني ، ومع كثرتها إلا أنها لم ترد في الصحيحين ولا في كتب السنة المشهورة كمسند الإمام أحمد والسنن الأربع والموطأ والدارمي بحسب ماوقفت عليه، وإنما وردت في بعض كتب الفتن والملاحم وأكثر من جمعها:

---

(١) كتاب الإيمان للحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة ٣٣/٢١

١ــ الإمام نعيم بن حماد / في كتابه (الفتن) حيث عقد أكثر من عشرة أبواب عن السفياني.
٢ــ الإمام أبو عمرو الداني / في كتابه (السنن الواردة) حيث عقد باباً عن السفياني .
وبعد الجمع والبحث عن الروايات في السفياني تبين لي أنها على قسمين :
القسم الأول : مرويات مبهمة لم يذكر فيه السفياني بلفظه ، وإنما ذكر فيها أحداث وأمور حملت عليه لاشتراكها مع المرويات المصرحة باسمه في نفس الأحداث، كالجيش الذي يخسف به ، وبعض الروايات تذكر خروج رجل من بني أمية ولم تذكر اسمه فحملت على السفياني .
القسم الثاني : مرويات ذكر فيها السفياني باسمه ، وهذه المرويات هي المقصودة بالبحث هنا والدراسة ، وهي على ثلاثة أنواع :
الأول : مرويات رواها الصحابة ش مرفوعة إلى النبي > ، وهي من رواية خمسة من الصحابة وهم : أبو هريرة ، وعلى بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وثوبان مولى رسول الله > .

---

(١) انظر: كتاب الفتن، نعيم بن حماد ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: الإذاعة ص ١٨٦ ، والإشاعة ص ٢٠٢.

(٣) بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر ، محمود الغرباوي ، ط.الأولى (بيروت : دار الكتاب لعربي ٢٠٠٤م) ص٦٨.." (١)

٣١. "أما العرب الذين اعتنقوا النصرانية فلم يكن عندهم على الأرجح شيء أكثر من إخوانهم الوثنيين، ولهذا يقول سيدنا عليّ عن نصارى تغلب: لم يأخذوا من النصرانية إلا شرب الخمر، ولو ذهبنا إلى أبعد الاحتمالات وافترضنا أصعب الفروض وأبعدها فإننا لن نجد عند هؤلاء ما يعطونه مهما كان قدره وقيمته.

لقد كان هؤلاء لا يلوون على شيء، اللهم إلا حكايات وخرافات وأباطيل وأساطير جاء القرآن يندد بها ويعنف عليها. يقول ج/ سال:

"إذا قرأنا التاريخ الكنسي بعناية فسنرى أن العالم المسيحي قد تعرض منذ القرن الثالث لمسخ صورته، بسبب أطماع رجال الدين، والانشقاق بينهم، والخلافات على أتفه المسائل، والمشاجرات التي لا

---

(١) موقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث السفياني أنموذجا ص/٢٧٢

تنتهي، والتي كان الانقسام يتزايد بشأنها، وكان المسيحيون في تحفزهم لإرضاء شهواتهم واستخدام كل أنواع الخبث والحقد والقسوة قد انتهوا تقريباً إلى طرد المسيحية ذاتها من الوجود، بفعل جدالهم المستمر حول طريقة فهمها. وفي هذه العصور المظلمة بالذات ظهرت، بل وثبتت أغلب أنواع الخرافات والفساد، ولقد وجدت الكنيسة الشرقية نفسها بعد مجمع "نيقيه" ممزقة بسبب الخلافات بين أنصار أريوس وسابليوس ونسطور، ويوتيخيوس، ولقد رأى رجال الدين أن يمنح ضباط الجيش بعض الحماية، وبهذه الحجة كان العدل يباع علناً مما شجع كل نوع من أنواع الفساد والرشوة.." (١)

٣٢. "(والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية)

الشرح : الرؤية حق للمؤمنين يوم القيامة ، والرؤية من الصفات التي حصل فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين غيرهم من المعطلة ، فجمهور المسلمين يثبتون الرؤية ، ما عدا المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة فإنهم ينكرون الرؤية ويقولون الله سبحانه وتعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وعللوا ذلك بأن معنى الرؤية أن يقع البصر على شيء مقابل ، وأن المرئي لا بد أن يكون منحازاً في مكان ينعكس عليه البصر ، والله لو كان كذلك لكان منحازا في مكان ، وهذا يدل على تنقص في حق الله هكذا يقولون ، فنفوا الرؤية وصرفوا جميع النصوص الواردة فيها عن مدلولها إلى معانٍ تصوروها بعقولهم أو سفسطوا (١) وغالطوا ، وهم يعلمون أن تأويلاتهم باطلة .

الحاصل أن المعتزلة والجهمية وبعض الأشاعرة أنكروا الرؤية بتاتاً ، أما جمهور الأشاعرة فإنهم أثبتوا الرؤية ولكن أثبتوها بطريقة ليست بالطريقة التي أثبتها أهل السنة والجماعة ، فإنهم قالوا إن الله يرى والرؤية من صفاته ولكن يرى لا في مكان ، أرادوا أن يتخلصوا من شبهة المعتزلة والجهمية وهو أن المرئي يجب أن يكون في مكان منحاز ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : إن الأشاعرة في مسألة الرؤية هم مخنثو المعتزلة ، بمعنى أنهم لا هم معتزلة وجهمية فيطردون الباب وينكرون الرؤية ، ولا هم من أهل السنة والجماعة فيقرونها ، فسماهم مخنثي المعتزلة ، كما أن الخنثى لا هو ذكر ولا أنثى ، أما أهل السنة والجماعة وأكثر المسلمين من غيرهم فإنهم يثبتونها لله سبحانه وتعالى و أدلتهم كثيرة في القرآن وفي الحديث ، كقوله سبحانه وتعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ناظرة يعني تنظر إلى الله سبحانه وتعالى وكذلك : قوله : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فسر المحققون من المفسرين أن

---

(١) تعليقات على كشف الشبهات ص/٧٠

الزيادة هي النظر إلى الله سبحانه وتعالى (٢) ، وكذلك قوله سبحانه وتعالى (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) إلى أن قال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلما ذكر أن من عقاب الكافرين أن يحجبوا عن رؤية الله دل ذلك على أن غيرهم لا يحجب وأنه يرى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته) (٣) ، فالرؤية في حق المؤمنين لله واجبة عند أهل السنة والجماعة ولا شك في ثبوتها .

أما نفاة الرؤية فيزعمون – كما سبق – أن العقل يدل على أن كل مرئي لابد أن يكون متشكلاً بشكل ومنحازاً في مكان حتى تقع عليه أشعة البصر ، وهذا لا يحق وجوده في حق الله سبحانه وتعالى ، وأضاف نفاة الرؤية إلى الدليل العقلي هذا قوله تعالى في خطابه لموسى : (لن تراني) ، قالوا : وهذا يدل على أنه لا يرى ، والسلف أجابوا عن هذا بأن معنى : (لن تراني) أي : لن تقدر على رؤيتي في هذه الدنيا ، الله سبحانه وتعالى رؤيته ليست سهلة يسيرة يقوى عليها بصر الإنسان العادي ، فلا يمكن أن يرى إلا إذا أعطي البصر قوة خارقة زائدة عن عادة البصر في الدنيا ، فقال موسى لما قال : (رب أرني أنظر إليك) قال : (لن تراني) يعني لست في حالة تمكنك من رؤيتي لأن بصرك قاصر ، فليس معنى لن تراني أي لا أرى ، الله سبحانه وتعالى لو كانت رؤيته مستحيلة لقال لموسى إنني لا أرى ، لكنه قال لن تراني أي لن تراني في هذه الدنيا.

و من الأدلة التي قلبها أهل السنة على نفاة الرؤية أن (لن) في قوله تعالى (لن تراني) لا تعني مطلق التأبيد ، بل تعني نفي الرؤية لوقت معين ، والدليل على هذا أن الله تعالى ذكر عن الكفار أنهم (لن) يتمنوا الموت ، كما في قوله عز وجل : (ولن يتمنوه أبدا) أي الموت ، وفي الآية الأخرى بين أنهم تمنوه ، كما في قوله تعالى : (وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك) ، فاستعمالهم (لن) في الآية الأولى يعني أنهم لن يتمنوا الموت لزمن معين ، وأما الآية الثانية فتدل على أنهم سيطلبون الموت ، وأن لن في آية موسى تدل على امتناع الرؤية لوقت معين .

وكذلك قوله تعالى عن قوم موسى : (وقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) ورجوع موسى عليه السلام يقطع التأبيد .

وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف : (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) يعني إذا أذن له أبوه برح .

ورؤية الله سبحانه وتعالى في الدنيا محل خلاف بين السلف ، أهل السنة والجماعة مجمعون على أن غير الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يرى الله في الدنيا لعجز بصره عن ذلك بدليل قوله صلى الله عليه وسلم (حجابه النور لو كشفه لأحد لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (٤) يعني أن أبصار الناس في الدنيا لا تقوى على مقابلة الله ورؤيته ، لكن اختلفوا في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه في الدنيا أو لم يره ، الجمهور على أنه لم ير ربه ، وبعض السلف ومنهم الصحابة يقولون إنه رأى ربه ، و منشأ الخلاف في قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل : هل رأيت ربك قال : (نور أنَّى أراه) وفي لفظ : (نور أنّي أراه) أو قال في لفظ آخر : (رأيت نوراً) ، فقالوا قوله صلى الله عليه وسلم (نور أني أراه) يدل على أنه رآه في الدنيا (٥) .

وما ذكر عن شيخ الإسلام رحمه الله في جواز رؤية الله سبحانه وتعالى في المنام فليست من الرؤيا التي فيها الخلاف ، لأنها رؤية منام وليست حقيقة (٦) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (تعلّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت) (٧) المقصود به الموت الحقيقي وليس النوم .

أما رؤيته في الآخرة فكما سبق – السلف وأئمة الهدى والدين كلهم مجمعون على أن الله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون وأن أفضل النعيم الذي يعطيه عباده يوم القيامة هو النظر إلى وجهه الكريم (٨) .

وبالنسبة لخلاف السلف في هذه المسألة أو في غيرها يستدل به بعض الناس فيقول أنتم تنكرون على من خالفكم في العقيدة وتبدعونه ، وهذا خلاف السلف أنتم تنقلون عنهم في هذه المسألة ، نعم نحن نقول إن السلف اختلفوا فيها بناء على اختلاف لفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل منهم ينزع بلفظ ، ولم يختلفوا كاختلافكم وصرفكم النصوص عن ظواهرها ، فالذين قالوا إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه وهم القليل استدلوا بقوله : (نور أني أراه) ، أما الكثير وهم الذين قالوا : لا يرى ، استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : (نور أنّى أراه) ، واستدلوا بقول عائشة رضي الله عنها لما سألها مسروق بن الأجدع : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ قالت : (قف شعري مما قلت .! من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب) الحديث (٩) ، وقوله : (نور أنى أراه) هذا رأي استدل به قوم ، وقوم استدلوا بلفظ : (نور أني أراه) فالسلف اختلافهم على نصوص شرعية صحيحة ،لم يختلفوا كمخالفة المعتزلة والجهمية والأشاعرة الذين اعتمدوا على مقدمات عقلية كاذبة ، والذين يضربون بالنص عرض الحائط ويأتون له بمعنى من تلقاء أنفسهم ،

وفرق بين هذا وهذا .

قوله : (لأهل الجنة) احترازا من الكافرين كما في قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، وأما ما رواه البخاري (أن الله سبحانه وتعالى يأتي يوم القيامة في صورة غير صورته فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياءا وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) (١٠) فهذا الحديث ليس فيه أن المنافقين يرون ربهم .

وقيل إنهم يرونه ولكن ليس كرؤية المؤمنين ، بل رؤية غضب .

قوله : (بغير إحاطة) الإحاطة معناها الإدراك ، أن يكون الرائي يحيط بالمرئي من جميع جهاته ، يراه رؤية محيطة ، ولهذا أجاب السلف عن شبهة نفاة الرؤية حينما استدلوا بقوله تعالى : (لا تدركه الأبصار) أجابهم السلف وقالوا : إن الرؤية غير الإدراك ، فالرؤية هي مجرد رؤية المرئي ، والإدراك إحاطة البصر بالمرئي إحاطة كاملة ، فالله سبحانه وتعالى يرى لكن لا يحاط به رؤيةً ، فقوله : (بغير إحاطة) يعني أن أهل الجنة إذا رأوا الله لا يحيطون به رؤية وإنما يرونه فقط .

أنت الآن ترى السماء ، فهل تحيط بجميع السماء الآن ، والأرض أيضاً تراها هل تحيط بها رؤية ؟ هذا الفرق بين الرؤية والإحاطة .

وقوله : (ولا كيفية (١١) لا نكيفه ،كيف نراه ؟ هل نراه كذا وعلى كذا وعلى هيئة كذا ، بل نراه فقط كما أخبرنا سبحانه وتعالى ، وأخبرنا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأما كيف نراه فهذا يقال فيه كما قال مالك رحمه الله لما سئل : كيف استوى ؟ قال : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، واخرجوا عني هذا الرجل المبتدع أو لا أراه إلا مبتدعاً) (١٢) فمن سأل : كيف نراه ؟ نقول الرؤية معلومة والكيف مجهول والإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة .

فالله سبحانه وتعالى أعظم من أن يدركه أحد ويحيط به أو يحيط به علم .

---

(١) / يقول الشيخ حمود في شرح التدمرية : السفسطة كلمة يونانية مركبة من سوف سطا ، أي مموه الحكمة ، ومعناها المغالطة وإظهار الباطل مظهر الحق ، وهي إحدى طرق الاحتجاج عند أهل المنطق .

وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا ثم قال : وإن كان لفظ السفسطة قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن جحد الحقائق .

انظر التسعينية ١/ ٢٥٣ ت د محمد العجلان

(٢) / روى الترمذي (٢٥٥٢) عن النبي عليه الصلاة والسلام في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا ، قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : فيكشف الحجاب ، قال : فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم عن النظر إليه) .

وانظر صحيح البخاري بعد حديث (٤٦٧٩) ومسلم (١٨١) .

(٣) / رواه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) .

(٤) / رواه مسلم (١٧٩) وابن ماجه (١٩٥ - ١٩٦)

(٥) / ابن القيم رحمه الله جمع بين الأقوال في هذه المسألة فقال : (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرؤية له إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج ، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك ، وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة ، فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال إنه رآه عز وجل ولم يقل بعيني رأسه ولفظ أحمد لفظ ابن عباس رضي الله عنهما ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه قوله في الحديث الآخر حجابه النور فهذا النور هو والله أعلم النور المذكور في حديث أبي ذر رضي الله عنه رأيت نورا)

انظر اجتماع الجيوش الإسلامية ١٢/١ وزاد المعاد ٣ / ٣٧ ومجموع الفتاوى ٥٠٩/٦ .

(٦) / ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٣ / ٣٩٠) أن المؤمن قد يرى ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ، فإن كان إيمانه صحيحا لم يره إلا في صورة حسنة ، ثم قال : ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ..

انظر بيان تلبيس الجهمية ت القاسم ١ / ٧٣ - ٧٤ .

(٧) / رواه مسلم (٢٦٣١) والترمذي (٢٢٣٥) وابن ماجه (٤٠٧٧) .

(٨) / روى مسلم في صحيحه (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعدا ، قالوا : ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى ، قال : فيكشف الحجاب ، قال : فوالله ما أعطاهم شيئا أحب إليهم عن النظر إليه) ورواه الترمذي (٢٥٥٢) .

(٩) / رواه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧) .

(١٠) / روه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

(١١) / رؤية الله تعالى لها كيفية لكننا لا نعلمها ، أما الرؤية بلا كيفية – كما تقول الاشاعرة انه يرى من غير جهة – فغير معقول .

(١٢) / أثر مالك أخرجه اللالكائي (٦٦٤) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٠٨) والبغوي في شرح السنة ١ / ١٧ ، والذهبي في العلو وصحح إسناده ٢/ ٩٥٢ ، وجود إسناده ابن حجر في الفتح ١٣ / ٤٠٧ .." (١)

٣٣. "(ونؤمن باللوح والقلم)

الشرح : من معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ بالقلم ما هو كائن إلى يوم القيامة ، واللوح يعنون به اللوح المحفوظ ، والقلم هو الذي كتب الله به ما يكون في اللوح المحفوظ ، وهو الذي أقسم الله به ، على الراجح في قوله تعالى : (ن والقلم وما يسطرون) .

وهنا عند ذكر القلم يبحث العلماء في مسألة : أيهما خلق أولاً : القلم أم العرش ، قوم قالوا : إن العرش هو أول المخلوقات ، وقوم قالوا : إن القلم هو أول المخلوقات ، سبب الخلاف في ذلك هو الآثار التي وردت في هذا الموضوع ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : (إن أول ما خلق الله القلم فقال : له اكتب) (١) .

جاء هذا الخبر بعدة ألفاظ منها : (أولُ ما خلق الله القلم) (٢) ومنها : (إن أولَ ما خلق الله القلم) ومنها : (أولَ ما خلق الله القلم قال له : اكتب) ، فكل لفظ من هذه الألفاظ يؤدي إلى معنى .

قوم قالوا : إن العرش مخلوق قبل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء) (٣) ، والواو هنا للحال ، إذاً فالعرش كان موجوداً قبل كتابة الأشياء التي كتبها الله بالقلم ، فالذين ذهبوا إلى أن العرش كان قبل استدلوا بهذا الخبر (كان الله ولا شيء معه ..) لا قلم ولا لوح ولا غيره .

وأما الذين استدلوا بحديث عبادة فإنهم تمسكوا بقوله : (إن أولَ ما خلق الله القلم) وكذلك قوله :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية الشعيبي ص/٣٤

(أولُ ما خلق الله القلم) فقالوا هذا نص في أن أول شيء خلقه الله القلم .
ولكن أجاب الذين رجحوا أن العرش هو الذي قبل أجابوا عن حديث عبادة وغيره بأن أول ما خلق الله القلم من هذا العالم المشهود ، قالوا الدليل على هذا أن سبب هذا الحديث أن قوما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله جئنا نسألك عن أول هذا الأمر ، فقال صلى الله عليه وسلم : (إن أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب) وفي رواية : (فقال له اكتب) ، فقالوا إن في قوله : (أول ما خلق الله القلم) أو : (إن أولَ ما خلق الله القلم) أو : (أولُ ما خلق الله القلم) يعني من هذا العالم المشاهد ، لأن هذا العالم المشاهد هو الذي سئل عنه صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كان سبب جواب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا أنه أول المخلوقات مطلقاً .
وعلى كل هو خلاف ، وابن القيم أشار إلى هذا الخلاف في النونية فقال :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كُتب القضاء به من الديان (٤)
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني

وذكر أن من العلماء من اختار الأول ومنهم من اختار الثاني (٥) ، وهو اختار أن العرش خلق قبل فقال :

والحق أن العرش قبلُ لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام : (كان الله ولا شيء قبله وكان عرشه على الماء) (٦) .
أما قول الألباني :
(الاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق ، لأنهم يصرحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق وهكذا إلى ما لا أول له ، كما صرح بذلك ابن تيمية في بعض كتبه ، فإن قالوا : العرش أول مخلوق – كما هو ظاهر كلام الشارح – نقضوا قولهم بحوادث لا أول لها ، وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الاتفاق فتأمل هذا فإنه مهم ..الخ) (٧)
فالألباني ما فهم كلام ابن تيمية رحمه الله ، ابن تيمية لا يدعي أن قبل القلم ليس هناك مخلوق ، هو

أجاب عن حديث (أول ما خلق الله القلم) أن المراد به هذا العالم المشهود ، ولا يلزم أن هذا العالم المشهود هو أول المخلوقات ، هناك مخلوقات غير هذا العالم ، هناك عوالم ، فالله سبحانه وتعالى لا أول لوجوده ولا أول لأزليته ، فلا نحد موجوداته ومخلوقاته على هذا العالم الحاضر بل ما دام أنه لا بدء لأوليته فكذلك لا بدء لأفعاله سبحانه وتعالى ، لكن الحوادث ما منها شيء يكون قديماً ليس قبله شيء ، بل كل حادث فقبله حادث وهذا الحادث قبله حادث وهكذا إلى ما لا نهاية .

والذين أنكروا على شيخ الإسلام ابن تيمية ما فهموا المبدأ الذي سار عليه ، لأنهم ساووه بالفلاسفة ، قالوا : الفلاسفة يقولون العالم قديم وكلام ابن تيمية يتفق مع كلام الفلاسفة ، وهم لو فهموا من كلام ابن تيمية غرضه أو قصده ما قالوا هذا ، فهناك فرق بين كلام ابن تيمية وكلام الفلاسفة ، فالفلاسفة يقولون ما من جزء من جزئيات العالم الموجود إلا هو متولد من قديم ، فالقدم عندهم عام جميع الموجودات ، وليس هناك شيء محدث من العدم ، بل كل محدث فهو متولد من قديم وذلك القديم متولد من القديم إلى مالا نهاية ، أما شيخ الإسلام رحمه الله فيقول : المحدثات كلها حدثت من العدم ، لكن ليس هو أول مخلوق بل قبله مخلوق وذلك المخلوق مخلوق من العدم وقبله مخلوق إلى مالا نهاية ، فيكون جنس الحوادث قديما ولكن أفرادها محدثة من العدم .

هذا خلاصة رأي ابن تيمية والألباني لم يفهم كلام ابن تيمية وإلا لما ألزمه بهذا اللازم .

أما مقولة : تتابع الآنات أو تتابع الأوقات : فالعقلاء كلهم مجمعون على أن التسلسل في المؤثرين غير جائز ، إنما التسلسل في المحدثات هذا هو الذي يجوز .

فعندنا مؤثر وأثر ومحدِث ومحدَث وفاعل ومفعول ، هذا المحدث والمفعول والأثر أهل السنة والجماعة كلهم متفقون على أنه متسلسل وأنه لا يمنع العقلُ من أن يكون المحدَث مسبوقاً بمحدث والأثر مسبوقا بأثر ، والمفعول مسبوقاً بمفعول إلى مالا نهاية ، والعقل لا يمنع هذا ، إنما الذي يمانعون منه وينكرونه هو أن يكون المؤثر أو الفاعل أو المحدِث متسلسلا ، لأنه يلزم عليه الدور ولا يجوز .

يعني بعبارة أقصر التسلسل في المحدثات والمفعولات والآثار جائز والتسلسل في المؤثر أو الفاعِل أو المحدِث هذا لا يجوز .

---

(١) / رواه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) وأحمد في مسنده (٢٢٧٠٥) بسند صحيح

(٢) / رواه أحمد في مسنده (٢٢٧٠٧) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٣) بإسناد فيه مقال .

(٣) / رواه البخاري (٤٧١٨) واحمد في مسنده (١٩٨٧٦) .

(٤) / ينظر نونية ابن القيم ت عبدالله بن محمد العمير ص ٩٦ ، ورقم البيت الأول ٩٨٩ .

(٥) / انظر منهاج السنة لابن تيمية ١ / ٣٦١

(٦) / رواه البخاري (٧٤١٨) (٣١٩١) وابن خزيمة في التوحيد ص ٣٧٦ .

(٧) / انظر تعليق الألباني رحمه الله على شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٧٨ ط المكتب الإسلامي

.." (١)

٣٤. "كذلك ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ هذا مرتبط بالتّشريع، وعلم الله جل وعلا الشّامل –يعني الظاهر والباطن– هذا متّصف الله جل وعلا به؛ لكن لا يكون معه التّدرج في التشريع، فالله سبحانه وتعالى جعل العبد المؤمن يقاتل عشرة، ثم ظهر عِلمه فيهم أنهم ضعفاء فخفّف، فالتخفيف إذن مسألة شرعية لما ظهر علم الله الباطن بحالهم فهنا شرع لهم التّخفيف.

وهذا يعني أنّ الآيات هذه تدل على ظهور علم الله جل وعلا، وظهور علم الله جل وعلا فيهم مُناط بأمرين:

الأول: أن تنقطع الحجة من العبد على التكليف والحساب.

والثاني: أن تُشَرّع وتظهر الشريعة أو تُسن الأحكام.

... ما دام وقع يعني ظهر، وعلم الله موجود لكن إذا وقع ظهر؛ ظهر للعبد، ما علم الله سبحانه فإنه سيقع إذا كان مقدرا أن يقع.

س ٧/ نرجو أن تملوا علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر؟

ج/ الميمية هي أو التائية؟ تائية شيخ الإسلام القدرية هذه مشهورة ينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها؛ لأنها فيها ذكر كثير من مسائل القدر.

... هذيك في التعليل مو في القضاء والقدر؛ في ترك تعليل أفعال الله جل وعلا أو الخوض في ذلك، نأتيها إن شاء الله تعالى هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتابه إيثار الخلق على الحق دون نسبة، هي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال ومطلعها يقول فيها:

تسلّ عن الوفاق فربنا قد ... حكى بين الملائكة الخصاما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية الشعيبي ص/٦٥

كذا الخضِر المكرّم والوجيه الـ ... ـمكلّم إذ ألم به لماما

تكدَّر صفو جمعهما مرارا ... فعجّل صاحب السرّ الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنّى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوىاختلاف ال ... علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله ... مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدْرا وخُذها ... شكورًا للذي يحي الأناما(١)

(١) اللفظ المذكور في الكتاب هو (العظاما)." (١)

٣٥. " القصيدة التائية

٣٦. بنور تجلى وجهه قدسك دهشتي ... وفيك على أن لا خفا بك حيرتي

٣٧. فيا أقرب الأشياء من كل نظرة ... لأبعد شيء أنت عن كل رؤية

٣٨. ظهرت فلما أن بهرت تجليا ... بطنت بطونا كاد يقضي بردتي

٣٩. فأوقعت بين العقل والحس عندما ... خفيت خلافا لا يزول بصلحة

٤٠. إذا ما ادعى عقل وجودك منكرا ... على الحس ما ينفيه قال له اثبت

٤١. وذلك أن الحس ينفيك صورة ... يراها ويرضى العقل فيك بحجة

٤٢. فمن هاهنا منشأ الخلاف ويصعب ... الوفاق بخلف في اقتضاء الجبلة

٤٣. فان قلت لم ابصرك في كل صورة ... أراها أحالت ذاك عين بصيرتي

٤٤. وان قلت إني مبصر لك انكرت ... مقالي ولم تشهد بذلك مقلتي

٤٥. تجليت مني في حتى ظهرت لي ... خفيت خفاء دق عن كل فكرة

٤٦. على أنه لم يبق لي جبل رأى ... تجليك لي إلا ودك بصعقة

٤٧. وناجيتني في السر مني فأصبحت ... وقد طويت عما سواك طويتي

٤٨. فما في فضل عنك يخطر فيه لي ... سواك فوقتي فيك غير موقت

٤٩. وديعة روح القدس نفسك ردها ... فمن واجبات العقل رد الوديعة

٥٠. وما ردها إلا بتكميلها بما ... يليق بها من كسب كل فضيلة

(١) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ العلامة صالح آل الشيخ ٤٦٦/١

٥١. فمهما تجلت من كدورات عالم الطبيعة شفت جوهرا وتجلت

٥٢. نصحتك جهدي ان قبلت فلا تكن ... على حكم غش حاملا لنصيحة ." (١)

٥٣. "سبب الخلاف في حكم أهل المعاصي

٥٤. ذكر الشارح أن هذه المسألة مبنية على قول من يقول: إن الإيمان يتفاوت، وإن هناك إيماناً كاملاً، وهناك إيماناً ناقصاً، وإن هناك كفراً دون كفر ونحو ذلك.

٥٥. وهذه الآيات التي في سورة المائدة: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧] بعض السلف أطلق عليهم هذا الكفر والفسق والظلم؛ وذلك لأنهم عاندوا، وعرفوا أنه حكم مغاير لحكم الله، وشرعوا مع الله، وجعلوا شرعهم أحسن من شرع الله، وتنقصوا حكم الله، وادعوا أنه ليس بمناسب وليس بصالح، فلأجل ذلك حكم عليهم بالكفر والظلم والفسق.

٥٦. وآخرون قالوا: إذا فعل ذلك لهوى، ورأى أن الحكم الشرعي لا يناسب في بعض الأحيان، وأن الحكم بغيره قد يكون أنسب، فحكم بذلك متأولاً، فإنا لا نخرجه من الإسلام، بل نجعله دون هذا، فقالوا: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وهذا على طريقة من يجعل الكفر يتفاوت، ويجعله كفراً أكبر، وكفراً أصغر، وكفراً أوسط، وكذلك يجعلون الإيمان إيماناً كاملاً، وإيماناً متوسطاً، وإيماناً ناقصاً.

٥٧. ونحن نقول: نعم؛ الإيمان يتفاوت؛ ولأجل ذلك تنقصه المعاصي، وتزيده الطاعات.

٥٨. وأما الكفر فنقول: إن الكفر يبطل الأعمال كما ذكرنا أدلته، فلأجل ذلك الكافر ولو أدى أعمالاً في حياته لا تنفعه، إلا أننا إذا رأيناه يعمل الأعمال التي تختص بالإسلام عاملناه معاملة المسلم، فمن رأيناه مثلاً: يصلي، ويحافظ على الصلاة مع الجماعة؛ حكمنا بأنه مسلم؛ لأننا نحكم بالظاهر، ونكل أمر السرائر إلى الله تعالى، ولو كان في الباطن كافر فباطنه أمره إلى الله.

٥٩. لكن إذا رأيناه مع الصلاة يعبد غير الله مثلاً أو يشرك، أو يحكم بغير الشرع، ويفضل حكم غير الشرع على حكم الشرع عاملناه بما يستحقه.

---

(١) معارج القدس ص/١٨٩

٦٠. وبذلك يعرف أن باب تفاوت المؤمنين، وتفاوت الكفار يكون بحسب ما في القلوب من الإيمان أو من ضد الإيمان، وهذه مسألة لها أهميتها، يعرف الإنسان أن أهل الإيمان يتفاوتون، فإيمان قوي يحمل على كثرة الطاعات والعبادات، وإيمان ضعيف لا يزجر عن المحرمات ولا عن الآثام.." (١)

٦١. "واجب المسلم تجاه مسائل العقيدة

٦٢. ينبغي للمسلم أن يهتم بأمر دينه؛ حتى يسلك طريق النجاة، ولا شك أن مبنى دينه على أمور العقيدة، التي إذا ثبتت ورسخت انبنت عليها صحة الأعمال، وأثيب عليها، وإذا فسدت العقيدة انبنى عليها وترتب عليها فساد الفروع والأعمال.

٦٣. ولا شك أن من جملة العقيدة أسماء الإيمان والدين، وقد عرفنا جانباً كبيراً منها فيما يتعلق بالتكفير والتفسيق، وطريقة أهل السنة في ذلك، ومن خالفهم.

٦٤. وسبب الخلاف في ذلك: أنه جاءت أحاديث كثيرة فيها الحكم بالكفر على بعض الأعمال التي هي من المعاصي، وتسمى تلك النصوص نصوص الوعيد، أو أحاديث الوعيد، وطريقة أهل السنة فيها أنهم يجروها على ظاهرها؛ ليكون أبلغ في الزجر، مع اعتقادهم أنها لا تخرج من الملة، وأن مرتكب الكبيرة ولو كان متوعداً بالكفر أو نحو ذلك، فإنه لا يصل إلى أن يستباح دمه وماله، وأن يحكم عليه بالخلود في النار، بل يقال: هذا من الذنوب التي جاء فيها هذا الوعيد، وأمرها إلى الله تعالى، وكل المعاصي التي دون الشرك فإنها تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه.

٦٥. هذه طريقة أهل السنة.

٦٦. وقد مر بنا بعض أحاديث الوعيد التي فيها شيء من الغلظة والشدة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد) فإن هذا فيه نفي الإيمان، فنحن لا نقول: إنه خرج من الإيمان كلياً، ولا أنه دخل في الكفر.

٦٧. المعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

٦٨. والخوارج يقولون: يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر.

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٧/٣٩

٦٩. ونحن نقول: إنه لا يخرج من الإيمان، ولكنه تحت مشيئة الله، ونقول: إنه فاسق بهذا الذنب، ولا يصل إلى أن يستباح دمه وماله وعرضه، ولكن ذنبه غليظ.

٧٠. ومثله: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت) ومعلوم أن هاتين المعصيتين لا يكفر بهما.

٧١. ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)، ومعلوم أن قتاله لا يصل إلى حد أنه يخرج من الملة.

٧٢. ومثله: قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية) ، والأحاديث الكثيرة التي فيها: (ليس منا) كقوله: (من غشنا فليس منا) .

٧٣. وأحاديث البراءة كقوله: (من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة فإن محمداً بريء منه) وما أشبه ذلك مما فيه البراءة من هذا الفعل أو الفاعل.

٧٤. نقول: إن هذه جاءت للزجر عن هذه المعاصي، ومعلوم أنه جاءت أحاديث تدل على إخراج المسلمين الذين هم من أهل التوحيد من النار، إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة الله تعالى، فتلك الأحاديث تدل دلالة واضحة على أنه وإن عمل الكبائر ونحوها لا يصل إلى حد الكفر.

٧٥. وفي حديث أبي ذر لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه ذرة من إيمان -يعني: أن عنده أصل الإيمان- فقال أبو ذر : وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) فيدل على أنه لا يصل إلى حد الكفر بمثل هذه الذنوب.

٧٦. ومع ذلك فإنه لا يجوز التساهل بهذه الذنوب؛ وذلك لأن التساهل بها والإدمان عليها يقسي القلب، ويصد عن الطاعة وفعل الحسنات، ويجرئ على كثرة السيئات، ويضعف الخوف من الله في القلب، وقد يسبب هذا الضعف ترك الواجبات، وارتكاب المحرمات، مما قد يكون سبباً في الطعن بالشريعة والعيب لها، والاعتراض على الله تعالى في تحريم هذا الشيء، أو إيجاب هذا الشيء، وذلك كفر؛ لأنه من الاعتراض على الله تعالى، ورد لأحكامه، والطعن في شيء من الشريعة بأنه غير مناسب، أو أنه جور أو نحو ذلك؛ تقوّل على الله، واعتراض عليه؛ فلأجل ذلك ينهى عن الإصرار على الذنوب حتى ولو كانت صغائر.

٧٧. ويكثر في الأحاديث الزجر عن صغائر الذنوب وعن كبائرها، وتكثر الأدلة على الوعيد الشديد على بعض الذنوب، ويستشهد العلماء بأدلة فيها الهلاك والردى والعذاب لمن فعل هذه الذنوب، ولمن

أصر عليها، وإذا عرف المسلم ذلك لم يتهاون بها ولو كانت لا تصل إلى الكفر؛ مخافة أنها مع التساهل ومع الاستمرار عليها تقسي قلبه، وتصده عن ذكر الله وعن معرفة الله.

٧٨. والمسلم إذا تخلى عن السيئة حتى ولو صغيرة، وكرهها بقلبه، فبلا شك أنه سوف يحب الطاعات ويألفها، وتسهل عليه، ويحب الاستكثار منها، ولا شك أن الإقلاع عن السيئة والبعد عنها، وكثرة الحسنات، وكثرة الأعمال الصالحة مما يرفع الله تعالى به العبد درجات، ومما يقبل منه عبادته، ولا شك أن سبب ذلك معرفة عظم ثواب الله تعالى وأجره، حتى يكون بذلك مثابراً مكباً على الإكثار من الحسنات، وحتى يعرف عقاب الله وأليم عذابه على إصراره على الكبائر، ولو عذاب يوم أو عذاب ساعة أو نحو ذلك، فكيف بعذاب دهور متطاولة؟! كل ذلك مما يبعد الإنسان عن المعاصي، أي: معرفته بجزيل الثواب، ومعرفته بأليم العقاب.." (١)

٧٩. "ولقد أحسن أحد العلماء إذ يقول في ذلك لما ذكر قصة موسى والخضر وذكر الحكمة وما يتعلق بها أحسن إذ قال:

تسلّ عن الوفاق فربنا قد حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخضِر المكرّم والوجيه الـ ـمكلّم إذ ألم به لماما

الوجيه المكلم من؟ موسى عليه السلام.

تكدر صفو جمعهما مرارا وعجل صاحب السرّ الصراما

[ففارقه الكليم كليم قلب وقد ثنّى على الخضر الملاما]

وماسبب الخلاف سوىاختلاف الـ ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدْرا وخذها شكورًا للذي يحيي الأناما(١)

اللهم اجعلنا ممن يؤمن بقضائك وقدرك، اللهم يسر لنا الخير حيث كنا، وجنبنا الشر حيث كنا، واجعلنا ممن رضيت قوله وعمله، اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدا وأصلحذنا وأصلح بنا ووفق ولاة أمورنا بمت تحب وترضى واغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

)))))

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٣٩/٨

أعدّ هذه المادّة: سالم الجزائري

---

(١) اللفظ المذكور في الكتاب هو (العظاما)." (١)

---

(١) القضاء والقدر للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص/٢٥

٨١. "" من الأصول العظيمة التي نشأ النزاع فيها من جهة العربية اختلاف الشيعة والسنة فيما يتعلق بأبي بكر الصديق- رضي الله عنه-، ومنعه فاطمة «١» - رضي الله عنها- فدكا «٢» والعوالي «٣»، فإنها لما جاءت تطلب إرثها عن أبيها قال:

" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما تركناه صدقة «٤»، ولم يعطها شيئا فخاضت الرافضة في أبي بكر وقالوا: منع فاطمة إرثها. وقال أهل السنة: إنما عمل بما سمع، ولم يمنعها حقا. ومنشأ الخلاف بينهم من حيث أن" ما" وردت في اللغة على وجهين: اسمية وحرفية، ولكل واحد منهما خمسة أقسام ... إذا عرفت

---

(١) بنت الرسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد أولى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها علي بن أبي طالب في الثامنة عشرة من عمرها وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، وبقيت فاطمة بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جعل له النعش في الإسلام. [انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١١ - ٢٠، والإصابة ٤/ ٧٧٣، وصفة الصفوة ٢/ ٩ - ١٥، والأعلام ٥/ ١٣٢].

(٢) فدك: بلد بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وقيل ثلاث مراحل أفاءها الله على رسوله- عليه السلام- صلحا. [انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٢٠، وفتح الباري ٦/ ٢٠٣].

(٣) العوالي: بالفتح، جمع العالي: كانت ضيعة، بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: ثلاثة، وقيل ثمانية. [انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٩٧٠]. والآن أصبحت أحد أحياء المدينة النبوية.

(٤) طرف من الحديث الذي أخرجه البخاري في أول فرض الخمس، وفي المغازي، باب حديث بني النضير، وباب غزوة خيبر وفي النفقات، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله ... ، وفي الفرائض، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" لا نورث ما تركنا صدقة"، وفي الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع ... ، وأخرجه مسلم في الجهاد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، حديث: ٥٢، ٥٤، ٥٦، وأخرجه أبو داود في الخراج والإمارة ... باب في صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأموال. وأخرجه الترمذي في السير باب ما جاء في تركة النبي

صلى الله عليه وسلم والنسائي في الفيء، وأحمد في المسند في عدة مواضع منها (١/ ٤، ٦، ٩، ١٠)..." (١)

٨٢. "الاخوة العرب المسلمون الذين ذهبوا إلى تلك البقاع لطلب العلم بدءوا يعلمونهم العلم، علم الأخلاق وعلم الآداب وعلم الحضارة والثقافة وعلم الروح علم القرآن وتعاليم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وإنني بعد ما رأيت وبعد ما شاهدت رأيت التحمس لدين الله والعمل به والغيرة لحملته أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلاف هذه الأمة وشاهدت العفاف والعفة والطهارة والتقوى والمحافظة على الصلوات والخضوع والخشوع فيها التشوق والاستماع إلى الأحاديث الدينية والكلمات العلمية والمحاضرات الإسلامية وبصرت أنديتهم ومحافلهم. أيقنت أن الله سيعلى كلمته ويرفع رايته ويظهر دينه على الأديان كلها، وينشر صيت نبيه واسمه وذكره في تلك البلاد النائية عن بلاد المسلمين المترامية الأطراف بهذا الجيل الميمون المبارك وتيقنت أنهم هم الذين قال فيهم وفي أنديتهم الشاعر العربي القديم

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... مجالس قد يشفي بأحلامها الجهل

فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمرهم وحاضرت في وسائل عديدة مختلفة والكلام ذو شجون وألوان والحديث ذو جوانب وأطراف وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه وحول الفرق التي حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت وذهب بعضها بعيداً في التفرق والاختلاف كما قرب البعض منها ومن بين الفرق التي ذهبت إلى الشأو البعيد واختلفت مع الأمة اختلافاً جذرياً وفي الأصول والأساس الشيعة فكثر الكلام وكثرت." (٢)

٨٣. "أخرى مثل عقيدتهم في الله، وفي رسول الله، وأصحاب رسول الله، وأزواجه، أمهات المؤمنين، وعقيدتهم في أئمتهم، ورأي الأئمة فيهم، والأسس لهذا المذهب، والأصول التي قام عليها، وسبب الخلاف بينهم وبين السنة من المسلمين.

ونرى في ذلك المختصر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقتهم، وحقيقة معتقداتهم، وحتى للسذج من الشيعة الذين اغتروا بحب أهل البيت وولايتهم، إن أرادوا الحق والتبصر، لأن أكثرهم لا يعرفون حقيقة

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ١/ ٩٠

(٢) الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ، إحسان إلهي ظهير ص/٦

دينهم حيث أمر صناديدهم بكتمان المذهب كما هو المكذوب على جعفر الصادق أنه قال لأحد شيعته: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله (١).

وقد التزمنا في هذا الكتاب أن لا نذكر شيئاً من الشيعة إلا من كتبهم، وبعباراتهم أنفسهم، مع ذكر الكتاب، والمجلد والصفحة، والطبعة، بحول الله وقوته، وكلما ذكرنا من كتب الشيعة في هذا الكتاب، هي الكتب المستندة، المشهورة والموثوقة عندهم (٢).

---

(١) "الكافي في الأصول" للكليني وسيأتي بيانه مفصلاً في باب "الشيعة والكذب"

(٢) فأنت أيها الصافي وأنت يا صاحب كتيب "السهم المصيب في الرد على الخطيب" وأنت. . . وأنت. . . لا يغرنك أن الخطيب قد انتقل إلى رحمة الله، ومن ثم تستطيع أن تطعن فيه، وتشتمه، فإن في السنة من يدافع عن الحق الذي كتب الخطيب عنه ووا أسفا على أنه ما رأينا هذه الكتب إلا منذ قريب حين سفره لزيارة البيت العتيق، وبلدة النبي، والصديق، في العام الماضي، وإلا قد قضينا الدين في حينه، وما تأخرنا، فلا يكون في التأخير غرة ولا اغترار." (١)

٨٤. "الترمذي: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (١).

اهـ (٢)

موقفه من الخوارج:

قال: في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «سبق الفرث والدم». وبظاهر هذا التشبيه تمسك من حكم بتكفيرهم من أئمتنا. وقد توقف في تكفيرهم كثير من العلماء لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «فيتمارى في الفوق» وهذا يقضي بأنه يشك في أمرهم فيتوقف فيهم، وكأن القول الأول أظهر من الحديث. فعلى القول بتكفيرهم: يقاتلون، ويقتلون، وتسبى أموالهم. وهو قول طائفة من أهل الحديث في أموال الخوارج. وعلى قول من لا يكفرهم: لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع منهزمهم. ولا تقتل أسراهم ولا تستباح أموالهم. وكل هذا إذا خالفوا المسلمين، وشقوا عصاهم، ونصبوا راية الحرب. فأما من استتر ببدعته منهم، ولم ينصب راية الحرب؛ ولم يخرج عن الجماعة: فهل يقتل بعد الاستتابة، أو لا يقتل؟ وإنما يجتهد في رد بدعته، ورده عنها. اختلف في ذلك. وسبب الخلاف في تكفير من هذه

---

(١) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير ص/١٥

حاله: أن باب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئا. (٣)

وقال: وقوله: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان» هذا منه – صلى الله عليه وسلم – إخبار عن أمر غيب وقع على نحو ما أخبر عنه، فكان دليلا من أدلة نبوته

---

(١) أحمد (٥/ ٢٥٢؛٢٥٦) والترمذي (٥/ ٣٢٥٣/٣٥٣) وقال: "هذا حديث حسن صحيح". وابن ماجه (١/ ٤٨/١٩) والحاكم (٢/ ٤٤٧ – ٤٤٨) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ..

(٢) المفهم (٦/ ٦٩٠ – ٦٩٢).

(٣) المفهم (٣/ ١١٠ – ١١١).." (١)

٨٥. "وقال: قوله: «اعط فلانا فإنه مؤمن فقال: "أو مسلم"» دليل على صحة ما قدمناه من الفرق بين حقيقتي الإيمان والإسلام، وأن الإيمان من أعمال الباطن، وأن الإسلام من أعمال الجوارح الظاهرة، وفيه رد على غلاة المرجئة والكرامية؛ حيث حكموا بصحة الإيمان لمن نطق بالشهادتين وإن لم يعتقد بقلبه، وهو قول باطل قطعا؛ لأنه تسويغ للنفاق، وفيه حجة لمن يقول: "أنا مؤمن" بغير استثناء، وهي مسألة اختلف فيها السلف، فمنهم المجيز والمانع، وسبب الخلاف النظر إلى الحال أو إلى المآل، فمن منع خاف من حصول شك في الحال أو تزكية، ومن أجاز صرف الاستثناء إلى الاستقبال، وهو غيب في الحال، إذ لا يدري بما يختم له، والصواب: الجواز إذا أمن الشك والتزكية، فإنه تفويض إلى الله تعالى. (١)

موقف السلف من الوزير ابن العلقمي الرافضي (٦٥٦ هـ)

جاء في البداية والنهاية: ... وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة، نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة، حتى نهبت دور قرابات الوزير. فاشتد حنقه على ذلك فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع، الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد،

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٧٦/٧

(١) المفهم (١/ ٣٦٦)..'' (١)

٨٦. "قبلت المناظرة.

قال الشيخ: أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت: ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل، فإن ثبتت رؤيته للنبي – صلى الله عليه وسلم – يقظة وأخذه منه فأنت على حق وأنا على باطل، والرجوع إلى الحق حق، وإن بطل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل، فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت. فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب.

فقال: الأول: أن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – كان بسبب الخلافة، قالت الأنصار للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير. وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش (١) ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي – صلى الله عليه وسلم – فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه. فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول: الخليفة فلان، فينتهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم؟ لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو

(١) أحمد (١/ ٥٥ – ٥٦) والبخاري (١٢/ ١٧٤ – ١٧٦/ ٦٨٣٠) ومسلم (٣/ ١٣١٧/١٦٩١) وأبو داود (٤/ ٥٨٢ – ٥٨٣/ ٤٤١٨) والنسائي في الكبرى (٤/ ٢٧٣/٧١٥٦) وابن ماجه (٢/ ٨٥٣/٢٥٥٣) عن ابن عباس." (٢)

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٨٠/٧

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٤٢/٩

٨٧. "ثانيًا: الرد على من زعم رؤية النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقظة بعد موته!!

يزعم البعض أن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – حي في قبره كحياتنا، ولو كان الأمر كذلك لما انصرف الصحابة – رضي الله عنهم – عن الصلاة وراءه – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى الصلاة وراء غيره ممن لا يدانيه أبدًا في منزلته وفضله.

رؤية النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يقظة غير ممكنة والدليل على ذلك: أن أمورًا عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم، نذكر منها:

١ – أنه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

٢ – اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة – رضي الله عنهما – على ميراث أبيها – صلى الله عليه وآله وسلم – فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة» (رواه البخاري).

٣ – الخلاف الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه – رضي الله عنهم – أجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى يحقن هذه الدماء؟

٤ – الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقَن تلك الدماء.

٥ – النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جدًا منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم.

أقوال بعض أهل العلم في هذه المسألة:

١ – ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) (١٢/ ٣٨٥) «أن ابن أبي جمرة نقل عن

جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة." (١)

٨٨. "القصيدة التائية

بنور تجلي وجهه قدسك دهشتي ... وفيك على أن لا خفا بك حيرتي

فيا أقرب الأشياء من كل نظرة ... لأبعد شيء أنت عن كل رؤية

ظهرت فلما أن بهرت تجليا ... بطنت بطونا كاد يقضي بردتي

فأوقعت بين العقل والحس عندما ... خفيت خلافا لا يزول بصلحة

إذا ما ادعى عقل وجودك منكرا ... على الحس ما ينفيه قال له اثبت

وذلك أن الحس ينفيك صورة ... يراها ويرضى العقل فيك بحجة

فمن هاهنا منشأ الخلاف ويصعب ... الوفاق بخلف في اقتضاء الجبلة

فان قلت لم ابصرك في كل صورة ... أراها أحالت ذاك عين بصيرتي

وان قلت إني مبصر لك انكرت ... مقالي ولم تشهد بذلك مقلتي

تجليت مني في حتى ظهرت لي ... خفيت خفاء دق عن كل فكرة

على أنه لم يبق لي جبل رأى ... تجليك لي إلا ودك بصعقة

وناجيتني في السر مني فأصبحت ... وقد طويت عما سواك طويتي

فما في فضل عنك يخطر فيه لي ... سواك فوقتي فيك غير موقت

وديعة روح القدس نفسك ردها ... فمن واجبات العقل رد الوديعة

وما ردها إلا بتكميلها بما ... يليق بها من كسب كل فضيلة

فمهما تجلت من كدورات عالم الطبيعة شفت جوهرا وتجلت

نصحتك جهدي ان قبلت فلا تكن ... على حكم غش حاملا لنصيحة." (٢)

٨٩. "يكون سبب هلاكه من قبيل إرادة هلاكهم عقوبة لهم على عتوهم وإصرارهم. وقد تلخص أن هذا موضع الخلاف فانظر بإنصاف، ولو كان ذلك من الزيادة في الإحسان بالتعريض للأجر، لوجب أن يرغب كل عاقل إلى الله أن يجعله من أهله، فلما علمنا ضرورة من جميع العقلاء أنهم

---

(١) كشف شبهات الصوفية، شحاتة صقر ص/٤٩

(٢) معارج القدس في مدارج معرفه النفس أبو حامد الغزالي ص/١٨٩

يستعيذون بالله من ذلك، علمنا أنه من قبيل العقوبة المستحقة بعظيم الذنوب، نعوذ بالله منها.

وقد تقدم هذا المعنى مبسوطا غير أنه يختص ها هنا أنه سبب الخلاف، ولا شك أن صيانة المكلف منه لينجو من العذاب إحسان يوجب الشكر، وأن قصد الإحسان به مع العلم كالعمل بغير العلم، بل هو على خلاف المعقول بغير شك.

وقد انتهت المعتزلة هنا إلى أن الله خص بعض المكلفين بأن خلقه على بنية تقبل اللطف، ولم يزد في شهوته زيادة توقعه في المحظور، وهذا هو التيسير لليسرى، أو هو منه، وبعضهم بأن خلقه على بنية لا تقبله، وبعضهم بأن خلق له شهوة زائدة توقعه في المحظور زيادة في الابتلاء، وهو التيسير للعسرى في كتاب الله، أو هو منه، وكل ذلك لحكمة جلية أو خفية استأثر الله بعلمها. ذكر بعض ذلك السيد في آخر تفسيره المذكور، وبعضه ابن الملاحمي في " الفائق "كما تقدم.

فرجعوا بعد السفر الطويل، والتعسف الكثير في التأويل إلى ما بدأ به أهل السنة من تقرير النصوص على أن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وهو الحكيم العليم، بل إلى أبعد (١) من قول أهل السنة عن مقاصد أهل السنة، فإنهم قصدوا في الابتداء المبالغة في تمكين العبد، وإزاحة أعذاره، ثم رجعوا إلى أن الله تعالى قد بنى العصاة على بنية قاسية يمتنع قبولهم منها لجميع ألطاف الله تعالى مع أنه اللطيف لما يشاء.

---

(١) في (ش): بل بدا، وهو خطأ.." (١)

٩٠. "(تسل عن الوفاق فمر بنا قد ... حكى بين الملائكة الخصاما)

(كذا الخضر المكرم والوجيه المكلم ... إذ ألم به لماما)

(تكدر صفو جمعهما مرارا ... وعجل صاحب السر الصراما)

(ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنا على الخضر الملاما)

(فدل على اتساع الامر فيما الكرام فيه خالفت الكراما)

(وما سبب الخلاف سوى اختلاف العلوم هناك بعضا أو تماما)

(فكان من اللوازم أن يكون الاله ... مخالفا فيها الاناما)

(فلو لم نجهل الاسرار عنها ... بلغنا مثله فيها المراما)

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١١٥/٦

(فصار تشابه الاحكام منه ... عليه شاهدا ولنا لزاما)

(فلا تجهل لها قدرا وخذها ... شكورا للذي يحيي العظاما)

(وحاذر أن تكون لها نسيا ... وتنظر في المواقف أو تراما)

(فلو لم ينسها موسى عليه السلام قضى من الخضر المراما)

(ولو لم تنسها الاملاك في آدم كانوا بها اعتصموا اعتصاما)

(وإن محارة قد حار فيها الملائك والكليم ولن يسامى)

(لقاطعة القلوب حرية أن ... يكون الابتداع بها حراما)

(ولا تعجب بفضل الله يوما ... فان العجب يورثك السقاما)

(وكن لنعال خلق الله تربا ... إذا ما شئت للنعمى دواما)

الوجه الرابع

تدبر كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما﴾ فعقب ذكر هذا العذاب العظيم بذكر موجبه من عزته وحكمته التي هي تأويل المتشابه وكذلك قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾." (١)

٩١. "وللاحاديث المخصصة للعمومات المتواترة عند أهل الحديث ولأن الأنبياء والمؤمنين شفعاؤهم لا خصماؤهم وأما قصة قوم يونس فتأتي في مسألة الوعيد

فان قيل إنما يحسن الخلف في الوعيد منا للجهل بالغيب مع نية الصدق فاما عالم الغيب فلو أخلف لم يصح ارادة الصدق عند الوعيد لعلمه بالعاقبة فلو أخلف كان كذبا قبيحا وهذا السؤال قوي إلا أن قوة التباسه بالانشاء هو الذي غرهم فالأولى ترك تجويز ذلك ولسنا نحتاج في هذه المسألة إلى تجويزه لا سيما وهذا الكتاب مبني على الأسلم والأحوط فقس ذلك على هذه القاعدة ولا تعدها فمن نهج السلامة نال السلامة وكثيرا ما يلتبس التخصيص بالخلف على من بعد عن تأمل السمع فأفرق بينهما فهو واضح

والكلام في هذه المسألة طويل وموضعه مسألة الوعد والوعيد وهو يأتي في آخر هذا المختصر إن شاء

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/١٩٩

الله تعالى ومع ما قدمته من وقوع الشرط في الوعيد لا يحتاج إلى هذا ولا يمكن تقبيح العفو من أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين عن أحد من الموحدين والحمد لله رب العالمين لكنه لا سبيل إلى الأمان لأنه وسيلة إلى الفساد والطغيان والله أحكم من أن يؤمن المفسدين من تبوء الجزاء في الآخرة كما لم يسمح لهم الحدود في الدنيا بل أوجب قطع يد السارق في ربع الدينار لحفظ الأموال ومصلحة الخلق في ذلك وهو الحكيم العليم الحميد المجيد الفعال لما يريد

وبهذا السؤال وجوابه تعلم سبب الخلاف في دوام العذاب فمن توهمه من المرجوحات الضرورية في عقول العقلاء وحكمة الحكماء رجح الخصوص الذي هو قوله تعالى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ على عمومات الوعيد بالخلود ومن ذهب إلى أنه من المرجوحات الظنية المستندة إلى مجرد الاستبعاد رجح العمومات وعضدها بتقرير أكثر السلف لها على ما تكرر أن ما لم يتأولوه فتأويله بدعة ولما كان تأويلهم لذلك في حق المسلمين متواترا عنهم وأدلته متواترة عند البعض صحيحة شهيرة عند الجميع كان هو المنصور وسيأتي في موضعه الوجه في أنه أحوط الأقوال والله سبحانه أعلم." (١)

٩٢. "إنه يصبر إلى ان يقدر على الماء. أهـ. وقال المالكى في التوضيح على قول الماتن: وكذلك الحاضر الصحيح يخشى فوات الوقت على المشهور، ولا يعيد ما نصه: منشأ الخلاف هل تتناول الآية الحاضر أو هي مختصة بالمريض والمسافر، وذلك لأنه تعالى قال: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر﴾ الآية، فإن حملنا ((أو)) على بابها فيكون قوله ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء﴾ مطلقا، ولا يختص بمريض ولا مسافر، وإن جعلناهم بمعنى الواو خصت المريض والمسافر، لأن التقدير: وإن كنتم مرضى أو على سفر وجاء أحد منكم من الغائط. والمشهور أظهر لحمل ((أو)) على حقيقتها. ومقابل المشهور لمالك أنه يطلب الماء وإن خرج الوقت. والمشهور أيضا أنه لا إعادة عليه. أهـ. ملخصا.

والتيمم لصلاة الجنازة مختلف فيه عند المالكية أيضا، وكذا لو خشى فوات الجمعة فقولان. قال الشارح في توضيحه: القول بالمنع لأشهب. قال: فإن فعل لم يجزه. والقول بالجواز حكاه ابن القصار وغيره. قال ابن عطاء الله: ومنشأ الخلاف هل الجمعة فرض يومها أو بدل عن الظهر. أهـ.

وظاهر المذهب أنه لا يتيمم لها. قال ابن يونس: قال بعض المتأخرين: لو قيل يتيمم ويدرك الجمعة، ثم يتوضأ ويعيد احتياطا ما بعد. أهـ. ما في التوضيح فليتدبر، وسيأتى قريبا ما يوضحه إن شاء الله

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٢٢٧

تعالى.

[اختيار لابن تيمية في التيمم]

(قال ابن رجب: واختار أن المرأة إذا لم يمكنها من الاغتسال. إلخ) – أقول: هذا قريب مما مر. وقال الشيخ محيي الدين عليه الرحمة في الفتوحات (باب كون التيمم بدلا عن الوضوء باتفاق، ومن الكبرى بخلاف) – أتفق بالشريعة أن التيمم بدل من الطهارة الصغرى والكبرى،." (١)

٩٣. "(ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ)

قالوا لما وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد قاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته، قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة: ورأيت خطوطهم بذلك، وينبغي ذكر شيء منها هنا.

هذه صورة جواب الشيخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام بن البتي الحنبلي ومن خطه نقل قال:

"بسم الله الرحمن الرحيم، بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام، يقول أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفوه:

ما حكاه الشيخ الإمام، البارع الهمام، افتخار الأنام، جمال الإسلام، ركن الشريعة، ناصر السنة، قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، قدوة العلماء الأماثل، في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء، بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، بل أوضح من النيرين، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين، والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته، وذلك أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال" ذات وجهين: نفي، ونهي، لاحتمالها لهما، فإن لحظ معنى النفي فمعناه نفي فضيلة واستحباب شد الرحل وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة، ويتعين توجه النفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما، وإلا لزم تخلف الخبر، ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفي، وبنى على ذلك جواز القصر، وإن كان النهي ملحوظا، فالمعنى حينئذ نهيه عن إعمال المطي وشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الألوسي ١/٦٠٧

الشيء قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الأدلة، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منهيا عنه، وممن قال بحرمته الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من." (١)

٩٤. "لا أنكر أن يكون في علماء الطائفتين من تهمه نفسه، ولا يميل إلى الاتفاق لما اعتاده من التعصب الأعمى، فعلى العقلاء من كلتا الطائفتين رفض أولئك والتنبه لهم.

وليت شعري كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف.

إن الشيعة من المسلمين يرون أن من أرسى قواعد الإسلام وأقوى دعائمه موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم، وأن المنحرف عنهم، النابذ لحديثهم، المهتدي بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون أن أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم بنبذهم علمهم وحديثهم وإعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين. (١)

وإن المسلمين من أهل السنة يرون أن أرسى قواعد الإسلام وأوثق عراه موالاة أصحاب رسول الله جميعهم والعمل بكل ما حدثوا به؛ لأنهم حملة الدين وحفظة الوحي ومبلغوه إلى الأمم، فالمنحرف عنهم التارك لحديثهم غير متبع سبيل المؤمنين، ويرون أن الشيعة

---

(١) وهذه خلاصة بحث في كتب الأحاديث عند الشيعة والسنة لمعرفة عدد الروايات المروية عن طريق العترة، فعند الشيعة أول أربع كتب معتبرة هي: ((الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار)) ، ومقارنة عند أهل السنة: ((صحيحا البخاري وسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه وأحمد بن حنبل)) :

١ - مجموع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ٦٤٤ رواية فقط من أصل٤٤ألف رواية موجودة في الكتب الأربعة عند الاثنا عشرية، فتأمل!

وكتاب الكافي لوحده - بأجزائه الثمانية - يحتوى على أكثر من١٦الف رواية، وللنبي صلى الله عليه وسلم منها ٩٢ حديثا فقط!

وكلها فى اسانيدها اشكال بعتراف علمائهم، في حين أن جعفر الصادق رحمه الله يبلغ عدد رواياته في كتاب الكافي٩٢١٩.

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني الألوسي، محمود شكري ٢/٢٥٢

٢ – أما فاطمة رضي الله عنها فلا يوجد لها رواية في جميع الكتب الاربعة بتاتا، أما كتب أهل السنة فيوجد لديها ١١ رواية، وعند أحمد بن حنبل ٧ روايات.
٣ – أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرواياته في الكتب الأربعة الشيعية فتبلغ٦٩٠ رواية فقط، أما عند أهل السنة بالمصادر التي ذكرناها سابقا فعددها ١٥٨٣، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل لوحده يوجد ٨١٨ رواية، أي أنه يغطي لوحده على مجموع ما ترويه أربع كتب شيعية معتبرة مجتمعة، فتأمل!

٤ – الحسن بن علي رضي الله عنهما روى عنه الشيعة في الكتب الأربعة ٢١رواية، أما في كتب أهل السنة فعددها ٣٥ رواية، وعند أحمد بن حنبل لوحده في مسنده بلغت١٨رواية.
٥ – الحسين بن علي رضي الله عنهما روي عنه في كتبهم الأربعة مجتمعة ٧ أحاديث فقط، في حين أنها بلغت عند أهل السنة ٤٣ وفي مسند احمد بن حنبل لوحده بلغت١٨يعني أكثر من ضعفي ما لدى الكتب الشيعية الأربعة مجتمعة تقريبا، وهؤلاء صحابة من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.
ولو جئنا لبعض ذرية الحسين رضي الله عنهم في بعض كتب أهل السنة فسنجد الآتي وهو بحث أتممت نقصه دون استقراء تام وإنما بحسب ما تيسر لي:
١ – أحاديث زين العابدين في صحيح البخاري: (٢٥حديثا، وفي مسلم ١٥ حديثا، وفي سنن أبي داود ١١ حديثا، النسائي (الصغرى) ٨) .
٢ – أحاديث محمد الباقر رحمه الله: (في صحيح البخاري ١٢ حديثا، وفي مسلم ١٩، وفي الترمذي ٢٣، وفي النسائي ٥٦، وفي سنن أبي داود ١٧، وفي سنن ابن ماجه ٢٤، وفي مسند أحمد ٦٥) .
٣ – أحاديث جعفر الصادق رحمه الله: (في صحيح مسلم ١٧ حديثا، وفي سنن أبي داود ١١ حديثا، وسنن النسائي (الصغرى) ٤٣ حديثا، وفي سنن الترمذي ٢٠ حديثا، وفي سنن ابن ماجه ١٩ حديثا، وفي مسند أحمد ٣٥) .
كما أن أهل السنة لم يغفلوا ذلك الجزء العظيم من أهل البيت ممن قيل لهن ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا﴾ وهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأهل لسنة يرون عن طريق زوجات الرسول بالسند الصحيح.
كما أنهم – أعني أهل السنة – لم يغفلوا بقية آل البيت وهم آل عقيل وآل طالب وآل علي وآل العباس؛ فقد جاء في كتب أهل السنة روايات لكل من:

عقيل أخو علي بن ابي طالب، عبد الله بن محمد بن عقيل، عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، وأم هانئ بنت أبي طالب، وأم عون بنت محمد بن جعفر، وإسحاق بن عبد الله بن جعفر، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر، والعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وابنه عبد الله بن العباس المعروف بحبر الامة وترجمان القرآن، ومحمد بن الحنفيه أخو الحسن والحسين، وأبنائه كالحسن بن محمد وعبد الله بن محمد وإبراهيم بن محمد وعمر بن محمد.

وكذلك رووا عن بقية أبناء علي بن أبي طالب كعمر بن علي بن أبي طالب، وحفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وولده عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وأيضا عن بنات علي بن أبي طالب ومنهن: فاطمة بنت علي، وأم كلثوم بنت علي زوجة عمر بن الخطاب.

وأيضا روى أهل السنة عن أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهما وأبناء أبنائه، منهم: محمد بن عمرو بن الحسن، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، والحسن بن الحسن بن الحسن، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن، والحسين بن زيد بن الحسن، والحسن بن زيد بن الحسن.

وأيضا روى أهل السنة عن أبناء الحسين بن علي رضي الله عنهما وأبناء أبنائه، منهم: فاطمة بنت الحسين بن علي، وزيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن علي بن الحسين، وعمر بن علي بن الحسين، والحسين بن علي بن الحسين، وعلي بن عمر بن علي بن الحسين، إسحاق بن جعفر بن محمد، وعلي بن جعفر بن محمد.

وللعلم فإن الكثير من تلك الأسماء لا توجد لهم روايات في كتب الشيعة المعتبرة ... وهكذا تجد إن كتب أهل السنة تحتوى على الكثير من الروايات المروية عن طريق آل البيت ولا نختص فقط بـ ١٢ شخصا.

علما بأن الذين يتشدقون من الغلاة فيقولون: أهل البيت أدرى بما فيه ونحن لا نثق في الصحابة! قد فاتهم أن روايات أهل البيت المنسوبة إليهم جاءتهم من طريق الواقفة وغيرهم من أمثال زرارة وجابر الجعفي وغيرهم ممن تقدم حالهم قبل قليل، ولا ندري كيف ترد روايات أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم –، الذين هم أفضل من ألئك الرواة من كل وجه وبكل اعتبار بحجة أنهم ليسوا من أهل البيت، وتقبل – في الوقت نفسه – روايات أصحاب جعفر وهم أدنى منزلة، وليسوا من أهل البيت!." (١)

---

(١) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا محمد رشيد رضا ١٣٩/٢

٩٥. "الخروج فقلت نعم فقال لي هذا محال لأنك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلا فيه خطر فإنك لا تمشي خطوات حتى يقبض عليك وتؤخذ إلى السجن وتبقى فيه إلى ضحى الغد وحينئذ ينظر في إطلاق سراحك وقال لي أنا لا أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ فقلت إذن أرجع ورجعت وجلست في مكاني ولم تخف حالي على الشيخ فقال لي أراك منقبضا فما سبب انقباضك فقلت سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطعن في الطريقة التجانية وأنا تجاني لا يجوز لي أن اجلس في مجلس أسمع فيه الطعن في شيخي وطريقته فقال لي لا بأس عليك أنا أيضا كنت تجانيا فخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلسي انتقادا لها أو طعنا فيها وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم إلى المناظرة فإن ظهرت علي رجعت إلى الطريقة وإن ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة.

المناظرة

قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسالة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق حق وإن بطل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أو أبدأ أنا فقلت ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعلي الجواب فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن." (١)

٩٦. "* وأما الوعيدية؛ فقابلوهم، وغلبوا جانب الوعيد، وقالوا: أي كبيرة يفعلها الإنسان ولم يتب منها؛ فإنه مخلد في النار بها: إن سرق؛ فهو من أهل النار خالدا مخلدا، وإن شرب الخمر؛ فهو في النار خالدا مخلدا ... وهكذا.

---

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية محمد تقي الدين الهلالي ص/١٧

والوعيدية يشمل طائفتين: المعتزلة، والخوارج. ولهذا قال المؤلف: "من القدرية وغيرهم"؛ فيشمل المعتزلة -والمعتزلة قدرية، يرون أن الإنسان مستقل بعمله، وهم وعيدية- ويشمل الخوارج.

فاتفقت الطائفتان على أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها أبدا، وأن من شرب الخمر مرة؛ كمن عبد الصنم ألف سنة، كلهم مخلدون في النار، لكن يختلفون في الاسم؛ كما سيأتي إن شاء الله في الباب التالي.

* وأما أهل السنة والجماعة؛ فيقولون: لا نغلب جانب الوعيد كما فعل المعتزلة والخوارج، ولا جانب الوعد كما فعل المرجئة، ونقول: فاعل الكبيرة مستحق للعذاب، وإن عذب؛ لا يخلد في النار.

* وسبب الخلاف بين الوعيدية وبين المرجئة: أن كل واحد منهما نظر إلى النصوص بعين عوراء؛ ينظر من جانب واحد.

- هؤلاء نظروا نصوص الوعد، فأدخلوا الإنسان في الرجاء، وقالوا: نأخذ بها، وندع ما سواها، وحملوا نصوص الوعيد على الكفار.." (١)

٩٧. "فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمرهم وحاضرت في وسائل عديدة مختلفة والكلام ذو شجون وألوان والحديث ذو جوانب وأطراف وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه وحول الفرق التي حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت وذهب بعضها بعيدا في التفرق والاختلاف كما قرب البعض منها ومن بين الفرق التي ذهبت إلى الشأو البعيد واختلفت مع الأمة اختلافا جذريا وفي الأصول والأساس الشيعة فكثر الكلام وكثرت الأسئلة ثم الأجوبة عليها وكانت كتبي الثلاثة عن هذه النحلة في متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحاضرين في تلك المجالس ولذلك كان البحث جديا والأسئلة في صميم الموضوع . والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التي كشفت النقاب عنها وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التي طرأت عليها والفرق التي تفرعت عنها واقتناع الاخوة بما ذكرته في كتبي من عقائد القوم والاكتفاء بها والاحتياج الشديد إلى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم والتغيرات التي وقعت حتى جعلتهم يبعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة وكان ينتهي الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فوريا في ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التي انبثقت من التشيع فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا ومصمم على ما

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ٢/٧٠

أظهروا الاحتياج إليه فلم أصل إلى بلادي في السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت في هذه الموضوع مؤجلا كتابتي في الإسماعيلية مع شدة حرصي على إكمالها وإتمامها . ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولكل شيء أجل .

...فصرفت فيه جدي وجهدي ولم أعمل شيئا في هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب و التسويد والتبييض في هذا .." (١)

٩٨. "ش : هذه هي الفريضة السابعة وكان حقها التقديم كما فعل ابن الحاجب وابن عرفة وغيرهما وإنما أخرها المصنف لطول الكلام عليها والمذهب أنها فرض في الوضوء ، قال ابن رشد في المقدمات وابن حارث : اتفاقا ، وقال المازري : على الأشهر ، وقال ابن الحاجب : على الأصح ، قال في التوضيح لقوله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ إنما الأعمال بالنيات ﴾ خرجه البخاري ومسلم انتهى . قال الشيخ تقي الدين : وآخر الحديث أيضا نص في وجوبها من أوله وهو قوله : ﴿ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ﴾ واستدل أيضا بقوله تعالى ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ لأنه وجه الاستدلال وأن الله تعالى أمر بالوضوء لأجل الصلاة ، ولا معنى للنية إلا فعل أمر لأجل فعل أمر آخر ، وبقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الطهور شطر الإيمان ﴾ والشطر هنا النصف ، ولا خلاف في وجوبها في الإيمان ، وإذا وجبت في الكل وجبت في الشطر ومقابل الأشهر ، والأصح رواية الوليد بن مسلم عن مالك بعدم الوجوب حكاها ابن المنذر والمازري نصا في الوضوء قال المازري وابن بشير : ويتخرج في الغسل ، قال في التوضيح : وفي التخريج نظر ؛ لأن التعبد في الغسل أقوى انتهى . ومنشأ الخلاف أن في الطهارة شائبتين فمن حيث إن المطلوب منها النظافة تشبه ما صورته كافية في تحصيل المقصود منه كأداء الديون فلا يفتقر إلى نية ، ومن حيث ما شرط فيها من التحديد في الغسلات والمغسول والماء أشبهت التعبد فافتقرت إلى النية وقال ابن فرحون : واعترض على ابن الحاجب في قوله على الأصح ؛ لأنه يقتضي أن مقابله صحيح وهذا القول شاذ في غاية الضعف فكان ينبغي أن يقول على المشهور ، وأجيب بأنه قد يطلق الأصح على المشهور . (تنبيه) الكلام على النية طويل متشعب وقد صنف القرافي رحمه الله كتابا يتعلق بها سماه الأمنية في إدراك النية وهو كتاب حسن مشتمل على فوائد وقد أشبع الكلام عليها في الذخيرة

---

(١) الشيعة والتشيع .. فرق وتاريخ ص/٣

أيضا في باب الوضوء وجعل كتابه المذكور مشتملا على عشرة أبواب : الأول : في حقيقة النية ، الثاني : في محلها من المكلف ، الثالث : في دليل وجوبها ، الرابع : في حكمة إيجابها ، الخامس : فيما يفتقر إلى النية ، السادس : في شروطها ، السابع : في أقسام النية ، الثامن : في أقسام المنوي ، التاسع : في معنى قول الفقهاء المتطهر ينوي رفع الحدث ، العاشر : في معنى قولهم النية تقبل الرفض . وقال في الذخيرة يتعلق بها تسعة أبحاث فذكر التسعة المذكورة وتكلم على العاشر أعني الرفض في السابع أعني بيان أقسامها ، وقال ابن راشد في شرح ابن الحاجب : النظر في النية في عشرة أبحاث فذكر من العشرة التي ذكرها القرافي ثمانية وترك الثامن والتاسع وجعل بدلهما بيان محلها من الفعل وبيان كيفية تعلقها ، وزاد في العاشر بيان عزوبها أيضا ، فأما بيان محلها من الفعل فذكره القرافي في شروط النية ، وأما كيفية تعلقها فأشار إليه في بيان حكم مشروعيتها ، وأما عزوبها فذكره في أقسامها ، فتكون الأبحاث المتعلقة بالنية عشرة كما قال القرافي ونحن نتكلم عليها على سبيل الاختصار . (الأول) في حقيقتها قال النووي : هي القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله ومنه قول الجاهلية نواك الله بحفظه أي قصدك وقال القرافي في الذخيرة : هي قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله فهي من باب العزم والإرادات لا من باب العلوم والاعتقادات ، والفرق." (١)

٩٩. "وهذا ما دفعنى إلى التمسك بمقولة (تعارف الحضارات) التى يمكن فهمها وتحديدها والبرهنة عليها ، وحتى الاتفاق عليها . ويلاحظ زكى الميلاد أنه بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تنامت فى المجتمعات الغربية ظاهرة لفتت إليها الكثيرين فى داخل هذه المجتمعات ، وفى خارجها ، وهى ظاهرة تزايد واتساع الاهتمام نحو الاطلاع والتعرف والتساؤل عن الإسلام من جديد ، لدرجة أصبحت المؤلفات والكتابات فى هذا المجال هى الأكثر انتشارا وتداولا وطلبا ، وبدأت المراكز والمعاهد والجمعيات الإسلامية هناك تستقبل اتصالات لم تشهد مثيلا لها من قبل ، وتدور هذه الاتصالات حول الإسلام والقضايا الإسلامية والمجتمعات الإسلامية . ووصل الحال ببعض المعاهد والكليات والجامعات الأوروبية والأمريكية – التى وجدت من الضرورى تخصيص برامج دراسية حول الإسلام – أن تستجيب لحاجات طلابها فى تكوين المعرفة بالإسلام والثقافة الإسلامية ، ويمكن وصف هذه الظواهر بأنها تأتى فى سياق تأكيد الحاجة إلى تعارف الحضارات .

من جهة أخرى إن هذه الأحداث كشفت عن اختلالات عميقة فى طبيعة الرؤية المتشكلة حول العالم

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء ص/٨٩

عند بعض الفئات والجماعات الإسلامية التى تحاول أن تصادم العالم وتنقطع عنه وترفض الاندماج فيه ، وتعتبر أنها فى حالة حرب ومواجهة مع الذين يختلفون معها فى الدين والعقيدة . وهذه الحالة فى جوهرها تعبر عن أزمة فكرية ناشئة من عدم القدرة على تكوين المعرفة بالآخر المختلف . فحين أن الذى ينبغى إعادة النظر فيه هو أن حقيقة مشكلتنا نحن فى العالم الإسلامى هى مع تخلفنا بالدرجة الأولى وليس مع الغرب أو الحضارات الأخرى . وبالتالى فإن القضية هى كيف نتغلب على هذا التخلف ونسلك طريق التحضر ، ومتى ما قطعنا هذه الخطوات أو بعضها سوف يتغير موقعنا فى العالم ، كما سوف تتغير نظرة العالم والحضارات الأخرى إلينا. لذلك فإننا ندرك وبعمق حاجتنا لأن ننهض بمشروع يكون بمستوى التعارف مع الحضارات على قاعدة أن نكتشف لأنفسنا الطريق الذى نستقل به فى سعينا نحو التمدن والتحضر .

كان يفترض فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، أن تهيىء اللحظة التاريخية لانطلاقة فكرة أو نظرية حول تعارف الحضارات ، لكى يتحصن العالم من النزاعات والصدامات والحروب ، ولكى لا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى فى أى مكان من العالم . وهذا يتطلب صياغة رؤية جديدة للعالم يشترك الجميع بكل تنوعاتهم الدينية والثقافية ، العرقية والقومية ، اللغوية واللسانية ، فى صياغتها وبلورتها وتكاملها ، وفى التضامن حولها ، والدفاع عنها . الرؤية التى تنطلق من مراجعة شاملة ونقد جذرى لطبيعة النظام العالمى السائد بكل مكوناته وعناصره وشرائطه ، ويصل إلى جوهره وحقيقته . لأن هذا النظام العالمى يرسخ العنصرية والطبقية وبكل صورها وأنماطها ، ولا يضمن كرامة الجميع ولا يحفظ حقوق الجميع . وهذه الوضعيات هى التى تحرض على انتشار ظواهر العنف ، وتسبب النزاعات ، وتشعل الحروب ، وهى التى تجعل مثل أحداث أيلول/سبتمبر ممكنة الحدوث . والأفدح من ذلك محاولة الغرب أن يحتكر الحضارة والمدنية لنفسه ، ويرسخ فى العالم الانقسام بين أمم متحضرة وأمم متخلفة ، هذا الاختلال هو ما ينبغى أن يتغير .

وفكرة تعارف الحضارات تأتى فى سياق نقد هذا الاختلال والعمل على إنهاض وبناء وعمران الحضارات المختلفة ، لأنها – أى تعارف الحضارات – تنطلق من نزعة إنسانية عميقة هى التأكيد على وحدة الأصل الإنسانى ، والغاية من تأكيد وحدة الأصل الإنسانى فى هذه الآية هو أن ينظر الناس من أمم ومجتمعات وحضارات إلى أنفسهم كما لو أنهم أسرة واحدة ، لكنها منتشرة على مساحات هذه الأرض . وهذه النظرة الإنسانية والأخلاقية بحاجة إلى تنظيم قواعد السلوك على

المستوى الدولى . يضاف إلى ذلك أن هناك اعتقادا بدأ يتأكد بين الحضارات ، هو أن هذه الحضارات لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغى ، وتفتقد إلى جسور التواصل فى عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات التى باتت تربط العالم ، وتجعل منه أشبه ما يكون بقرية صغيرة. لهذا يمكن الاستفادة من العولمة فى تطوير وتعميم فكرة التعارف بين الحضارات، وتقليص المسافات التى تفصل بينها وإزالة جميع صور الجهل أو عدم الفهم أو غير ذلك فيما بين هذه الحضارات .

رأى المؤلف

نظن أن الاختلاف فى تحديد اسم العلاقة مع الآخر ، وهل هو (حوار) أم (تعارف) أم (تدافع) لا يهم .. المهم فى نظرنا أن يكون جوهر العلاقة مع الآخرين هو : التفاهم والتواصل والتبادل الحضارى ؛ أى تبادل المنافع والخيرات والخبرات ، كما نلاحظ أن المعانى متقاربة للغاية ، وكل منها يقره الإسلام بل يدعو إليه ..كذلك فإن التحاور هو الوسيلة إلى التعارف ، كما أن التدافع يعنى التفاعل الإيجابى، وأن يفيد كل طرف بما هو نافع وحسن لدى الآخر وينبذ الباقى .. وتبادل المنافع والثقافات والخيرات مرحلة تتبع الحوار والتعارف ثم التواصل والتآلف .. وبناء على ذلك ينبغى على علمائنا عدم التوقف كثيرا عند المسميات ، وإثارة الخلافات النظرية حولها ، بل ننصرف سريعا إلى المضمون والجوهر ، فمازلنا فى بداية الطريق ، والعبرة بالتطبيق وسرعة تحويل الأفكار والنظريات إلى واقع ملموس على الأرض .." (١)

١٠٠. "عليه السلام ونضيف أيضا أن الحكومة المصرية لا تخلو دائما من وزيرين أو ثلاثة وزراء من الأقباط ، كما يوجد عدد منهم فى مجلسى الشعب والشورى بالانتخاب وبالتعيين أيضا .. فى المقابل يلاحظ أنه لا يوجد أى وزير مسلم فى أية دولة أوروبية أو أمريكية رغم تواجد عشرات الملايين من المسلمين هناك، وكذلك المجالس التشريعية الأوروبية والكونجرس الأمريكى لا يوجد بها أعضاء يمثلون الأقليات الإسلامية هناك (!!!) .

وبعد كل هذا يزعمون أنهم دعاة الحريات والديمقراطية والمشاركة السياسية ويتطاول علينا أذنابهم بادعاء اضطهاد الأقلية عندنا !!!

حقا إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، وازعم ما شئت أيضا !!!

ونختتم بشهادة المفكر البريطانى الكبير سير توماس أرنولد الذى أكد فيها: (من الحق أن نقول أن غير

(١) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين ٢٦/٢

المسلمين قد نعموا – بوجه الإجمال – فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلا فى أوروبا) . ويضيف ان عشرات الملايين من نصارى الشرق الذين اعتنقوا الإسلام قد فعلوا ذلك طواعية وعن رغبة كاملة فى التحول إليه دون أية محاولة للإرغام أو الاضطهاد(١٢) .

كما أن تسامح المسلمين وتركهم للنصارى قابضين على الدواوين وإدارات الدولة الإسلامية جعل المستشرق الألمانى آدم متز يقول : (لقد كان النصارى هم الذين يحكمون الدولة الإسلامية)(١٣) ، فأى تسامح وتواد مع الآخر أكثر من ذلك ؟! كل هذا يدفعنا إلى أن نردد مع المفكر والعبقرى الألمانى يوهان جوته مقولته الشهيرة فى ديوانه (الشرق والغرب) : إذا كان الإسلام هو القنوت ، فعليه نحيا ونموت ..

المراجع

(٦) تاريخ مصر – يوحنا النيقوسى ص ٥٢٩ – ٥٣٤ ترجمة وتعليق د . عمر صابر عبد الجليل القاهرة ٢٠٠٠م – تاريخ مصر فى العصر البيزنطى ص ٤٠-٤٩ ، وص ١٦٧-١٦٨ طبعة القاهرة ٢٠٠٠ .

(٧) مجموع الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ص ١٧ – ٢١ جمع وتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيد آبادى – طبعة القاهرة ١٩٥٦م

(٨) المصدر السابق ص ٢٠ .

(٩) الشيخ محمد عبده – الأعمال الكاملة جـ٣ صـ٣١٢ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة – طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

(١٠) مجموع الوثائق السياسية للعهد النبوى – مشار إليه من قبل – ص ١١٢- ١٢٣ – ١٢٧

(١١) البلاذرى – فتوح البلدان صـ٣٢٧ – تحقيق د . صلاح الدين المنجد – طبعة القاهرة ١٩٥٦م .

(١٢) هم أتباع (مانى) ويسمون (المانوية) وهو مذهب مجوسى .

(١٣) سير توماس أرنولد – الدعوة إلى الإسلام – ترجمة د . حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوى – طبعةالقاهرة ١٩٧٠م .

(١٤) الدكتور محمد عمارة – الإسلام والأقليات – الماضى والحاضر والمستقبل – طبعة مكتبة الشروق الدولية سنة ٢٠٠٣م .

(١٥) الدكتور عصام أحمد البشير – معالم حول أوضاع غير المسلمين فى الدولة الإسلامية – بحث مقدم لمؤتمر الإسلام والغرب فى عالم متغير – الخرطوم – ٢٠٠٣م .

(١٦) الملل والنحل والأعراق ص ٥٢٩ .

(١٧) سير توماس أرنولد – الدعوة إلى الإسلام – سبقت الإشارة إليه .

(١٨) آدم متز – الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى – ترجمة د . محمد عبد الهادى أبو ريدة – طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م .

الفصل السادس

المسلمون فى دار العهد

يبلغ عدد المسلمين فى أوروبا أكثر من خمسين مليونا(١) من بينهم أعداد كبيرة من العرب والمسلمين المهاجرين من بلدان لأسباب اقتصادية غالبا – بحثا عن فرص عمل – ولأسباب سياسية أحيانا، فضلا عن ملايين من الأوروبين الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع وفهم بعد دراسة عميقة .. وهناك توقعات بأن ترتفع أعداد المسلمين فى أوروبا، وتتناقص أعداد غير المسلمين – بسبب قلة عدد المواليد هناك عن عدد المتوفين سنويا – إلى أن يصبح المسلمون هم أغلب سكان أوروبا خلال أقل من عشرين عاما (ولهذا يمكن فهم أحد أهم أسباب الحملة المسعورة الآن على الإسلام والمسلمين فى وسائل الإعلام الغربى) بل إن صمويل هنتنجتون نفسه يتوقع – كما سبق – أن يبلغ المسلمون أكثر من ٣٠٪ من سكان العالم قبل حلول عام ٢٠٢٥م .. ويبلغ عدد مسلمى أمريكا الشمالية أكثر من عشرة ملايين نسمة طبقا للتقديرات شبه الرسمية، لكن العدد الحقيقى أكبر من ذلك، لأنه لاتوجد جهة رسمية تسجل أعداد من يعتنقون الإسلام وهم بالآلاف يوميا، كما أنه لا تسجل الديانة فى وثائق تحديد الهوية، وبالتالى لا يمكن تحديد أعداد أتباع كل ديانة بدقة ..

أما الأقلية الإسلامية فى الهند فهى أكبر عددا من معظم الدول الإسلامية – كل على حدة – إذ يبلغ تعداد مسلمى الهند أكثر من مائتى مليون نسمة .. ويؤكد كثير من المسلمين الهنود أن عددهم الحقيقى أكبر من ذلك ، وأن السلطات الهندوسية هى التى تتعمد تقليل العدد المعلن لأسباب سياسية (بسبب النزاع الطائفى بين الهندوس والمسلمين من جهة ،والنزاع بين الهند وباكستان من جهة أخرى) .

ويبلغ عدد مسلمى الصين أكثر من ٢٥ مليون شخص ، ويقترب عدد المسلمين الروس من هذا الرقم(٢) . وهكذا نرى بوضوح أن كل دول العالم غير الإسلامى يحتضن جاليات إسلامية كبيرة وذات

حضور واضح هناك لا يمكن تجاهله أو تهميشه مهما اشتدت محاولات الاحتواء أو الإضعاف أو القمع أحيانا .. وهنا يثور التساؤل : هل يعتبر المسلمون هناك فى دار حرب كما يقول الفقهاء القدامى طبقا للتقسيم الشهير للعالم إلى دار إسلام ودار حرب ؟

أما دار الإسلام فهى البلاد التى تسودها أحكام الإسلام وشعائره ويأمن فيها المسلمون والذميون أيضا .." (١)

١٠١. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسالة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق حق وإن بطل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أو أبدأ أنا فقلت ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعلي الجواب فقال :

الأول : إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له :." (٢)

١٠٢. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسالة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على

---

(١) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين ٣٧/٢

(٢) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية – الهلالي ص/١٧

باطل والرجوع إلى الحق حق وإن بطل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أو أبدأ أنا فقلت ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعلي الجواب فقال :

الأول : إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له :." (١)

١٠٣. "وما كان يبعث ويساعد على المطلوب شرعا فهو مطلوب، لذا قال تعالى مخبرا أنه هو وملائكته يصلون على النبي: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب ٥٦].

الجواب:

قد يحتوي المولد على ما هو مرغب فيه كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسماع بعض الفوائد العلمية وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم، وهذه كلها مرغب فيها بلا شك، ولهذا ليس الإشكال هنا بل في نقطة أخرى وهي تخصيص أسلوب ووقت وهيئة مخصوصة بحيث يصبح الذكر والصلاة على النبي مع غيرها بمثابة عمل واحد له صفته المخصوصة التي يتقرب بها على جهة التعبد، وهذا هو ما أخرج المولد من المشروعية إلى البدعية.

الفرع الثالث

سبب الخلاف والترجيح

أولا: سبب الخلاف:

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية--للعلامة تقي الدين الهلالي المغربي ص/١٧

من خلال ذكر أدلة الفريقين يظهر أن الخلاف في مسألة المولد تنبع من سببين:
الأول: هل الاحتفال بالمولد يسلك به مسلك العبادات أو العادات.
فالعبادات الأصل فيها التوقف والاتباع، بخلاف العادات .
فالمحرمون رأوا أن المولد من باب التعبدات والتي لا يجوز الزيادة فيها وأننا متعبدون بما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم، في حين نظر المجوزون إلى أنه من باب العادات التي لا تحتاج إلى توقيف، فمثلها مثل الدروس التي تقام في المسجد هل نقول إذا كانت ثابتة في ومن معين بأنه بدعة وأنه يجب أن تكون كما كان يفعل رسول الله، فالتعليم وجد مقتضاه في عهد النبي صلى اله عليه وسلم بل هو معلم العالمين ومع هذا فلم يكن يقيم دروسا ثابتة فهل يكون من البدعة أن نفعل نحن كذلك بالطبع لا، وكذلك حال المولد.
قد يجاب عن هذا بأن النبي(كان يعلم أصحابه وأن التدريس الآن ما هو إلا ترتيب وتنظيم ولكن سيقال بأن هذا الكلام مثله مثل قولنا : له أصل، وهذا مما عبتموه علينا فكيف تقولون به الآن، كما أننا نفعل ذلك إذ المولد ليس إلا ترتيب وتنظيم.
الثاني: ." (١)

١٠٤. "ومن رواياتهم في هذا الباب: عن أبي عبد الله قال: «ما جاء به علي عليه السلام آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمد صلى الله عليه وآله الفضل على جميع من خلق الله عز وجل، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله»«(١)»
ويقول الخميني: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلا خاصا، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها».«(٢)»
وأشير هنا إلى أنه لا خلاف بين المسلمين في كفر من اعتقد هذا الاعتقاد، ونسب التشريع الديني إلى غير المشرع سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »، وقال: « ألا له الخلق والأمر» فأثبت لنفسه الأمر والتشريع، كما أثبت لنفسه الخلق والتدبير، وقال « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر»، ولم يأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأئمة الذين تزعم الشيعة أن الأحكام الشرعية تؤخذ منهم، وتستقى من نمير ماءهم.

---

(١) المولد النبوي بين المشروعية والبدعية ص/١٦

واعلم أن هذا هو أساس الافتراق بين السنة والشيعة، فالمشرع عندنا واحد، والمشرعون عندهم ثلاثة عشر، وخروجهم عن هذا الإجماع الذي أجمع عليه المسلمون من أن المشرع هو الله ورسوله لا غيرهما، جعلهم يختلفون مع سائر المسلمين في كثير من الأحكام والفروع الفقهية، فهذا منشأ الخلاف، ومن هنا يعالج، وليس الحل بأن نلجأ إلى حل الخلافات الفرعية، ما دام الأصل مختلفا فيه، والمنبع متنازعا عليه.

---

(١) « » الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ١٩٦

(٢) « » الحكومة الإسلامية ص ١١٣." (١)

١٠٥. "وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي . ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط . ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي : أين تذهب، أنت غريب في هذا البلد وهذا المكان معد للضيوف لا نحتاج إليه فامكث، وبت هنا؛ وقبلت دعوته، وبعد أن صلينا المغرب جاء أصحابه، أذكر منهم الشيخ عبدالسلام الصرغيني، والشيخ المهدي العلوي، وهو لا يزال في قيد الحياة؛ أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب الشطرنج وهو يراهم ولا ينكر عليهم فقلت في نفسي هذا دليل على أنه من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فهو جدير أن ينكر على أولياء الله ما خصهم الله به من كرامة . ثم تركوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريق الكتانية ويستهزئون بها ويسخرون من أهلها وكل منهم يحكي حكاية . فقال الشيخ عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم؛ جاءني شاب كان متمسكا بالطريقة الكتانية تمسكا عظيما فقال لي : أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة، فقلت له : وما الذي دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطا بها . فقال لي : إنه أمس شرب الخمر وزنا وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه، فهم أن يدخل الزاوية، ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شيئا من الصلوات في ذلك النهار، إلا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ محمد بن عبدالكبير في صدر الحلقة، والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص، وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه وقال (رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية ص/١٥

قبلك فاقتديت به) ! قال ولما دعاني خفت خوفا شديدا وظننت أنه انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي فلما قال لي أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو إليه وإلا كيف يرضى عني النبي . صلى الله عليه وسلم . ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم . قال : فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلى الله من الطرائق كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة .

ولما رأيتهم أنا يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها أصابني خوف شديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت لنفسي هذا الذي كنت أخافه وقد وقعت فيه فكيف الخلاص ؟

وذكرت قول التجاني ابن بابا في منيته :

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك ** وضل في مهامة وفي حلك

وشدد النهى لنا الرسول ** في ذاك فلتعمل بما أقول

والشيخ قال هو سم يسري ** يحل من فعله في خسر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال قال لي سيد الوجود . صلى الله عليه وسلم . يقظة لا مناما قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فإن ذلك يؤذيني فصممت على أن أخرج من ذلك المجلس . فقمت فقال لي الشيخ إلى أين ؟ فقلت : إلى بيت الخلاء، كذبت عليه، فلما وصلت إلى الباب منعني البواب من الخروج، وقال لي : وهل أذن لك الشيخ في الخروج، فقلت : نعم، فقال لي : هذا محال لأنك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلا فيه خطر، فإنك لا تمشي خطوات حتى يقبضوا عليك وتؤخذ إلى السجن، وتبقى فيه إلى ضحى الغد وحينئذ ينظر في إطلاق سراحك . وقال لي : أنا لا أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ، فقلت له : إذا أرجع . ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخفى حالي عن الشيخ فقال لي أراك منقبضا؛ فما سبب انقباضك ؟ فقلت سببه أنكم انتقلت من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه طعن في شيخي وطريقته . فقال لي : لا بأس عليك، أنا أيضا كنت تجانيا وخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلس انتقادا لها أو طعنا فيها . وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم إلى المناظرة، فإن ظهرت علي رجعت إلى الطريقة، وإن ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا . فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة .

مناظرة حول ادعاء الشيخ التجاني في أنه رأى النبي في اليقظة :

قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي ؟ قال : ادعاء التجاني أنه رأى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقظة لا مناما، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق . ثم قال : تبدأ أنت أو أبدأ أنا ؟ فقلت : ابدأ أنت، فقال : عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني . قلت : هات ما عندك وعلي الجواب، فقال :

الأول : إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون : إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش . ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينهي النزاع ؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له :." (١)

١٠٦. "و الشاهد الرابع هو إن ما حدث بين الطرفين في فتنة ابن القشيري من سباب ،و اتهامات ،و خصومات ،و اقتتال ، و تشنيعات و تحريضات من الأشاعرة للوزير نظام الملك لقمع الحنبلية و قطع دابرها ، هو دليل قاطع على إن القوم ما كانوا متفقين متحابين متعاونين ، و إنما كان كل طرف يتربص بالآخر الدوائر ، يتحين الفرص للانقضاض عليه ، و هو الأمر الذي حدث بالفعل في فتنة ابن القشيري ، فكان ذلك تعبيرا عمليا ، و دليلا صارخا على الأزمة العقيدية التي كان يعاني منها المذهب السني في القرن الخامس الهجري .

الحادثة الخامسة: تجدد الفتنة بين الحنابلة و الأشاعرة ببغداد سنة ٤٧٠ هـ :

---

(١) الفكر الصوفي (في ضوء الكتاب والسنة) ص/١٥٤

بعد أيام من ورود رد نظام الملك على رسالة الأشاعرة الذي خيب آمالهم فيه ، نشبت فتنة بين الحنابلة و فقهاء المدرسة النظامية ببغداد ، لأن فقيها أشعريا كفر الحنابلة ، فتصدوا له و رموه بالآجر ، فهرب و لجأ إلى أحد أسواق بغداد و استغاث بأهله ، فأغاثوه و اندلع قتال بين الطرفين ، و عم النهب و كثرت الجراح ، و لم تتوقف المواجهات إلا بتدخل الجند ، و قتل فيها نحو عشرين شخصا من الطرفين ، و جرح آخرون ، ثم نقل المقتولون إلى دار الخلافة ، فرآهم القضاة و الشهود ، و كتبوا محضرا ضمنوه ما جرى ،و أرسلوه إلي الوزير نظام الملك بخراسان ، و هدأت الأوضاع ببغداد(١) .

و هذه الفتنة هي امتداد لفتنة ابن القشيري ، و قد قتل فيهما نحو أربعين شخصا من الطرفين ، و قد أظهرتا ما يكنه كل طرف للآخر من حقد و كراهية ، بسبب النزاع المذهبي الذي أدخل السنيين في أزمة عقدية مذهبية ، تجلت مظاهرها في التكفير و الاقتتال ،و السب الشتائم ، دون أن تظهر محاولات جادة لوضع حد نهائي لها ، مما زاد في اتساع نطاقها و اشتداد حدتها .

الحادثة السادسة: فتنة أبي بكر البكري المغربي ببغداد سنة ٤٧٦هـ :

(١) ابن الجوزي: المنتظم ، ج ٨ ص: ٣١٢-٣١٣ زو ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ١٢ ص: ١١٧ .." (١)

١٠٧. "و ختاما لهذا المبحث يتبين لنا منه إن الاحتجاجات و المصادمات و الفتن التي ذكرناها ، كانت أسبابها عقدية مذهبية ، بسبب الخلاف العقيدي بين أهل الحديث و الأشاعرة ، و هي تعبر بوضوح عن الأزمة العقيدية الحادة التي عصفت بالمذهب السني في القرنين الخامس و السادس الهجريين ؛ و لم تبق في إطارها الفكري الصرف ، و إنما تحولت إلى واقع عملي تجلت مظاهره في الاحتجاجات و المصادمات في شكل جماعي منظم ، فهي لم تكن حالات فردية شاذة معزولة ، بل كانت منظمة و موجهة ذات أهداف مذهبية مسطرة سلفا ، و سيزيد ذلك تأكيدا و إثراء و ترسيخا ما سنذكره في المباحث الآتية إن شاء الله تعال .

ثانيا : استخدام الوعظ لنشر المذهب و الرد على الخصوم :

يعد الوعظ من أهم المظاهر الاجتماعية التي تجلت فيها الأزمة العقيدية –التي عصفت بالسنيين– فقد استخدمه دعاة المذاهب وسيلة لنشر أفكارهم و الرد على خصومهم ، و وجدوا فيه ميدانا واسعا و

(١) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث ص/٢٦

خصبا للاتصال بالجماهير و التغلغل فيهم ، و التمكين لمعتقداتهم من خلاله ، فمن ذلك أولا إن سوق الوعظ في القرنين الخامس و السادس الهجريين كان رائجا ، مارسه كثير من أهل العلم من المشهورين و المغمورين ، و كانت عوام الناس تقبل عليهم بأعداد كبيرة جدا(١) .

و ثانيا إن كثيرا من الوعاظ كانوا علماء ، من متكلمين ، و فقهاء ،و محدثين و أدباء ، لهم خلفيات مذهبية ينطلقون منها في مجالسهم الوعظية خدمة لأفكارهم المذهبية ، لذا وجدناهم ينشرونها بين العوام علانية ، و يهيجونهم و يدفعونهم إلى التعصب و المواجهات ، فكان ذلك تعبيرا عمليا عن الأزمة العقيدية التي ألمت بالمذهب السني و بأهله في القرنين الخامس و السادس الهجريين .

---

(١) سيأتي ذكر نماذج كثيرة من هؤلاء الوعاظ في هذا الفصل بحول الله تعالى .." (١)

١٠٨. "و الشاهد الرابع هو إني بحثت في مئات المصنفات التراثية المتقدمة –عن طريق الحاسب الآلي- و لم أعثر على أي ذكر لهذا الكتاب منسوبا لابن قتيبة ، و لا لغيره ، مما يعني أنه لم يكن معروفا بين أهل العلم في العصر الإسلامي زمن ابن قتيبة ، و لا القريب منه ، و هذا يرجح بقوة بأن الكتاب ظهر متأخرا بعد وفاة ابن قتيبة بزمن طويل .

و الشاهد الخامس هو وجود نزعة شيعية ظاهرة في كتاب الإمامة و السياسة ، و هذا أمر يتناقض مع مذهب ابن قتيبة السني ، و قد أظهر المؤلف تشيعه بتركيزه على ثلاثة أمور ، أولها الطعن في الصحابة كما سبق أن ذكرناه . و ثانيها الزعم بأن عليا –رضي الله عنه- رفض بيعة أبي بكر –رضي الله عنه- لأنه كان يعتقد بأن الخلافة من حقه ، واغتصبت منه . و ثالثها إظهار أن عليا تعرض للتهديد من أبي بكر و عمر ، بسبب الخلافة ، وأنه كان مظلوما مستضعفا ، حتى أنه أخرج زوجته فاطمة- رضي الله عنها- و أخذها معه ليلا إلى الأنصار يطلب منهم مساعدته ، لاسترجاع حقه المغصوب ، على حد زعم هذا المؤلف الشيعي المجهول(١) . و هذه الأخبار هي مكذوبة بلا شك ، و سنبين ذلك في الفصل الرابع من كتابنا هذا ، إن شاء الله تعالى .

و الشاهد السادس يتمثل في وجود أخطاء تاريخية فادحة ، في كتاب الإمامة و السياسة ، لا يصح أن يقع فيها مؤرخ كابن قتيبة ، لأنها ثابتة معروفة ، و قريبة منه زمنيا ، و تخالف ما ذكره هو شخصيا في كتابه المعارف ، مما يعني أن مؤلف الإمامة و السياسة ، ليس هو ابن قتيبة ، و إن مؤلفه مجهول ،

---

(١) الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث ص/٣١

ذكر تلك الأخطاء التاريخية جهلا أو متعمدا و ليس ناسيا ، لأنها ليست خبرا واحدا ، و لا هي من الأمور التي تغيب عن البال في الغالب الأعم .

---

(١) انظر الإمامة و السياسة ، ج ١ ص: ١٨-١٩ ، ٢٠ ، ٤٨ .." (١)

١٠٩. "و أما قوله بان المعتزلة استخدموا مبدأهم لمجادلة غير المسلمين ، فهو قول غير صحيح في معظمه ، لأن المعتزلة استخدموا مبدأهم لتبرير موقفهم من الشرع نفسه ، و الله تعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ - سورة الحجرات/١- .كما أنهم استخدموه لتأويل النصوص و توجيهها لخدمة أصولهم ، في مسائل الصفات و القضاء و القدر و الرؤية(١) .

و ثانيا إن قوله بأن المعتزلة جادلوا في أول أمرهم غير المسلمين ، هو قول غير صحيح ، و إنما الصحيح هو عكس ذلك ، فإنهم جادلوا المسلمين قبل غيرهم ، لأن ظهورهم نفسه كان بسبب الخلافات العقدية بين المسلمين أنفسهم ، فهم الذين خرجوا من حلقة الحسن البصري بسبب الاختلاف في مسألة مرتكب الكبيرة ، ثم دخلوا في مجادلات مع مختلف الفرق الإسلامية في مسائل : الجبر و الاختيار ، و القضاء و القدر ، و الصفات الإلهية ، و الإمامة ، و هذا الأمر ذكره الجابري نفسه مرارا في بعض كتبه(٢) . و نحن إذا تفحصنا كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار نجده موجها في معظمه للرد على الفرق الإسلامية المخالفة للمعتزلة ، و هذا أمر لا يحتاج إلى توثيق .

---

(١) مثال ذلك تأويل القاضي عبد الجبار لصفة العلم و الرؤية ، أنظر شرح الأصول الخمسة ج ١ ص : ١٣٣ ، و ما بعدها ، و ١٦١ و ما بعدها .

(٢) أنظر : العقل الأخلاقي ، ص: ١١٣ ، ما بعدها . و العقل السياسي ، ص: ٢٧٤ و ما بعدها .." (٢)

١١٠. "و أما الخطأ الثاني فيتعلق بموضوع الخلافة بعد وفاة النبي-عليه الصلاة و السلام- ، ادعى فيه أركون أن حادثة السقيفة كانت مناقشة كبرى حاسمة ، قسمت الوعي الإسلامي و مزقته، و كانت

---

(١) الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري ٣٢/١

(٢) الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري ٢٨٨/١

فيها قبيلة بني هاشم و بني أمية موجودتين على الساحة مستعدتين لخوض الصراع بسبب الخلافة . ثم تعقدت المسألة أكثر بدخول الأنصار الصراع ، و هم قبيلة أخرى لهم طموحاتهم السلطوية أيضا. ثم قال : ((إننا لا نستطيع أن نخفي إلى الأبد هذه الحقائق السوسيولوجية- التاريخية التي ضمنها أو ضدها سوف تشق الفكرة الإسلامية طريقها))(١) .

و قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و يتضمن أباطيل و مغالطات ، أولا إن الذي حدث في سقيفة بني ساعدة و بيعة أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- ، هو أول تجربة شورية -ديمقراطية بلغة العصر- ناجحة حققها الصحابة بعد وفاة رسول الله-عليه الصلاة و السلام- ، و أدت إلى توحد المسلمين حول خليفة واحد ، و تكوين دولة الخلافة الراشدة ، التي فتحت العالم وأطاحت بدولتي الفرس و الروم ، و تحقق فيها وعد الله تعالى عندما قال : -﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ – سورة النور/٥٥- . فهذه الحادثة جمعت المسلمين قلبا وقالبا ، و لم تقسمهم و لا مزقتهم ،و أما الخلافات التي حدثت في الفتنة الكبرى و ما أنجر عنها من تمزق و انقسامات بين المسلمين ، فلا علاقة لها بما حدث في السقيفة(٢) .

---

(١) تاريخية الفكر ، ص: ١٤٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ .

(٢) سنتطرق إلى ذلك لاحقا .." (١)

١١١. "تقدم ذكر ترتيب الخلفاء رضي الله عنهم، أولا: ترتيبهم في الفضل، وثانيا: ترتيبهم في الخلافة، والصحيح أن ترتيبهم في الفضل وترتيبهم في الخلافة على حد سواء.

فالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وأفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر فصار أبو بكر هو الأفضل وهو الخليفة. وأفضل الأمة بعد أبي بكر: عمر؛ فقد حاز الفضل بعد أبي بكر -الفضل بمعنى الرتبة والميزة والفضيلة والشرف والأجر على قدر عمله، ولو كان هناك من أسلم قبله. فإن عثمان أسلم قبل عمر وكذلك علي أسلم قبل عمر، والزبير وسعد وغيرهم أسلموا قبله، ولكن إسلامه كان فتحا ونصرا، و خلافته كانت عزا للإسلام وتمكينا له.

---

(١) الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري ١/٤٥٦

والأحاديث التي وردت في فضله لم ترد في غيره، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (ما لقيك الشيطان سالكا فجا الأسلك فجا غير فجك) يعني أن الشيطان يهرب منه، وفضائله أيضا كثيرة. فأفضل الأمة بعد أبي بكر عمر، وهو أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر، أو الخلافة الصحيحة بعد أبي بكر خلافة عمر. واقتنع به المسلمون وبايعوه، وتمت البيعة ولم يشذ أحد عن طاعته أو ينكر عليه أو يخرج عن طاعته، وسيرته تدل على أهليته وصلاحه رضي الله عنه.

ثم الخليفة بعد عمر عثمان -كما هو الواقع- وذلك لأن عمر رضي الله عنه جعله من أهل الشورى، وأهل الشورى اتفقوا على تقديمه، وتمت البيعة له، وبايعه علي، وبايعه عبدالرحمن، وسعد، والزبير، وسائر الصحابة وسائر المسلمين، وتمت الخلافة له. إذا فالخليفة بعد عمر عثمان- رضي الله عنه.

وهل الأفضل بعد عمر -عثمان أو علي؟ فيه خلاف بين العلماء، وسبب الخلاف أن هناك من فضل عثمان على علي؛ واستدل بحديث ابن عمر الذي يقول فيه: (كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره) وجاء الحديث أنه يلي عمر في الأفضلية.." (١)

١١٢. "س١/ ما الفرق بين القدر والقضاء؟

ج/ يأتي إن شاء الله.

س٢/ يجعل الله سره في أضعف خلقه، إذا رأى مثلا شخصا ضعيفا؟

ج/ هذا المقصود به حكمته في الخلق، لا بأس به.

س٣/ هل يدخل الغيب تحت القدر؟

ج/ نعم كل مغيب فهو مقدر.

س٤/ هل يصح قول (ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه)؟

ج/ ما معنى (ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه)؟ والله على كل شيء قدير والذي ليس بشيء فإن الله (غير قادر عليه لأنه ليس بشيء كالجمع بين النقيضين؟

هذا الكلام غير منضبط لا من جهة كلام المناطقة ولا من جهة أيضا التعريف، فلا تطلق عليه العبارة لأنها غير منضبطة؛ لأنه يقول ما ليس بشيء يعني الذي ليس بشيء، وما دام قال الذي فإنه شيء.

س٥/ قبل إرادة الله الخلق للشيء وعلمه به، ماذا يسبقه، هل يسبقه جهل به؟

---

(١) الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد - ابن جبرين ص/٢٠٩

ج/ أستغفر الله وأتوب إليه، الله سبحانه علمه أول، وعلمه مرتبط بإرادته وحكمته فلا يسبق علمه جهل (وتقدست أسماؤه.

س ٦/ نرجو أن تملوا علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر؟

ج/ الميمية هي أو التائية؟ تائية شيخ الإسلام القدرية هذه مشهورة ينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها؛ لأنها فيها ذكر كثير من مسائل القدر.

[.....]٦

هذيك في التعليل مو في القضاء والقدر؛ في ترك تعليل أفعال الله أو الخوض في ذلك، نأتيها إن شاء الله تعالى.

هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتابه إيثار الخلق على الحق دون نسبة، هي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال ومطلعها يقول فيها:

تسل عن الوفاق فربنا قد

حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا

فعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب

وقد ثنى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوى اختلاف الـ

ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله

مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا وخذها

شكورا للذي يحيي العظاما." (١)

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١٧/٨

١١٣.   "هذا التقسيم السقيم يلزم صاحبه وصم أهل السنة بالنصب وهو العداء لأهل البيت وهذا إفك مفترى وهو علامة ونيشان على التوغل في الرفض كما ذكر أبوحاتم أن علامة الرافضة تلقيبهم أهل السنة بالنواصب (١) ، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه في مواضع من فتاويه (٢) ، وهذا أمر معروف متداول بين أهل العلم .

الاختلاف السياسي والاختلاف العقدي

ثم قال : (هذا اختلاف سياسي أدى إلى اختلاف عقدي واتهامات متبادلة بالكفر والمروق من الدين والبدعة والضلال) .

أقول :

هنا يصور أن أصل بدع القوم خلاف سياسي لا يمت إلى المعتقد بصلة وهذا قلب للحقائق إذ أن منشأ الخلاف عقدي فإن كل واحد يطالب بمطالب يعتبرها من الدين الذي يتدين به لله ويراه من العبادة أيظن عاقل أن الصحابة قاتلوا سياسة على الملك ولأجل الدنيا قبح الله من لا يستحي ، ثم هذا الفصل بين العقدي والسياسي ما عرف إلا في العصور المتأخرة ولم يعرف الصحابة إلا جهادا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

تكفير الشيعة والخوارج

ثم قال : (أيضا نجد أن الدولة الأموية استغلت بعض علماء السوء لتكفير المخالفين لها من الشيعة والخوارج) .

أقول :

---

(١) شرح أصول معتقد أهل السنة ١/١٧٩ وغيرها .

(٢) في الفتاوى ٥/١١١ و ٣٣/١٧١ .." (١)

١١٤.   "قال: وهؤلاء نظروا إلى إطلاق الخلود على المكث المنقطع في كلام العرب كبيتي لبيد والأعشى، وإن الحقيقة هي الأصل في الاستعمال.

والبيتان هما ـ قول لبيد في معلقته:

صما خوالد مايبين كلامها

---

(١) إضرام النيران ببعض ضلالات حسن فرحان ص/٢٦

وقول الأعشى:

لن تزالوا كذلكم ثم لا زلت لكم خالدا خلود الجبال

قال فهذا محمول عند هؤلاء على التجوز.

قال: وتعقبهم العلامة البطاشي بقوله: (كما أخذت العرب من الخلد قولهم للأحجار (خوالد) فقد أخذوا من الأبد قولهم للوحوش (أوابد) ثم ذهب يرد على الاستدلال اللغوي في مسألة (الخلود) فرتب سبب الخلاف على المفهوم اللغوي فقال في أول ص ١٨٧ (وبحسب هذا المفهوم ـ وهو الدوام الأبدي ـ كان اختلاف الأمة في خلود المجرمين في النار، كما سيأتي بيانه إن شاء الله).

هذا ما ذكره في تعريف الخلود، ثم رتب الخلاف عليه ولم يتعرض لذكر الأدلة التي أشار إليها من الكتاب والأحاديث الصحيحة الصريحة في إخراج الموحدين من النار، وبيان أن المخلدين في النار هم الكفار، والمشركين الشرك الأكبر، والمنافقين النفاق الاعتقادي.

«الرد»

ونقول إن قوله: إن الخلود في اللغة يأتي بمعنى الدوام الأبدي، ويأتي بمعنى طول المكث. فهذا كلام صحيح.

وأما بالنسبة للزمخشري. وأنه يقول: إنه موضوع لغة للدوام الأبدي فنسبة هذا القول للزمخشري صحيحة، لأن الزمخشري رأس المعتزلة، وعقيدة المعتزلة في أهل الكبائر: أنهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين، فمن ارتكب كبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، هذا حكمه في الدنيا، ويعاملونه معاملة المسلم إذا مات فيرث ويورث، ويغسل ويكفن، ويدفن في مقابر المسلمين.." (١)

١١٥. "وقد فسروا المعصية هنا بالكفر بالله، وترك التوحيد الذي دعاهم الله إليه وأمرهم به.

ولم يفسروا المعصية بالكبيرة كما هو رأي المؤلف وعقيدته، وعقيدة من تبعهم.

لأنهم كما قال عبدالله بن عمر – رضي الله عنه –: (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين).

قلت: ومنها هذه الآية كما سيأتي مثيلاتها في استدلال المؤلف.

أما دعواه أن سبب الخلاف في تخليد الفساق في النار أو عدم تخليدهم في النار بين أهل السنة

---

(١) الرد القويم البالغ على الخليلي الاباضي ص/٣٥٩

والجماعة وغيرهم هو الخلاف اللغوي في معنى الخلود، فليس ذلك هو السبب وحده كما يدعي، لأن الأمر المتفق عليه بين أهل السنة والجماعة في تفسير كتاب الله –الذي هو الأصل للأحكام الشرعية.

أن يفسر أولا:

القرآن بالقرآن، لأنه ما أجمل في آية فقد بين بآية أخرى...

ثم بالسنة المبينة والموضحة والشارحة للقرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم..﴾ [النحل/٤٤].

وقال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا..﴾ [الحشر/٧].

لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم –:لا ينطق عن الهوى . إن هو إلى وحي يوحى.

ولهذا قال – صلى الله عليه وسلم –: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» يعني السنة، فالسنة وحي تنزل عليه كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن (١).

ثم بأقوال الصحابة، لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح..

ثم بأقوال التابعين ومنهم: مجاهد بن جبر. الذي ثبت عنه أنه قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وابن عباس رضي الله عنهما هو الصحابي الجليل ترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله بالفقه في الدين وتعليمه التأويل. أي التفسير.

ثم بعد ذلك يرجع الى اللغة التي نزل بها.

---

(١) تفسير ابن كثير، المقدمة ج١ / ١٢. ١٥ .." (١)

١١٦. "٢- ما لايخرج به صاحبه من الإسلام، وهو الخلاف في قضايا عقدية لاتناقض أصل الإيمان كالقول بتكفير أصحاب المعاصي.

فكلا النوعين السابقين خلاف مذموم بيد أن منه ما يكفر بسببه المسلم، ومنه ما لا يكفر بسببه.

ثانيا: خلاف ممدوح:-

وهو تعدد وجهات النظر وتنوع الآراء، وهذا ما يتعلق بالقضايا والفروع الفقهية، والتي تعتمد على

---

(١) الرد القويم البالغ على الخليلي الاباضي ص/٣٦١

الأدلة الظنية القابلة لاختلاف الفهوم، والخلاف هنا إرادة إلهية، إذ لو أراد الله خلاف ذلك لجعل النصوص كلها قطعية لا تحتمل إلا وجها واحدا لا تقبل الخلاف أو الاختلاف، ولكن من رحمة الله بالأمة أن يسر ووسع عليها في دينها، ومن هذا التيسير جعل النصوص تقبل أوجها متعددة لتتناسب مع تعدد الأزمنة والأمكنة واختلاف الحالات، ولكي لا ينحصر الناس في مذهب واحد .

هذا وقد ألف الفقهاء كتبا كثيرة في بيان أسباب الخلاف الفقهي والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:-

١- عدم اعتقاده أن النبي (قاله.

٢- عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

٣- اعتقاده أن الحكم منسوخ.

٤- الاختلاف في بعض أصول وقواعد الفهم والاستنباط والترجيح.

هذه رؤوس وعناوين كبيرة لأسباب الخلاف بين الأئمة، وكل واحدة من هذه الأقسام تنقسم إلى أنواع مختلفة، والذي أرمي إليه هنا بيان أن سبب الخلاف لا يقتصر فقط على ثبوت النص من عدمه كما يظنه بعض تلاميذ الكتب، والذين ينظرون إلى الخلاف الفقهي نظرة استنكار واستغراب مما حدا ببعضهم للتهجم على علماء الإسلام وعظمائه الذين أنار الله بهم دياجير الجهل، ونتج عن وهمهم هذا الدعوة إلى الرجوع المباشر للقرآن والسنة، والاستنباط منهما مباشرة دون الاهتداء والاقتداء بفهم علماء الإسلام، والدعوة إلى ما أسموه بفقه الكتاب والسنة محاولين إزالة ومحو نعمة ومنقبة لهذا الدين وهي المدارس الفقهية، والتراث الفقهي الضخم الذي لا يدانيه تراث .." (١)

١١٧. "هذا من الأصول الموهومة، إذ من ظن أنه أصل خامس فقد أخطأ، لأنا رددنا المصلحة إلى حفظ مقاصد الشرع، ومقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع، فكل مصلحة لا ترجع إلى حفظ مقصود، فهم من الكتاب والسنة والإجماع، وكانت من المصالح الغريبة التي لا تلائم تصرفات الشرع، فهي باطلة مطرحة، ومن صار إليها فقد شرع، كما أن من استحسن فقد شرع، وكل مصلحة رجعت إلى حفظ مقصود شرعي علم كونه مقصودا بالكتاب والسنة والإجماع، فليس خارجا من هذه الأصول، لكنه لا يسمى قياسا بل مصلحة مرسلة، إذا القياس أصل معين، وكون هذه المعاني مقصودة عرف لا بدليل واحد، بل بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة وقرائن الأحوال وتفاريق الأمارات، فسمي لذلك مصلحة مرسلة.

---

(١) التكفير حكمه وضوابطه والغلو فيه ص/٦٦

وإذا فسرنا المصلحة بالمحافظة على مقصود الشرع فلا وجه للخلاف في اتباعها، بل يجب القطع بكونها حجة.

وحيث ذكرنا خلافا فذلك عند تعارض مصلحتين ومقصودين، وعند ذلك يجب ترجيح الأقوى، ولذلك قطعنا بكون الإكراه مبيحا لكلمة الردة، وشرب الخمر، وأكل مال الغير، وترك الصوم، والصلاة، لأن الحذر من سفك الدم أشد من هذه الأمور، ولا يباح به الزنا والقتل لأنه مثل محذور الإكراه.

فإذن، منشأ الخلاف في مسألة التترس الترجيح – إلى أن قال-: " قلنا: عرفنا ذلك (جواز قتل الأسارى) لا بنص واحد معين، بل بتفاريق أحكام واقتران دلالات لم يبق معها شك في أن حفظ." (١)

١١٨. "وليست المسألة مسألة ظن أو يطلق عليه بحسب الاجتهاد لأن الإطلاق على الناس إطلاق هذه الأسماء أو الأحكام على الناس هذه تسبب الخلاف والفرقة لأنه لا بد أن يكون ثم اختلاف في المعين فإذا صار الخلاف في المعين من جهة الرأي حصل الافتراق وإذا حصل النظر في جهة المعين من جهة الدليل والشرع حصل الاتفاق .

فهذا يقول فاسق والآخر يقول صالح ، هذا يقول إمام والثاني يقول زنديق وهذا يقول مبتدع والثالث يقول مجاهد أو إمام أو عالم أو نحو ذلك فتقابل هذه الأسماء يخرج الناظر فيها عن دليل الشرع .

والواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم أن يقتفوا سيرة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة لأجل أن لا يحصل الفرقة والخلاف في الأمة فلا يطلقوا هذه الأسماء إلا على من استحقها شرعا .

وطلاب العلم الذين ابتدؤا في طلب العلم أو توسطوا فإنهم فيما ينبغي أن يتباعدوا عن هذه الإطلاقات ويتركوها لأهل العلم الذين يعلمون حدود هذه الإطلاقات نفيا وإثباتا ومن يوصف باسم أسماء الإيمان ومن يسلب عنه ذلك إما أصله أو كماله ومنه مسألة التكفير فيمن يكفر لا يدخل فيها بعض صغار طلاب العلم أو المتوسطون لأنه تتبعها مسائل كبيرة .

وحصل في هذا الزمن خلاف كما ترون وتسمعون في مسائل التكفير في كثير من أمصار المسلمين من جراء الخلاف في الأحكام ، وظهرت فرق وجماعات جديدة لأجل الخلاف في الأسماء والأحكام هذه .

---

(١) التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين ١/١٧٩

فهذه المسألة مهمة ووسطية أهل السنة والجماعة فيها (أن لا يطلق القول باسم من الأسماء على المعين أو أن يسلب عنه شيء من أسماء الدين أو حكمه في الآخرة أو حكمه في الدنيا إلا عن دليل شرعي .

وهذا الدليل الشرعي يكون مؤصلا عند أهل السنة والجماعة) يعني أقرت دلالته أهل السنة والجماعة يأتي في موضع آخر ربما ذكر الجهمية والمرجئة في مسائل الإيمان وتفصيل الفرق بينهما يعني بدقة عند الكلام على مسائل الإيمان إن شاء الله تعالى .." (١)

١١٩. "أصل الضلال في باب القدر هو الخوض في الأفعال : لم فعل ؟ لم كان كذا ؟ لم قدر علي كذا ؟ هذا عاش هذا مات هذا غني هذا فقير إلى آخره .

وقد قال شيخ الإسلام في تائيته العظيمة ، تائيته في القدر ، قال :

هو الخوض في فعل الإله بعلة وأصل ضلال الخلق من كل فرقة

فصاروا على نوع من الجاهلية فإنهم لم يفهموا حكمة له

ولا شك أننا لا نستطيع أن ندخل في معرفة الحكم والأسرار ، قد نعلم بعض الأشياء قليلة جدا وأشياء كثيرة لا نعلمها ، وما أحسن قول القائل :

علوم هناك بعضا أو تماما وما سبب الخلاف سوى اختلاف ال

إله مخالفا فيها الأناما فكان من اللوازم أن يكون ال

شكورا للذي يحيي الأناما فلا تجعل لها قدرا وخذها

من أعظم ما ينفع في هذا الباب أنك تختلف مع ابنك الصغير أو مع أخيك الصغير فلا يقتنع بفعلك وفعلك موافق للمصلحة وهو لا يقتنع بذلك ويعارض وسبب الخلاف هو الاختلاف في العلوم ، تعلم ما لا يعلم فكان فعلك موافقا لما تعلم وفعله واعتراضه موافقا لما يعلم ، وسبب الخلاف اختلاف العلوم .

فإذن كان من اللوازم أن يكون الإله جل وعلا ، الرب سبحانه مخالفا فيها الأناما لأن علمه كامل شامل محيط بكل شيء وعلم العبد قاصر لا يعدو شيئا يسيرا بجانبه .." (٢)

---

(١) قسم العقيدة ٤٦٥/١٢

(٢) قسم العقيدة ٨٢/١٣

١٢٠. "لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

ـمكلم إذ ألم به لماما كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

فعجل صاحب السر الصراما تكدر صفو جمعهما مرارا

وقد ثنى على الخضر الملاما ففارقه الكليم كليم قلب

علوم هناك بعضا أو تماما وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ

إله مخالفا فيها الأناما فكان من اللوازم أن يكون الـ

فلا تجهل لها قدرا

يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان

شكورا للذي يحيي الأناما فلا تجهل لها قدرا وخذها

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان

وحكم

مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

١٢١. "الثاني: التأويل بمعنى التفسير: وهذا في قول الله جل وعلا وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين[يوسف:٤٤] ومنه أيضا في هذا قوله جل وعلا أنا أنبئكم بتأويله[يوسف:٤٥]، وأشباه ذلك، فالتأويل هنا بمعنى التفسير، تأويل الأحلام بمعنى تفسير الأحلام، فالتأويل بمعنى التفسير هذا في القرآن، وهذا هو الذي اعتمده ابن جرير الطبري في ما اعترى في تفسيره حيث يقول: قال أهل التأويل، وبنحو الذي قلنا في هذه الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك، قال أهل التأويل يعني قال أهل التفسير.

---

(١) قسم العقيدة ١١٩/١٣

وهناك معنى ثالث للتأويل ليس في القرآن ولا في السنة وإنما هو اصطلاح حادث للأصوليين، وهذا ليس هو المراد هنا؛ لأن التأويل عندهم في مقابلة الظاهر، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى معنى آخر قريب، هذا معنى جديد اصطلاحي، وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام كما هو معروف عند الأصوليين صحيح وضعيف وباطل.

هنا والمراد بـ(وابتغاء تأويله) في هذه الآية يحتمل المعنى الأول ويحتمل المعنى الثاني، (وابتغاء تأويله)يعني ابتغاء معرفة ما تؤول إليه أخباره وأوامره ونواهيه، أو (وابتغاء تأويله) بمعنى ابتغاء تفسيره، فيصح الأول ويصح الثاني.

وهنا نقف عند قوله (وما يعلم تأويله إلا الله)، (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) اختلف السلف على الوقف هنا، هل الوقف على قوله (وما يعلم تأويله إلا الله)؟ أو الوقف على (العلم)؟ فيكون معطوف على ما قبله، (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) على قولين للسلف، وسبب الخلاف أنه هناك قولين، هنا ما المراد بالتأويل؟." (١)

١٢٢. "س٢/ هل المقصود من الإكراه أن من أكره على عمل من الأعمال التي نهى الله عنها سواء كان في الشرك أو معصية أم فيها تفصيل ؟

ج/ إذا كان يعذر في الشرك بالإكراه، فعذره فيما هو أدنى من الشرك من المعاصي لا شك أنه من باب أولى؛ لكن هناك ذنوب كبائر لا يصح فيها الإكراه وهذه معلومة في تفصيل القاعدة عند الفقهاء.

س٣/ وهل من أكره على معصية من المعاصي مثل الزنا فهل يعذر بالإكراه أم ماذا ؟

ج/ الزنا اختلف فيه العلماء، هل يقع فيه إكراه، يعني إكراه من مرأة لرجل في الزنا أم لا يقع؟ وسبب الخلاف في أن الرجل لا تنتشر آلته إلا بشهوة ورغبة، أما إذا كان القلب كارها فإنه لا يحصل معه انتشار، حتى مع أهل الرجل ومن أبيح له أن يعاشرهم إذا كره كرها شديدا لا يكون في قلبه رغبة للجماع حتى دواعي الجماع، لهذا قال طائفة من المحققين من أهل العلم: يستثنى من القاعدة الزنا؛ لأن الزنا لا يكون انتشار الرجل إلا عن وجود رغبة في قلبه ولو قليلة والتفات إلى هذه المرأة أو إلى ما تعمل إلى آخره.

والقول الثاني أنه يقع الإكراه حتى في الزنا لأن بعض الرجال ربما ينتشر دون رغبة القلب.

وعلى العموم، هذا راجع إلى الحال وكل أعلم بحاله والله حسيب على الخلق.

---

(١) قسم العقيدة ١٩٣/١٧

س/ كيف التوجيه بين هذه الآية وحديث الذباب؟

ج/ ذكرنا التوجيه وأشرنا إليه في شرحنا لكتاب التوحيد ومعروف .

س/ ما أفضل شرح للعقيدة الطحاوية يمكن اقتناءه، ومتابعة الدرس من خلاله؟

ج/ أنا سأشرح المتن إن شاء الله تعالى بطريقة تجمع ما بين السهولة للمبتدئ وكثرة المادة للمتوسط، ولهذا لا أعرف شرحا سيكون على ما أريد إن شاء الله؛ لكن شرح ابن أبي العز هذا شرح معروف، وكذلك شرح ابن مانع رحمه الله، أو تعليقات الشيخ عبد العزيز (رحمه الله)، أو تعليقات الشيخ ناصر الألباني (رحمه الله)، هذه كلها فيها فائدة إن شاء الله.." (١)

١٢٣. "هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له

فصاروا على نوع من الجاهلية

وما أحسن قول ابن الوزير أيضا في كتابه ''إيثار الحق على الخلق''لما تعرض لمسألة التعليل وأفعال الله جل وعلا وكيف نفهم القدر، وأنه يجب علينا أن نسلوا ونبتعد عن فهمنا للحكم جميعا، قال مما قال في أبيات لطيفة طيبة قال:

تسل عن الوفاق فربنا قد

حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا

وعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب

وقد ثنى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوباختلاف ال

---

(١) قسم العقيدة ٤٨٠/١٧

علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله

مخالفا فيها الأناما

لأننا لو فهمنا، لو كان علمنا كعلم الله جل وعلا لفهمنا الأسرار، لكن علمنا قاصر، فلا يمكن أن نفهم قال هنا مبينا السر في ذلك: (وما سبب الخلاف) وهذه قاعدة عامة:

وماسبب الخلاف سوىاختلاف ال

علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله

مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا وخذها

شكورا للذي يحيي الأناما([١٥])

وهذا ظاهر، في أن العبد المؤمن يتأمل في قصة موسى، وأن موسى أنكر على الخضر بعض الأفعال؛ لأنه لا يعلم الحكمة من ورائها؛ قتل غلاما ما يعلم الحكمة من ورائه فاحتج، وخرق سفينة ما يعلم الحكمة من ورائها فاحتج؛ لأجل نقص علمه في تلك المسائل عن علم الخضر، فكيف بعلم الله جل وعلا مع الخلق، لم يبق لنا في هذا الباب إلا التسليم المحض والعمل الجاد.

أسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى سبيله القويم، وأن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا العلم والعمل والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٥٠- والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.." (١)

١٢٤. "و أما ثانيا ، فإن هذه الروايات لم تتفق على المصدر الذي يحتكم إليه الحكمان ، فالأولى نصت على أنهما يحتكمان إلى الكتاب أولا ، ثم السنة ثانيا . و الثانية اكتفت بذكر الكتاب دون ذكر لشيء آخر .و الثالثة أكدت على ضرورة الاحتكام إلى القرآن الكريم دون غيره ، فلا يتجاوز و

(١) قسم العقيدة ٦٣/١٩

لا يحاد عنه . أفلا يبعث هذا التباين الواضح الغريب على الشك في صحة هذه الروايات ؟ و ألا يدل ذلك على تلاعب الإخباريين بها ؟ .

و ثالثا أن هذه الروايات قد أشارت إلى المصدر الذي يحتكم إليه الحكمان ، لكنها ضربت صفحا عن الموضوع الذي يناقشانه و يبتان فيه ، . أليس من الغريب جدا أن لا يذكر موضوع النزاع الذي يبحث له الحكمان عن حل ! ؟ . لكن الرواية الثالثة لمحت لذلك بطريقة غامضة حين قالت : ((فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ،و يخفضا ما خفض القرآن ، و أن يختارا لأمة محمد –صلى الله عليه و سلم-))(١). لكنها لم تقل لنا ماذا يختار الحكمان لأمة محمد ، فهل يختاران لها حلا لقضية قتلة عثمان التي أوصلت المسلمين إلى الاقتتال ، أم يختاران لها خليفة جديدا يتولى أمر الناس ؟ . ليس لتلك الروايات إجابة عن هذا الإشكال ، مما يدل على تلاعب الرواة بها . لكن هذا الإشكال أزالته رواية أخرى رواها الذهبي حددت موضوع التحكيم صراحة ، و فيها أن عليا و معاوية –رضي الله عنهما- قد نصا في وثيقة الصلح على ان من ولاه الحكمان الخلافة فهو الخليفة ،و من اتفقا على خلعه خلع(٢). لكن هذا الخبر تطعن فيه أمور ، أولها أنه يفتقد إلى الإسناد ،و ثانيها أنه تعرض لقضية الخلافة في وقت كان سبب الخلاف هو قضية الاقتصاص من قتلة عثمان و ليس مسألة الخلافة ، فجيش الشام لم يكن ينكر أحقية الإمام علي في الخلافة ، و إنما كان يطالب بالاقتصاص من قتلة عثمان كشرط للبيعة . و ثالثها أن أهل الشام لم يكونوا في موقف قوة

---

(١) الطبري: المصدر السابق ج ٣ ص: ١٠٥ .

(٢) الذهبي : الخلفاء الراشدون ص: ٣٣٢ .." (١)

١٢٥. "غدرة الفاسق ، لكنني أطمأننت إليه ،و ظننت أنه لن يؤثر شيئا على نصيحة الأمة(١) .

و في رواية أخرى لابن قتيبة و المسعودي أن الحكمين اتفقا على خلع علي و معاوية ، و تعيين عبد الله بن عمر بن الخطاب خليفة للمسلمين(الإمامة و السياسة ج١ص: ٢٠٣.و مروج الذهب ج٢ص:٤٧٨،٤٧٩).و في رواية –لابن العماد الحنبلي- أن الحكمين اتفقا على أن يخلع كل واحد صاحبه ، فخلع أبو موسى عليا ، و لم يخلع عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان(٢) .

ذلك هو موجز الرواية المشهورة عن اجتماع الحكمين و ما انتهيا إليه ، و سينصب نقدي لها على

---

(١) قضية التحكيم قي موقعة صفين ص/٣٤

الإسناد و المتن ، ففيما يخص الإسناد فإن من رجالها —حسب رواية الطبري- أبو مخنف لوط و هو اخباري متعصب ضعيف لا يوثق به عند علماء الجرح و التعديل ،و هذا يعني أن رواياته مرفوضة من حيث الإسناد .و أما متنها فهو في غاية الاضطراب و الغرابة ،و سينصب نقدي له على: موضوع الاجتماع ، و شخصية الحكمين ، و قرا الحكمين.

فبخصوص الموضوع ، فإن الرواية قد صرحت أن الحكمين قد ناقشا موضوع الخلافة و اتخذا منه موقفا مشتركا . و هذا أمر مشكوك في صحته ،و مستبعد جدا و يصعب تصديقه ، لأن سبب الخلاف بين الطائفتين هو قضية قتلة عثمان و ليس مسألة الخلافة ، إذ لم يكن هذا الأمر قد ظهر ، و لم يكن أهل الشام يطالبون بالخلافة لمعاوية ،و ما كانوا ينكرون حق علي فيها . فهل يعقل أن يترك الحكمان البت في سبب الفتنة ، و يناقشان أمرا غير مطروح البتة ! ؟ . أليس هذا من علامات تلاعب الإخباريين بالرواية و تصرفهم فيها ؟ .

---

(١) الطبري: المصدر السابق ج ٣ ص: ١١١، ١١٢،١١٣ . الذهبي: الخلفاء ص: ٣٣٣ .و ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ص: ٢٤ ،و ج٤ ص: ١٩٤ .و المسعودي:مروج ج٢ ص: ٢٨٠ . و ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص: ٢٠٧ .و اليعقوبي : المصدر السابق ج ٢ ص: ١٣٥-١٣٦ .و ابن العماد : شذرات ج١ ص: ٢١٥

(٢) شذرات الذهب ج ١ص: ٢١٥ .." (١)

١٢٦. "فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمرهم وحاضرت في وسائل عديدة مختلفة والكلام ذو شجون وألوان والحديث ذو جوانب وأطراف وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه وحول الفرق التي حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت وذهب بعضها بعيدا في التفرق والاختلاف كما قرب البعض منها ومن بين الفرق التي ذهبت إلى الشأو البعيد واختلفت مع الأمة اختلافا جذريا وفي الأصول والأساس الشيعة فكثر الكلام وكثرت الأسئلة ثم الأجوبة عليها وكانت كتبي الثلاثة عن هذه النحلة في متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحاضرين في تلك المجالس ولذلك كان البحث جديا والأسئلة في صميم الموضوع . والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التي كشفت النقاب عنها وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التي طرأت عليها

---

(١) قضية التحكيم قي موقعة صفين ص/٣٧

والفرق التي تفرعت عنها واقتناع الاخوة بما ذكرته في كتبي من عقائد القوم والاكتفاء بها والاحتياج الشديد إلى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم والتغيرات التي وقعت حتى جعلتهم يعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة وكان ينتهي الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فوريا في ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التي انبثقت من التشيع فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا ومصمم على ما أظهروا الاحتياج إليه فلم أصل إلى بلادي في السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت في هذه الموضوع مؤجلا كتابتي في الإسماعيلية مع شدة حرصي على إكمالها وإتمامها . ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولكل شيء أجل .

... فصرفت فيه جدي وجهدي ولم أعمل شيئا في هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب و التسويد والتبييض في هذا .." (١)

١٢٧. "وما ألفنا هذا الكتاب، وما جمعنا فيه النصوص إلا للتنبيه علي أنه لا ينبغي التصور بأن أهل السنة بلغوا من الجهل إلى حد حتى تلعب بهم، وبعقولهم، وقلوبهم، وعقائدهم وليدة اليهود وربيبة المجوس.

وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية، ناقمة على الإسلام، وحاقدة على المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملة هذا الدين، والتابعين لهم بإحسان، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، ثم وقد بينا فيه عقيدتهم في القرآن، أساس الإسلام، وأصله، ورسالة الله التي جاء بها محمد النبي، الصادق، المصدوق عليه السلام، إلى الناس كافة، ببيان واضح، مستند، مفصل، لم أسبق عليه بفضل الله ومنه.

كما أوضحنا أن الكذب (باسم التقية) هو شعار الشيعة قاطبة، ويعدونه من أطيب الأعمال، وأعظم القربات إلى الله.

وورد تحت هذه المواضيع الثلاثة مباحث ومواضيع كثيرة أخرى مثل عقيدتهم في الله، وفي رسول الله، وأصحاب رسول الله، وأزواجه، أمهات المؤمنين، وعقيدتهم في أئمتهم، ورأي الأئمة فيهم، والأسس لهذا المذهب، والأصول التي قام عليها، وسبب الخلاف بينهم وبين السنة من المسلمين.

ونرى في ذلك المختصر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقتهم، وحقيقة معتقداتهم، وحتى للسذج من

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ إحسان إلهي ظهير ٣/٣

الشيعة الذين اغتروا بحب أهل البيت وولايتهم، إن أرادوا الحق والتبصر، لأن أكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم حيث أمر صناديدهم بكتمان المذهب كما هو المكذوب على جعفر الصادق أنه قال لأحد شيعته: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله ["الكافي في الأصول" للكليني وسيأتي بيانه مفصلا في باب "الشيعة والكذب"].." (١)

١٢٨. "تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.

ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:

لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلا في قتلهم من كلا الجيشين أفرادا، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سببا في نشوب الحرب بين الصفين.

معركة صفين:

لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعا وتطلعا للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.

فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأسا، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل عليا على أنه خليفة،

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ إحسان إلهي ظهير ٤/٨

بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.." (١)

١٢٩. "ومنذ أعوام قليلة كانت اللهجة في غاية الحدة وهو ما يظهر من هذا النموذج. يقول د. عثمان الرواف، في مقالة بعنوان: كيف نقرأ التوجهات الإيرانية في الخليج: ١ - بعض القيادات السياسية الإيرانية المتطرفة لم تزل تتمسك بمبدأ تصدير الثورة وتدعو بشكل علني إلى مواجهة وتحدي دول مجلس التعاون تمهيدا لإقامة أنظمة إسلامية ثورية متطرفة فيها. ٢ - وفئة أكبر من القيادات الإيرانية - كما ذكرنا سابقا - تحمل دول مجلس التعاون مسئولية الهزائم التي ألحقها العراق بإيران خلال حرب الخليج الأولى. ٣ - ومجموعة من القيادات الإيرانية بما فيها بعض القيادات الرسمية غير المتطرفة تحمل دول مجلس التعاون أيضا مسئولية وجود القوات الأمريكية في الخليج وترى في وجود هذه القوات تهديدا مباشرا للمصالح الإيرانية وتحجيما لدور إيران العسكري في الخليج. ٤ - كما أن بعض هذه القيادات تعتبر دول مجلس التعاون مسئولة - بسبب سياساتها البترولية . عن مشاكل إيران الاقتصادية الحالية. ٥ - وبعض القيادات الإيرانية، وبالرغم من الثوب الديني الذي تلبسه والخطاب الإسلامي الذي تتبناه تحمل شيئا من العداء لدول مجلس التعاون مدفوعة بالاعتبارات القومية الفارسية التي كانت مسئولة في السابق عن توتر علاقات إيران الشاه بدول المجلس بين الفترة والأخرى. ٦ - وأخيرا فإن بعض القيادات الإيرانية - ذات الأفق المذهبي الضيق - تحمل توجهات غير ودية أو توجهات معادية لدول مجلس التعاون بسبب الخلاف المذهبي القديم وتعتقد هذه القيادات - مخطئة - أن بإمكانها الاعتماد على تعاطف الشيعة من أبناء دول مجلس التعاون معها. وإذا تأملنا في الأسباب الستة المستعرضة للعداء الإيراني المحتمل والظاهر أحيانا نحو دول مجلس التعاون، وجدنا أن ثلاثة منها ترتبط بتوجهات أيديولوجية أومذهبية أو قومية تنبع من القيادات السياسية الإيرانية نفسها، والأسباب الثلاثة الأخرى - والخاصة بدعم دول المجلس." (٢)

١٣٠. "ونتيجة لهذا التفرق لم يهدأ بال أهل الفساد من ترك الأمر على ما هو عليه، بل استغلوا كل مناسبة لتأجيج نار الفرقة والخلاف والنفخ في نار الفتنة والسوء فانتهزوا سانحة خروج طائفة من الصحابة من مكة إلى العراق، فأسرعوا بتهييج العواطف أن هؤلاء أرادوا الشر، وتفرقة صفوف الأمة..

---

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد مال الله ١٥/٤٠

(٢) مجموع مؤلفات تاريخ الرافضة ٨٢/٤٧

ووقعت معركة الجمل.

معركة الجمل:

تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.

ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:

لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلا في قتلهم من كلا الجيشين أفرادا، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سببا في نشوب الحرب بين الصفين.

معركة صفين:

لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعا وتطلعا للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.." (١)

١٣١. "فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأسا، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل عليا على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.

كان معاوية يريد إنفاذ القصاص في قتلة خليفة المسلمين المغدور به عثمان، وقد أشيع عند أهل الشام أن الخليفة عليا امتنع عن معاقبة وملاحقة قتلة عثمان عند توليه خلافة المسلمين، وبدلا من ذلك قاتل أهل الجمل، وترك أيضا المدينة وسكن الكوفة وهي معقل قاتلي عثمان، وأن في جيشه من هو

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٢٧/٣٠

متهم في قتل خليفة المسلمين السابق.

وحرصا من أمير المؤمنين على توضيح الأمر، وإبطال المزاعم المنشورة، ولم شتات المسلمين، أرسل كتابا لمعاوية، مبينا فيه إثبات أحقية خلافته كما ثبتت خلافة من قبله مع تبرؤه من دم عثمان رضي الله عنه، فقال: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباع سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ، ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجن ما بدا لك، والسلام)([١٠]).

فلما نشب القتال بين صفوف المسلمين، وسالت الدماء فيما بينهم، انتهت المعركة برفع جيش معاوية رضي الله عنه المصاحف، طالبين التحكيم فيما بينهم بما يرضي الله عز وجل فرضي خليفة المسلمين علي عليه السلام بهذا الطلب ورجع إلى الكوفة، ورجع معاوية رضي الله عنه إلى الشام بشروط اتفق عليها الطرفان.." (١)

١٣٢. "روايات مضطربة، فكيف الخروج من هذه الروايات؟؟

للخروج منها جاءت الرواية الفاصلة التي تقطع الإشكال كله، عن أبي جعفر أنه قال: [[إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين]].

وللأسف وجدت هذه الرواية آذانا صاغية، وقبلت هذه الرواية، وهم كما يرون عن أبي الحسن أنه قال: [[الشيعة تربى بالأماني منذ ٢٠٠ سنة]]. [وهذا في الكافي (٣٩٦/١)]

*سبب الخلاف في مدة غياب المهدي:

لماذا اختلفت هذه المدد؟ مرة بسبب قتل الحسين، ومرة بسبب أنهم أذاعوا الستر، ومرة يكذبون ما رووا، فيقولون: كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، والسبب في ذلك كله: هو أن الوضع والكذب يكون بحسب المناسبات، ثم باختلاف الأشخاص: ((ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا))[النساء:٨٢].

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٢٨/٣٠

قال النعماني أحد علماء الشيعة الكبار وهو يصف حال الشيعة في ذلك الوقت –وهو من علماء القرن الرابع الهجري– يصف حال الشيعة في وقت الاضطراب والتخبط في الرويات يقول: (إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش؟ هذا وله الآن نيف وثمانون سنة، فمنهم من يذهب إلى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده...... ويستهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمر). [الغيبة (ص:١٠٣)]

ثم قال: (أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير ولم يبق إلا النذر اليسير؟ وذلك لشك الناس). [تطور الفكر السياسي (ص:١٢٠)]

وقال ابن بابويه: (رجعت إلى نيسابور وأقمت فيها، فوجدت أكثر المختلفين علي من الشيعة، قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة). [قاله في: كمال الدين في المقدمة]." (١)

١٣٣. "وما ألفنا هذا الكتاب، وما جمعنا فيه النصوص إلا للتنبيه على أنه لا ينبغي التصور بأن أهل السنة بلغوا من الجهل إلى حد أن تلعب بهم، وبعقولهم، وقلوبهم، وعقائدهم وليدة اليهود وربيبة المجوس.

وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية، ناقمة على الإسلام، وحاقدة على المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملة هذا الدين، والتابعون لهم بإحسان، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، ثم قد بينا فيه عقيدتهم في القرآن، أساس الإسلام، وأصله، ورسالة الله التي جاء بها محمد النبي –الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام– إلى الناس كافة، ببيان واضح، مستند، مفصل، لم أسبق إليه بفضل الله ومنه.

كما أوضحنا أن الكذب (باسم التقية) هو شعار الشيعة قاطبة، ويعدونه من أطيب الأعمال، وأعظم القربات إلى الله.

وورد تحت هذه المواضيع الثلاثة مباحث ومواضيع كثيرة أخرى مثل: عقيدتهم في الله، وفي رسول الله، وأصحاب رسول الله، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعقيدتهم في أئمتهم، ورأي الأئمة فيهم، والأسس لهذا المذهب، والأصول التي قام عليها، وسبب الخلاف بينهم وبين أهل السنة من المسلمين.

ونرى في ذلك المختصر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقتهم، وحقيقة معتقداتهم، وحتى للسذج من الشيعة الذين اغتروا بحب أهل البيت وولايتهم، إن أرادوا الحق والتبصر؛ لأن أكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم حيث أمر صناديدهم بكتمان المذهب كما هو المكذوب على جعفر الصادق أنه قال لأحد

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٨٤/٣٠

شيعته: [[يا سليمان! إنكم على دين، من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله]].([١٢])
وقد التزمنا في هذا الكتاب أن لا نذكر شيئا عن الشيعة إلا من كتبهم، وبعباراتهم أنفسهم، مع ذكر الكتاب، والمجلد، والصفحة، والطبعة، بحول الله وقوته، وكل ما ذكرناه من كتب الشيعة في هذا الكتاب، هي الكتب المستندة المشهورة والموثوقة عندهم([١٣]).." (١)

١٣٤. "اختلفوا فيه أيما اختلاف، وضلوا فيه أيما ضلال، وكفر بعضهم بعضا غاية التكفير بسبب الخلاف في ذلكم المهدي المنتظر، فقالت فرقة من فرق الإمامية -ومنها الاثنا عشرية التي في إيران حاليا-: إن المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا: إن محمد بن الحسن هذا دخل السرداب، وسيخرج ليعيد العدل والقسط إلى البلاد وعلى العباد، بعد أن ملئت ظلما وجورا، وسينتصر من كل من آذى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيعيد ويحيي الذين ظلموا آل بيت رسول الله، فيمزق شملهم ويفرق جمعهم.
ويقف على سردابه الإيرانيون الآن، يلطمون الخدود ويشقون الجيوب، رجالا ونساء وأطفالا قائلين: يا محمد! يا مهدي! اخرج فقد ملئت الأرض ظلما وجورا، ويبكون وتسيل الدموع على خدودهم انتظارا لهذا المهدي المنتظر، وفي الحقيقة أنه شخصية لا وجود لها من الأصل، لأن أبا هذه الشخصية المزعومة كان عقيما، لا يولد له ولد، وأثبت ذلك العلويون الذين ينتهي نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهم يسطرون أنسابهم أبا عن جد إلى رسول الله، فسطروا في الحسن هذا أنه لم يولد له، ولكن لكي تبقى الإمامة ادعوا أن أمه -أم محمد - ولدت ولدا وأخبأته عن الناس، فاختفى في السرداب، وكانت الأموال تجمع له، فيأخذها الذين على أبواب السرداب، فاختلفوا فيما بينهم، فجاء رجل اسمه محمد بن نصير وأراد أن يكون هو محمد بن الحسن ليتقاضى الأموال، فرفضوا ذلك رفضا شديدا، فانفصل هو بفرقة سماها النصيرة لرفضهم أن يكون هو الخليفة، وأن يكون هو البواب على السرداب، قالوا: وكان على السرداب رجل زيات، له دكان، فكان على الأموال التي تأتي للسرداب، فانشق هو عليهم وأنشأ فرقة أخرى تسمى النصيرة، وأصبح له أتباع ألهوه كما ألهت فرق الشيعة غيره.." (٢)

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٤٦/٣١
(٢) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٧٨/٣١

١٣٥. "*تضارب الروايات في مدة غيبة المهدي: ... ٦٠٢
*سبب الخلاف في مدة غياب المهدي: ... ٦٠٤
*ممن ادعى نيابة المهدي؟ ... ٦٠٨
*أدلة تدل على كذب من ادعى نيابة المهدي: ... ٦٠٨
*روايات مولد المهدي حديثيا وهي ست عشرة رواية: ... ٦١٣
*قصة المهدي مع الأسود الضارية: ... ٦١٣
الباب الخامس –تزييف التقريب ... ٦٢٦
التبشير بالتشيع ... ٦٢٦
تنبيهات مهمة ... ٦٢٧
وحدة المصدر في التلقي والتمذهب ... ٦٢٨
دعوة التقريب ... ٦٣٠
تاريخها: ... ٦٣٠
مراحل دعوة التقريب ... ٦٣١
وسائل نشر الرفض والتشيع: ... ٦٤٦
الطريق لوحدة المسلمين والتحذير من البدعة الكبرى: التقريب بين الحق والباطل ... ٦٥٠
حقيقة وحجم الصراع بين الأجنحة الثلاثة ... ٦٥٧
أضواء على الخطة السرية دراسة في الأسلوب الجديد لتصدير الثورة الإيرانية ... ٦٦٧
تصدير الثورة في مفهومها الجديد !!! ... ٦٧٢
ثانيا – الوقيعة بين أهل السنة والحكام : ... ٦٨٢
ثالثا – استغلال القانون في تنفيذ الخطة : ... ٦٨٣
رابعا – تطبيقات جزئية للخطة: ... ٦٨٧
الدستور الإيراني والوحدة الإسلامية ... ٦٨٩
مهلا يا دعاة التقريب ... ٦٩٩
إطلالة على دعوى التقريب: ... ٦٩٩
السنة هم النواصب عند الشيعة: ... ٧٠٠

نصوص ركنية الولاية عند الشيعة الإمامية: ... ٧٠١

الشهادتان ليستا ركنا مهما من أركان الإيمان: ... ٧٠٢

الصواب في مخالفة أهل السنة في الأحكام: ... ٧٠٢

الباب السادس- آل البيت عليهم السلام ... ٧٠٤

الغلو في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة ... ٧٠٤

حقوق أهل البيت بين السنة والبدعة ... ٧٢٢

مقدمة الرسالة ... ٧٢٦

وحدة المسلمين بالكتاب والسنة ... ٧٢٨

أهل البيت وخصائصهم ... ٧٣٠

سب الصحابة... حرام على ال البيت وغيرهم: ... ٧٣٣

جهل الشيعة بمذهب الامام علي ... ٧٣٥

عوامل الضلال ... ٧٣٧

اهل الاستقامة... عند المصيبة ... ٧٤١

بدع وضلالات ... ٧٤٤

النذور للمشاهد والمساجد: ... ٧٤٧." (١)

١٣٦. "وبعد: فهذه جملة مختصرة من أقوال سلف الأمة في بيان المعتقد الحق في أفعال الله وصفاته التي تكون بمشيئته وقدرته، وأقوالهم – رحمهم الله – تفوق الحصر في بيان هذا المعتقد عرضا له، وردا على مخالفيه من الجهمية ومن وافقهم (١٠٤). وقد كان الناس على قول واحد في صفات الله وأفعاله الاختيارية وهو الإيمان بها، وأنها متعلقة بمشيئة الله وقدرته، وأن الله متصف بها وهي قائمة بذاته سبحانه وتعالى.

حتى جاءت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات الاختيارية عن الله نفيا مطلقا فلا يقوم بالرب – عندهم – شيء من الأمور الاختيارية، فلا يرضى على أحد بعد أن لم يكن راضيا عنه، ولا يغضب عليه بعد أن لم يكن غضبان، ولا يفرح بالتوبة بعد التوبة؛ ولا يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن الكلام قائم بذاته. ويجعلون هذه الأمور الاختيارية مخلوقا منفصلا عن الله – تعالى –.

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١١/٣٢

وكان الناس بعد ظهور الجهمية والمعتزلة فريقين حتى ظهرت الكلابية ومن وافقهم كأبي الحسن الأشعري(١٠٥) وأبي العباس القلانسي(١٠٦) ، ومن وافقهم من السالمية(١٠٧) وغيرهم، فأثبتوا بعض الصفات لكنهم لم يثبتوا الصفات الاختيارية التي تكون بمشيئة الله وقدرته، فالصفات التي أثبتوها هي قديمة بأعيانها لازمة لذات الله كالعلم والقدرة، وأما ما يكون بمشيئته وقدرته فلا يكون إلا مخلوقا منفصلا عنه، فلا تقوم الصفات الاختيارية - عندهم - بذات الرب - جل وعلا (١٠٨)- .

ومنشأ الخلاف بين الكلابية ومن وافقهم وبين أهل السنة: في مسألة الخلق: هل هو المخلوق أم غيره؟ والفعل هل هو المفعول أم غيره؟

وقد ذكر الإمام البخاري (ت - ٢٥٦هـ) رحمه الله وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن نزاع الناس في أفعال الله اللازمة كالمجيء والإتيان والاستواء، والأفعال المتعدية كالخلق والإحسان والعدل ناشئ عن النزاع في هذه المسألة(١٠٩) .." (١)

١٣٧. "وصلة مسألة الخلق هل هو المخلوق أم غيره؟ بالصفات الاختيارية هي في بدء خلق السماوات والأرض حين خلقها الله عز وجل ولم تكن قبل ذلك، وقد تجددت له صفة الخلق وهي ما يسميه المتكلمون (حلول الحوادث بالرب)، فيقولون: إن الصفة (الخلق) هي مخلوق منفصل عن الله عز وجل لا يقوم بذات الرب، فالخلق هو المخلوق، والصفة مخلوقة، وقال بعضهم: إن الصفة قديمة بأعيانها لازمة لذات الرب كما تقدم بيانه(١١٥).

ومن منشأ الخلاف - أيضا - بين أهل السنة ومخالفيهم في الصفات والأفعال الاختيارية: مسألة المضافات إلى الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة والتفريق بينها، وأنها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إضافة الصفة إلى الموصوف فهي: إما إضافة اسمية، كقوله - تعالى -: ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقوله تعالى: ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات: ٥٨] .

وإما بصيغة الفعل كقوله تعالى: ﴿)علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وقوله: ﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا﴾ [المزمل: ٢٠] .

القسم الثاني: إضافة المخلوقات والأعيان: كقوله تعالى: ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ [الحج: ٢٦] ، وقوله - تعالى -: ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ [الشمس: ١٣] ، وقال تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٧٢/١٠٦

﴾ [الإنسان: ٦] .

وهذه الأعيان إذا أضيفت إلى الله – تعالى – فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدرة، ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: ﴿ هذا خلق الله﴾ [لقمان: ١١] .." (١)

١٣٨. "وأما السفر لأجل زيارة القبور، فالصحيح هو تحريم إنشاء ذلك السفر؛ وذلك استنادا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»(٣٦) .

قوله: (لا تشد) بضم أوله على البناء للمفعول بلفظ النفي، والمراد النهي.

(الرحال): جمع رحل وهو كور البعير وهو للبعير كالسرج للفرس، وكني بشد الرحال عن السفر؛ لأنه لازمه، وخرج ذكرها مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلا فلا فرق بين ركوب الرواحل والخيل والبغال والحمير، والمشي في المعنى المذكور.

(إلا إلى ثلاثة مساجد): الاستثناء مفرغ، والتقدير: لا تشد الرحال إلى موضع، ولازم هذا التقدير: منع السفر إلى كل موضع غيرها؛ لأن المستثنى منه في المفرغ مقدر بأعم العام.

(المسجد الحرام): أي المحرم، وهو كقولهم: الكتاب بمعنى المكتوب، والمسجد بالخفض على البدلية، ويجوز الرفع على الاستئناف.

(ومسجدي هذا): أي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة.

(ومسجد الأقصى): أي بيت المقدس، سمي بالأقصى: لبعده عن المسجد الحرام في المكان، وقيل: لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبث(٣٧) .

قال النووي (ت – ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه الحديث: (فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة، ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولفضل الصلاة فيها)(٣٨) .

ونقل الحافظ ابن حجر (ت – ٨٥٢هـ) رحمه الله خلاف العلماء في حكم شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة كزيارة القبور وغيرها، فنقل عن أبي محمد الجويني(٣٩) حرمة شد الرحل إلى غيرها عملا بظاهر الحديث.

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٠٦/١٧٦

وقال بعض الشافعية بعدم الحرمة، ولم يقل أحد من العلماء المعتبرين بسنية السفر لزيارة القبور .(٤٠)
وذكر الشيخ مرعي الحنبلي(٤١) رحمه الله منشأ الخلاف بين القولين، وهو من احتمالي صيغة الحديث (لا تشد الرحال)، فهي ذات وجهين: نفي ونهي.." (١)

١٣٩. "تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.
ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:
لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلا في قتلهم من كلا الجيشين أفرادا، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سببا في نشوب الحرب بين الصفين.

معركة صفين:
لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعا وتطلعا للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.
فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأسا، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل عليا على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.." (٢)

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٢٢٧/١٠٦

(٢) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٤٠/١٦٥

١٤٠. "وقد بين ابن تيمية سبب الخلاف في فهم المراد بالتأويل فقال : " أصل ذلك أن لفظ التأويل فيه اشتراك بين ما عناه في القرآن ، وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف ، وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن"(١)[١٨]) ثم بين أن معاني التأويل ثلاثة ، فقال : " التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف ...

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا ، وهذا ـ والله أعلم ـ هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ، ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره : القول في تأويل قوله كذا وكذا ، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ، ونحو ذلك ، ومراده التفسير .

والمعنى الثاني في لفظ السلف ، وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا ، هو نفس المراد بالكلام ، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الشئ المخبر به(٢)[١٩]) .

التفسير والتأويل والمعنى :

وقد يطلق على التفسير أيضا المعنى ؛ فالفراء ـ مثلا ـ سمى تفسيره " معاني القرآن " ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيي عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، وقال مثل هذا ابن الأعرابي (٣)[٢٠]) .

وروى عن ابن مسعود أنه قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن (٤)[٢١]) .

---

(١) [١٨]) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ١ / ١٠٦ .

(٢) [١٩])) المرجع السابق ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٣) [٢٠]) راجع لسان العرب ، مادتى " فسر " و " أول " .

(٤) [٢١])) انظر تفسير الطبري تحقيق شاكر ١ / ٨٠ .." (١)

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٤٠٥/١٧٧

١٤١.   "لما لم يظهر في الرواية السابقة ، جاءت الرواية عنه أيضا أنه قال : يا ثابت إن الله كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما أن قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة [اشتد غضب الله . فأخر البداء المعروف عند الشيعة] . قال : فحدثناكم أنه سيخرج سنة ١٤٠ فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر ، فلم يجعل الله له بعد ذلك عندنا وقتا .

كيف يقولون هذا ؟ وخروج الحسين أصلا كان بأمر من الله له ؟ كما يدعون وأن الحسين لا يموت إلا باختياره ، وإنه إنما خرج بأمر الله تبارك وتعالى له ، وإن الإمام عندهم لا يموت إلا بعلمه ، فجاءت الرواية التي تكذب كل ما سبق عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال : كذب الوقاتون إنا أهل البيت لا نوقت .

طيب ... والمواقيت التي مرت !! ، لا شك أنها كذب إذن على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءت الرواية الثانية عن أبي عبد الله قال : من وقت لمهدينا وقتا فقد شارك الله تعالى في علمه ، البحار ٥٣ /٣

روايات مضطربة ..... كيف الخروج من هذه الروايات ؟؟؟؟

للخروج منها جاءت الرواية الفاصلة التي تقطع الإشكال كله ، عن أبي جعفر أنه قال : إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله تؤجروا مرتين .

وللأسف وجدت هذه الرواية آذانا صاغية ، وقبلت هذه الرواية ، وهم كما يرون عن أبي الحسن أنه قال : الشيعة تربى بالأماني منذ ٢٠٠ سنة ، وهذا في الكافي ١/ ٣٩٦

سبب الخلاف ؟

لماذا اختلفت هذه المدد ؟ مرة بسبب قتل الحسين ، ومرة بسبب أنهم أذاعوا الستر ، ومرة يكذبون ما رووا ، فيقولون : كذب الوقاتون ، وهلك المستعجلون ، والسبب في ذلك كله هو أن الوضع والكذب يكون بحسب المناسبات ، ثم باختلاف الأشخاص ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .." (١)

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٣/١٨٠

١٤٢. "مستحقين للأموال فأباح الله لعباده قتلهم وأخذ أموالهم فصارت فيئا أعاده الله على عباده المؤمنين لأنهم هم المستحقون له وكل مال أخذ من الكفار قد يسمى فيئا حتى الغنيمة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين ليس لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم لكن لما قال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب سورة الحشر وقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى سورة الحشر صار اسم الفيء عند الإطلاق لما أخذ من الكفار بغير قتال وجمهور العلماء على أن الفيء لا يخمس كقول مالك وأبي حنيفة وأحمد وهذا قول السلف قاطبة وقال الشافعي والخرقي ومن وافقه من أصحاب أحمد يخمس والصواب قول الجمهور فإن السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه تقتضي أنهم لم يخمسوا فيئا قط بل أموال بني النضير كانت أول الفيء ولم يخمسها النبي صلى الله عليه وسلم بل خمس غنيمة بدر وخمس خيبر وغنائم حنين وكذلك الخلفاء بعده لم يكونوا يخمسون الجزية والخراج ومنشأ الخلاف أنه لما كان لفظ آية الخمس وآية الفيء واحدا اختلف فهم الناس للقرآن فرأت طائفة أن آية الخمس تقتضي أن يقسم الخمس بين الخمسة بالسوية وهذا قول الشافعي وأحمد وداود

٦

١٠٨." (١)

١٤٣. "تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.
ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:
لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٦٢/١٨٧

بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلا في قتلهم من كلا الجيشين أفرادا، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سببا في نشوب الحرب بين الصفين.

معركة صفين:

لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعا وتطلعا للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.

فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأسا، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل عليا على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.." (١)

١٤٤. "٧. لقد كان مالك بن نبي مقلدا لابن خلدون في مفهوم سقوط الحضارات، ولكن ... بذكر أسباب جديدة للدمار .

٨. إن المفهوم الحضاري لمالك يختلف عن مفهوم سيد قطب للحضارة، وهذا هو ... سبب الخلاف بينهما.

٩. إن ابن نبي يحلل الحضارة من خلال مفكرين غربيين أمثال كسر لنج ... وفرويد ونيتشه، وذلك نتيجة تأثره بالفكر الغربي بينما كل من سيد قطب وأبي الأعلى ... المودودي وسعيد حوى يحللون مفهوم الحضارة من خلال الإسلام .

١٠. لقد حارب ابن نبي الاستعمار الفكري، وكتب في ذلك أكثر كتاباته، وذلك ... نتيجة كرهه للاستعمار الفرنسي المحتل لبلده .

١١. يظهر البحث قدرته الفائقة على التحليل، وخاصة في دراسته للاستعمار.

١٢. أبدع في الرد العقلي على المستشرقين، مما جعل العديد منهم يسلم.

١٣ . قدم نقدا قويا للفكر الاقتصادي الرأسمالي.

١٤ . وقع في تناقض كبير في مناقشته للديمقراطية.

---

(١) مجموع مؤلفات فضائل آل البيت والصحابة ٣١/٤٠

١٥ . ناقش الفكر الماركسي الشيوعي بموضوعية وعقلانية كبيرة، حيث أثبت فساد ... هذا الفكر، في الوقت الذي انبهر به كثير من المفكرين .

١٦. لمالك بن نبي قدرة فائقة على استنباط مصطلحات خاصة به في كثير من ... القضايا التي يدرسها .

١٧. يؤخذ عليه دعمه لرائد الفكر القومي جمال عبد الناصر، ونقده غير الصواب ... للمفكر الإسلامي سيد قطب.

١٨ . أيد الوهابية واعتبرها الفكرة المنقذة للعالم الإسلامي.

١٩. عدم توفيقه بالنسبة لموقفه من الأفغاني وعبده، وذلك بمدحه الخاطئ لهما.

٢٠ . كان يميل إلى طريقة عبد الحميد بن باديس السلفية التغييرية.

٢٣. قد كان له موقف واضح بالنسبة للإمام حسن البنا، واصفا إياه بالزعيم من ... حيث قدرته على تحويل الآيات إلى منهج عملي حركي ، واتباع المنهج السلفي .." (١)

١٤٥. "ولهذا فسوف نتتبع تطور العقائد والخلافات، من خلال العرض التاريخي للأحداث المسببة لها، وبذلك نصل إلى معرفة أشمل وأعمق، لا سيما عن الاتجاهات الثلاثة، وخاصة "الاتجاه التوسطي" .

و يبدأ تاريخ الخلاف بينهم بما أحدثه "نافع بن الأزرق الحنفي"، زعيم الخوارج الأزارقة حول الحكم على "الدار" وعلى معاملات أهلها، وهي القضية التي أصبحت أصلا من أصول الخوارج المنهجية قديما وحديثا، إذ سائر الأحكام عندهم مترتبة عليها.

وكان سبب الخلاف الذي أحدثه نافع، أن امرأة من الخوارج عربية تزوجت أحد الخوارج من الموالي، فأنكر أهلها عليها ذلك، فأخبرت زوجها، وخيرته بين اللحاق بمعسكر نافع للدخول في دار الإسلام، أو الاختفاء، أو الطلاق، فخلى سبيلها، وأخذها أهلها فزوجوها ابن عم لها لم يكن على رأيها.

فاختلف الخوارج في حكمها، فعذرها بعضهم بأنها مجبرة و أن الدار بالنسبة لها دار تقية، إذ لا تستطيع إظهار دينها، وترفض الزواج بالمشرك!!

و لكن نافعا وحزبه لم يعذروها هي و زوجها، وقالوا: "كان ينبغي لهما أن يلحقا بنا، لأنا اليوم بمنزلة المهاجرين بالمدينة، ولا يسع أحدا من المسلمين التخلف عنا، كما لم يسع التخلف عنهم، وبرئوا من

(١) مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة ص/٢٢٤

القائلين بالتقية" .

ثم تطورت المسألة حتى كفروا كل من لم يهاجر إليهم، وإن كان على رأيهم، ولم يعذروه، وإن كانت إقامته تقية، وقالوا: إن كلم من لم يظهر موافقتهم كافر، لا تحل ذبيحته ولا مناكحته، بل لم يقتصروا على الكبار البالغين و إنما صرحوا بأن حكم الأطفال حكم آبائهم.

وقالوا: لا بد من امتحان من قصد دارنا، حتى نعلم صحة إسلامه.

وهكذا برزت قضية "الدار"، وأصبح من أصول الأزارقة المميزة لهم "أن كل كبيرة كفر، وأن الدار دار كفر – يعنون دار مخالفيهم – وأن كل مرتكب كبيرة ففي النار خالدا مخلدا"، و"أن من أقام في دار الكفر فكافر لا يسعه الخروج".." (١)

١٤٦. "٤- حدث شيء من جفوة بين الإمامين الجليلين، والصحابيين الكريمين، ولكن ليس بسبب الخلافة وإنما بسبب الإرث، إذ طلبت فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر حقها بإرث أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من فدك وسهمه في خيبر، فلم يقبل أبو بكر رضي الله عنه هذا الطلب، وأجاب بحديث والدها عليه أفضل الصلاة والسلام: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة)) ومع التسليم بهذا الحديث وفاطمة وعلي رضي الله عنهما على علم بهذا، وهي من أهل العلم؛ إلا أنه حدث شيء من جفوة، ولم تتعد ذلك. وكان علي رضي الله عنه يومذاك معتزلا في البيت، لا يتردد كثيرا على أ[ي بكر ينصحه ويستشيره، وإن كان بجانبه في معضلات الأمور، مثل الدفاع عن المدينة، وحرب المرتدين، ولعل ذلك كان بسبب مرض زوجه فاطمة رضي الله عنهما إذ شغل بتمريضها حتى توفيت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. وما يقال عن هجرانها لأبي بكر؛ فهذا كلام من لم يعرف طبيعة الإسلام؛ فمتى كانت النساء تتردد على الرجال أو يتردد الرجال على النساء؛ فمتى كانت النساء تتردد على الرجال أو يتردد الرجال على النساء؟! ثم إنها كانت مريضة لا تستطيع الخروج من بيتها، وأبو بكر كان مشغولا بأعباء الخلافة، إذا كانت تلك الأيام من أحلك ما مر على الدولة الإسلامية.

إذا بايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب وبنو هاشم كافة يوم بايع الناس،

(١) ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى ٢/٢٢٦

ولم يخالف أحد على أبي بكر لا من بني هاشم ولا من غيرهم.

* موقفه من خروج أبي بكر لمقاتلة عبس وذبيان:." (١)

١٤٧. "الرأي مخدوع في القول كما وصفوه بأنه كان على جانب كبير من الغفلة"١.

ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم حيث اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية كل هذه الصفات الذميمة يحاول المغرضون إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الآلاف من المسلمين وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذا الأمر إلى أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما إلا لعلمهم بما هما عليه من الفضل، وأنهما من خيار الأمة المحمدية ومن أكثرهم ثقة وورعا وأمانة فكيف يصف الغافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أمورا لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي:

الأمر الأول : أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو تثبيتها له.

الأمر الثاني:

أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رضي الله عنه من قتلته فلما طلب علي البيعة من معاوية "اعتل بأن عثمان قتل مظلوما وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك"٢ ومعنى هذا أن معاوية كان مسلما لعلي بالخلافة لأنه طلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة، أو إقامة الحد عليهم باعتباره أمير المؤمنين، وكان

---

١. انظر تاريخ الطبري ٥/٧٠، الكامل ٣/٣٣٢-٣٣٣، مروج الذهب ٢/٦٨٤-٦٨٥.

٢. فتح الباري ١٢/٢٨٤.." (٢)

---

(١) طعنة في قلب علي رضي الله عنه ص/٢٠

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ٢/٧٢٢

١٤٨. "فإذا قال لهم أولئك المعطلة : أنتم شبهتم، قالوا: أنتم عطلتم، لذا قال السلف الصالح : المعطل عابد عدم، والمشبه عابد صنم، فالمعطل عابد عدم لأنه يقول: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، وليس له يد، وليس له عين، وليس له أي صفة من الصفات، ولا يسمع ولا يبصر. إذا فهذا معدوم غير موجود فالمعطل عابد عدم

ولكن المشبه عابد صنم لأن الذي يقول يد الخالق كيد المخلوق، ووجهه كوجه المخلوق، وقدمه كقدم المخلوق، فإنما هو يعبد صنما، لأن الأصنام نحتت لكي تعبد من دون الله، لكي يقال: هذا هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والشاهد أن سبب الخلاف بينهما هو أن هذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي حظا، وهذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي الحظ الآخر، فأغرى الله بينهما العداوة والبغضاء.

فتجد في كتب المعطلة أنهم يكفرون المشبهة ، وفي كتب المشبهة يكفرون المعطلة ، وفي كتب المرجئة يكفرون الخوارج ، وفي كتب الخوارج يكفرون المرجئة ، أغرى الله سبحانه وتعالى بينهم العداوة والبغضاء، وهذا من أعظم أسباب الاختلاف أن لا يؤخذ الكتاب كله ولا يتلقى العلم والدين كله من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

السبب الثاني :- الشهوات وحب الدنيا

ومن أسباب الاختلاف: "الشهوات وحب الدنيا" فإن حب الدنيا يفسد النية والإرادة، وإذا فسدت الإرادة ودخل الدخن إلى القلب، فإن الأعمال تفسد، ويترتب على فساد الأعمال فساد في الاعتقاد، وأسباب ذلك تبدأ بسيطة لكنها فيما بعد تظهر وتبدو، حتى تكون منهجا من المناهج.." (١)

١٤٩. "١- أنه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي ص بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

٢- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة م على ميراث أبيها ص فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي ص قال:« نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة » (رواه البخاري).

٣- الخلاف الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه ن أجمعين من جهة أخرى ، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل ، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين ،

---

(١) فتح رب البرية في تقريب مقدمة شرح العقيدة الطحاوية ص/٤٨

فلماذا لم يظهر لهم النبي ص حتى يحقن هذه الدماء؟

٤- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب ط مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة ، ولو ظهر الرسول ص لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

٥- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية م والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جدا منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر النبي ص حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم.

أقوال بعض أهل العلم في هذه المسألة:

١- ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في(فتح الباري) (٣٨٥/١٢) «أن ابن أبي جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي ص في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك » ، ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله:« وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ويعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام ، ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف ..» " (١)

١٥٠. "السباق النووي بين الهند وباكستان ومخاوف الحرب الرابعة

أحمد أبو زيد

١٤٢٥/١٠/١٥

المناوشات العسكرية التي تدور بين الحين والآخر بين كل من الهند وباكستان، والتي قد تتحول في أي وقت إلى حرب رابعة بين الدولتين بسبب النزاع المزمن حول قضية كشمير المسلمة؛ التي مر عليها حتى الآن أكثر من نصف قرن، جعلت أنظار العالم تتجه إلى شبه القارة الهندية نظرا لخطورة الموقف، وامتلاك كل من الدولتين للأسلحة النووية، وتخوف العالم من اندلاع حرب نووية في المنطقة تأكل الأخضر واليابس، وتهدد شعوب المنطقة بالفناء والدمار.

فقد خاضت كل من الهند وباكستان ثلاث حروب منذ عام ١٩٤٧م، اثنتان منها بسبب النزاع حول ولاية كشمير المسلمة، الأولى عام ١٩٤٧م والثانية عام ١٩٦٥م، وفقدت باكستان في حرب ١٩٦٥م الكثير من قواتها أمام القوات الهندية، كما انتهت الحرب بتقسيم كشمير بين البلدين إلى كشمير الحرة الباكستانية، وكشمير المحتلة الواقعة تحت الحكم الهندي، وجاءت الحرب الثالثة عام ١٩٧١م وانتهت

---

(١) كشف شبهات الصوفية ص/٥٧

بانفصال باكستان الشرقية عن دولة باكستان، والتي سميت دولة "بنجلاديش".

التسابق النووي:

أما الحرب الرابعة المتوقعة والتي يتخوف العالم من اندلاعها فهي – إن وقعت – سوف تختلف شكلا ومضمونا عما سبقها من حروب نتيجة التطور الشديد في الأسلحة، والتسابق النووي الذي خاضته الدولتان في السنوات الأخيرة.

ففي مايو ١٩٧٤م بدأت الهند معركتها التكنولوجية بإجراء اختبار نووي في صحراء راجستان، لتعلن بذلك أنها اكتسبت المكانة النووية العسكرية تحت شعار سلمي، ومر عشرون عاما من الهدوء العسكري في شبه القارة الهندية في ظل القدرة النووية للهند، قامت فيها باكستان بجهاد علمي تكنولوجي شاق لاكتساب المكانة النووية العسكرية، وبدأت تظهر نتائج السباق النووي بين الدولتين عام ١٩٩٤م، حين أعلن نواز شريف (رئيس وزراء باكستان السابق) في لقاء جماهيري في الشطر الباكستاني من كشمير أن باكستان لديها القنبلة النووية، وأسرعت باكستان تنفي الخبر حيث كان نواز شريف وقتها (رئيس وزراء سابق).

ولكن في مايو ١٩٩٨م أعلنت باكستان أنها أصبحت دولة نووية، وردت على التفجيرات النووية الهندية اختبارا باختبار، وتفجيرا بتفجير، وكانت هذه أول مرة في تاريخ النزاع تستطيع باكستان أن ترد على الهند ردا متكافئا، وأصبحت المواجهة بين الدولتين مواجهة نووية وتكنولوجية.

وقد توقع الكثيرون – وخاصة في الهند وباكستان – أن عهدا من الاستقرار النووي سوف يسود شبه القارة الهندية في ظل التوازن النووي بين الهند وباكستان، اقتداء بما حدث بين أمريكا والاتحاد السوفيتي من استقرار نووي طوال مدة الحرب الباردة، خاصة وأن هامش الخطأ في شبه القارة الهندية ضئيل جدا لقرب المسافات بين البلدين والعاصمتين، وامتلاك كل منهما لوسائل الاتصال اللازمة من طائرات وصواريخ يمكن أن تصل إلى أهدافها في وقت قليل جدا.

هذا بالإضافة إلى قلق المجتمع الدولي بأكمله من التسلح النووي للبلدين، وتزايد احتمالات المواجهة النووية بينهما؛ مما خلق رأيا عاما ضاغطا يطالب بضبط النفس في شبه القارة عبر عنه قرار مجلس الأمن رقم ١١٧٢ الذي دعا الدولتين إلى مزيد من ضبط النفس، وتحاشي التهديدات العسكرية، واستئناف الحوار بينهما لإزالة التوتر، وإيجاد حلول مقبولة ومتبادلة لجذور القضايا التي تسبب التوتر بما فيها قضية كشمير.

وبالفعل دخلت الدولتان في حوار مباشر خلال السنوات الأخيرة حول قضايا النزاع بينهما وأهمها قضية كشمير، ولكن التعنت الهندي تجاه هذه القضية وإصرارها على احتلال الولاية المسلمة، والزعم بأنها جزء من الهند؛ حال دون الوصول إلى حلول مقبولة.

وفي أواخر مايو ١٩٩٩م تطور الموقف بين الدولتين في كشمير المحتلة، ووقعت أعمال عسكرية خطيرة، واشتباكات بالمدفعية الأرضية، وسلاح الطيران على حد الهدنة الفاصل بينهما، وبدأت الضحايا يتساقطون بالعشرات من الجانبين، وسالت الدماء، واضطر أكثر من خمسين ألف كشميري إلى النزوح من مناطق القتال إلى مناطق بعيدة فرارا من الغارات الجوية الهندية التي لا تفرق بين العسكريين والمدنيين.

وبعد فشل القمة الباكستانية الهندية في يوليو ٢٠٠١م تبادل البلدان النوويان الرمايات مرارا على طول خط المواجهة.

حادث البرلمان الهندي:." (١)

١٥١. "تحالف لغير المسلمين يرفض "الدولة الإسلامية"!

وسط الجدل الساخن الذي تشهده الأوساط السياسية الماليزية حول إسلامية الدولة أو حاجتها للأسلمة الفعلية، قال "المجلس الاستشاري للبوذية والنصرانية والهندوسية والسيخية" وهو تجمع لممثلي العقائد فيما عدا الإسلام بماليزيا إن ماليزيا دولة علمانية، وأن دستور البلاد الفيدرالي هو السلطة العليا للقانون في البلاد.

وحذر بيان صدر مؤخرا عن المجلس مما أسماه بتبديل "العقد الاجتماعي الذي بني على أساسه الدستور الفيدرالي"، مشيرا إلى أن مجلس الأديان الرباعي الذي يمثل ما نسبتهم أقل من ٤٠٪ من السكان غير المسلمين يعارض أي "مساس" به أو تغييره، ويضيف البيان: "عندما تأسست ملايا ثم ماليزيا، كان هناك عقد اجتماعي بين الجماعات الإثنية والدينية المختلفة حول شكل الدستور الذي يجب أن يحكم البلاد، وهذا العقد الاجتماعي هو الذي أدخل في الدستور الاتحادي ولا يمكن تغييره من دون استشارة وإجماع جميع المجموعات التي تشكل المجتمع الماليزي".

العقد الاجتماعي؟

ويستمر البيان في سرد الأحداث التي أدت إلى تكوين الهيكل القانوني لاتحاد ماليزيا والتي بدأت

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١١٩/٢

بمشاورات بين الحكومة البريطانية والسلاطين الملايويين وحزب التحالف في عامي ١٩٥٦و١٩٥٧م، وذلك بعد عام من أول انتخابات محلية يفوز بها حزب التحالف تمهيدا للاستقلال، ثم أعيد ذكر "العقد الاجتماعي" في تقرير اللجنة الدستورية عندما استقلت ملايا في أغسطس ١٩٥٧م، ثم تكرر الحديث عن العقد الاجتماعي في عام ١٩٦٢م بإشراك ولايتي صباح وسرواك (شمال جزيرة بورنيو) قبل اندماجهما مع اتحاد ماليزيا في العام الذي يليه وظهر "عقد اجتماعي"، يؤكد سابقه.

ويشير جوهر "العقد الاجتماعي" إلى أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، لكن ذلك لا يمنع الأقليات الدينية الأخرى من ممارسة شعائر دياناتها، والتمتع بالحريات الثقافية الكاملة، والنقطة المثيرة للجدل هي ما يدور حول معنى أن دين الدولة هو الإسلام، وفي هذا يقول مجلس أديان غير المسلمين: إن هذا لا يعني أنها "دولة إسلامية" ولكنها علمانية!.

استغلال للأجواء الدولية

ولعل من اللافت للنظر أن يعقد المجلس الاستشاري للأديان الأربعة فيما عدا الإسلام اجتماعات في الأسابيع الماضية، وسط الحملة الإعلامية الدولية التي تستهدف مفهوم وتطبيقات الدولة الإسلامية، حيث كان المجلس صريحا في التعبير عن "القلق والحذر البالغ من التطورات التي تشهدها البلاد مؤخرا".

وما يعنيه البيان هنا ما صرح به رئيس الوزراء الماليزي د.محاضير محمد في ٢٩-١١-٢٠٠١م من أن ماليزيا دولة إسلامية بالفعل، وذلك مقابل ما يؤكده قادة الحزب الإسلامي الماليزي المعارض من أنها لاتزال غير إسلامية، وأن الحزب الإسلامي يسعى لتحقيق ذلك فعليا حسب خطة متكاملة وضعها.

وقد التقى المجلس الديني الرباعي بقادة الأحزاب المشاركة في الحكم والتي تمثل الملايويين والصينيين والهنود وهم المجموعات الإثنية الرئيسة في البلاد وناقش المجلس مع السياسيين قضية إسلامية الدولة محاولين تحريك الأحزاب المؤيدة لرئيس الوزراء وحزبه من غير المسلمين ضد فكرة "الدولة الإسلامية"،، غير أن حزبي جمعية صيني ماليزيا وغيراكان وهما أكبر حزبين يمثلان الصينيين في الحكومة أكدا أن إعلان محاضير بأن ماليزيا دولة إسلامية واقعيا لن يضر بحقوق وحياة غير المسلمين، مستدلين بعدم حدوث أي تغيير سلبي تجاههم مهما صغر.

تكرار موقف عام ١٩٨٨م

وحسب قول أحد المحللين، فإن موقف المجلس الديني الرباعي في بيانه الصادر في ٣١-١-٢٠٠٢م، هو خروج واضح على الموقف الرسمي للأحزاب المنضوية تحت راية التحالف الوطني الحاكم، وأنه موقف

يؤيد موقف حزب العمل الديمقراطي المعارض، الذي يؤكد قادته أصحاب الخلفيات اليسارية وأكثرهم من الأقلية الصينية أنه يجب أن تظل ماليزيا دولة علمانية، مع أن دينها الرسمي هو الإسلام، وهو الموقف الذي كرر تأكيده رئيس الحزب في تصريح له يوم ٢٩-١-٢٠٠٢م.

غير أن الرئيس الحالي للمجلس الديني الرباعي الأسقف الكاثوليكي سوتير فيرنانديز ينكر هذا الربط وقال: إنه لا علاقة بين موقف مجلسه وموقف حزب العمل المعارض الذي ترك تحالف الأحزاب المعارضة بسبب الخلافات بينه وبين الحزب الإسلامي حول قضية أسلمة الدولة الماليزية، وقال الأسقف: "إذا قرأتم بياننا فستجدون أنه تأكيد لموقفنا في عام ١٩٨٨م حول حريات الأديان".

مسألة انتخابية

وكان كينج يايك أحد كبار السياسيين الصينيين في التحالف الحاكم قد دعا يوم ٢٧-١-٢٠٠٢م أكبر حزبين صينيين في الحكومة إلى التعاون معا لمواجهة محاولات حزب العمل المعارض إثارة مخاوف الجالية الصينية من قضية الدولة الإسلامية، مؤكدا أن على الحزبين توضيح الصورة الصحيحة لصينيي ماليزيا.." (١)

١٥٢. "٨ العلاقة مع حزبها: كيف سيكون أثر الانقسامات المعروفة في حزب ميجاواتي على أدائها وعلى الأجندة التي تحددها؟ فتأخر إعلان الحكومة لمدة ١٧ يوما كان بسبب الخلاف داخل كوادر الحزب وليس بسبب الخلاف بينها وبين الأحزاب الأخرى، ويرتبط هذا البعد بالمناخ السياسي الصعب الذي تعيشه إندونيسيا وعدم امتلاك حزب ميجاواتي إلا ٣٤ ٪ من مقاعد البرلمان؛ مما يجعل من الصعب على أي رئيس أن يحكم بسهولة، فهل ستستطيع ميجاواتي الحفاظ على حكمها وعلى أداء ما يريده الشعب منها ولو بنسب نجاح متواضعة قبل الانتخابات القادمة؟.

٩ البعد الإسلامي: اقتنعت ميجاواتي بأنها لا تستطيع الوقوف أمام الإسلاميين وجها لوجه فاتجهت إلى الديار المقدسة وأدت الحج والعمرة وعادت لتسمى الحاجة ميجاواتي ولتمحو التصور المعروف عنها بأنها زعيمة حزب يساري معاد للإسلام والمسلمين، فإلى متى ستستمر هذه العلاقة التفاهمية وهل ستمتنع عن فعل ما يضر مصالح المسلمين ويجرح مشاعر الإسلاميين وهي تعلم أن فترة العامين القادمين ستكون اختبارا لها يحدد خريطة التحالفات في الانتخابات القادمة؟.

١٠ التحدي الإنساني والاجتماعي: أمام ميجاواتي ١,٣ مليون لاجئ ومشرد و ٨٠ مليون طفل منهم

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٤ /٢٠٠

١٠ ملايين على الأقل دون تعليم و ٨٠ مليون إندونيسي دون قدرة مالية على شراء أدوية، وغير ذلك من الأوضاع الاجتماعية والإنسانية المأساوية التي يعيشها عشرات الملايين ولا تنقلها لنا وكالات الأنباء المنشغلة بالجانب السياسي، فماذا ستفعل لهم؟!.

ونختم بالقول بأن ميجاواتي ظلت طوال الفترة الماضية أملا مصطنعا في أذهان البعض من الجماهير الفقيرة الباحثة عن قيادة تثق بها بعد فترة سوهارتو وتجريب وحيد..لكن الترحيب بالقادم ليس دليلا على نجاح الخاتمة..فهي تواجه مهمات صعبة وثقيلة جدا..وهي بلا شك لا تمتلك وصفة سحرية وليس لديها الكثير سوى عامين لتواجه انتخابات أخرى..وإذا شعر الناس بأنها لم تؤد المهمة على الوجه الذي تستحق...فقد يثور حينذاك طوفان آخر..!=>

===============." (١)

١٥٣. "ويشارك القساوسة -بشكل فاعل- في هذه الحملة، إلا أن الكثير منهم يحاول أن يغلف حربه في إطار من الموضوعية الزائفة، واضعا بذلك السم في العسل ،ويجسد ذلك القس الإيطالي (كورسانيرو) الذي أدلى بدلوه في هذا المجال، وإن كان أخفى كثيرا من الحقائق، فهو يقول: "كنا نعيش في مجتمعات مسيحية حتى عقود مضت، وكنا ننظر للزواج بمفهومنا باعتباره سرا مقدسا. فالله هو الذي يبارك الشخصين عند زواجهما، أما الآن فيمكن اختيار الزواج المدني البحت ". ويشرح ذلك قائلا: "هو عبارة عن عقد بين طرفين، وهو ما يقربنا من مفهوم الزواج الإسلامي. فمن يتزوج في الإسلام لا يرتبط بالطرف المقابل، سواء كان رجلا وامرأة فحسب، وإنما عائلتان تتحدان معا ". ويأسف القس على أن الكاثوليك لم يعودوا يفكرون بنفس الطريقة السابقة، ويقول" "إن هذا لم يعد واردا فقد تراجع الكاثوليك، وأصبح الشاب والشابة الكاثوليكيان لهما القرار المنفرد، حتى و إن كان قرارهما متعارضا مع رغبة الوالدين ". وهنا يبدو التراجع عن مبدأ الحرية الغربية عندما توضع على المحك. ويضيف " وأعتقد أن سلطة الأبوين أصبح من الصعب ممارستها ". ويتابع "هناك مشاكل كثيرة في موضوع الزواج المختلط (زواج المسلمين من الكاثوليكيات)، ومنه الزواج المؤقت، والذي تفرضه ضرورات الواقع، فهو بالنسبة للمسلم وسيلة للحصول على الجنسية، أو المأوى "كما لا يفرق القس في حديثه بين الزواج الحقيقي وما يسميه بالمؤقت، بل ربما كان الأخير أحب إليه، وعندما قيل له بأن هناك أيضا الزواج الذي يتم بين المسلم و النصرانية بدافع الحب، قال " هذا الزواج الحقيقي "

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٢٤٣/١٤

بيد أنه شككك في ذلك بالقول " ليس لدي إحصائيات، ولكن هناك عدم فهم في الزواج المختلط، وصعوبات تعترض زواج المسيحية من مسلم، ونسب انفصال مرتفعة؛ لأن كثيرا من العلاقات ليست مبنية على الحب، وإنما على المصلحة ". وبدأ القس يتحدث عن الفروقات الثقافية والدينية وغياب الأسباب التي كانت مجرد مطية للرفض، وقال: " هناك معطيات تؤخذ كحقائق، ولكنها غير دقيقة، فالموقف الذي يتخذ من المرأة –سواء في أوروبا الشرقية التي تعيش فترة مخاض– يختلف عن وضع المرأة في المغرب مثلا، حيث إن تقبيل يد المرأة غير مقبول ". ولو كان القائل إنسانا عاديا لما أثير كلامه أي تعليق، ولكن القس بدأ يتملق مفاهيم المجتمع الغربي رغم بعده عن التعاليم الكنسية، كما لم يتطرق إلى مشاكل الزواج التي تحدث بين الكاثوليكيين أنفسهم، أو بين الإيطاليات والأجانب القادمين من أوروبا الغربية أو الشرقية، والتي تشير الإحصائيات إلى أنها أكثر عددا وأكبر صعوبة من مشاكل الزواج التي تتم بين المسلمين والكاثوليكيات الإيطاليات، إضافة إلى أن أغلب النساء الإيطاليات اللاتي يتزوجن من المسلمين حوالي ٨٠ ٪ منهن سبق لهن الزواج من إيطاليين، وانفصلن عنهم بسبب الخلافات أو أمور أخرى. مما ينسف الأسس التي بنى عليها القس تصوراته .

الحرب من الداخل

والغرض الرئيس من تلك الحملة، هو وقف موجة الدخول في الإسلام في الغرب، من خلال تشويه المجتمع الإسلامي والتركيز على ما يراه بعض الغربيين حدا من حرية المرأة، من خلال عدد من كتابات بعض المنتسبين للعرب والمسلمين؛ ليحظوا برضا الغرب، ومن بين تلك الكراسات حكايات أحد المغاربة عن أمه التي بدأ يسرد قصتها، وكيف أنها نشأت في ظل أسرة مسلمة قضت على حريتها الشخصية وفكرها. وكعادة المتحدثين في حقوق المرأة، والذين يتخذون من بعض التقاليد والممارسات الخاطئة مطية للتعدي على قيم المجتمع الكلية والضمير الجمعي للأمة، مغفلين القيم الإسلامية وما أرسته من حقوق للمرأة حرمتها منها ما سواها من قيم، بل تحاول الدعاية الغربية التي تستند بشكل انتقائي لبعض ما يكتبه المنهزمون إلى نماذج خرافية أو شاذة في المجتمعات الإسلامية، وعلى ذلك نجد أن المجتمع الإسلامي يتعرض لغزو شامل، ومحاولة تفكيكه اجتماعيا وأخلاقيا لا تقل عن محاولات تفكيكه سياسيا وجغرافيا، والطابور الخامس موجود في كل مفاصل عالمنا الذي سلمه الاستعمار لتلاميذه من العلمانيين والعملاء في كل القطاعات، وكما هو واضح فإن ما يردده الببغاوات عندنا مصدره مراكز استعمارية في الغرب، وجهاد هذا المسلك لا يقل عن الجهاد في الميادين الأخرى، بل

ربما نحن أحوج ما نكون إليه من غيره

============." (١)

١٥٤. "أما على الجانب الآخر، فلم يكن هناك تنسيق بين بلدان الضفة الجنوبية من شأنه أن يشكل عامل توازن مع الأوروبيين، ويحدد أجندة خاصة بها بالتوازي مع الأجندة الأوروبية. فالاتحاد المغاربي كإطار إقليمي وحيد يجمع أكثر البلدان الاثني عشر التي وقعت على إعلان برشلونة كان إطارا جامدا بسبب الخلافات المغربية ـ الجزائرية، والخلافات الليبية ـ المغاربية على خلفية تخلي الأعضاء الآخرين في الاتحاد عن دعمهم لها في ملف (لوكيربي) وطائرة (يوتا) الفرنسية، وفوق ذلك تم استبعادها من المشاركة في قمة برشلونة نظرا لوجودها تحت طائلة العقوبات المفروضة عليها من

الأمم المتحدة منذ العام ١٩٩٢، وحضرت فقط بصفة مراقب ، فشاركت كل دولة من الدول الأربع المتبقية (المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس) منفردة لا كجزء من إطار إقليمي مشترك. ومن جهة ثانية تم إقحام إسرائيل في مشروع الشراكة المتوسطية من طرف الأوروبيين ، كدليل على رغبتهم في لعب دور في مسلسل السلام في المنطقة، وكان ذلك أحد عناصر الهدم المبكرة في ضوء الإخفاق المتكرر لمشاريع التسوية السياسية، وعدم حصول ميل عربي ـ علني على الأقل ـ إلى التطبيع مع الدولة العبرية وقتها. كل هذه المعطيات جعلت مسلسل برشلونة حوارا ناقصا بين طرفين يوجدان في وضعية غير متكافئة، طرف يستمع فقط ، وآخر يتحدث أو يملي.

ثلاثة مسارات

تمحور مشروع الشراكة الأورومتوسطي كما صاغه إعلان برشلونة عام ١٩٩٥ حول ثلاثة مسارات: المسار السياسي والأمني، من خلال السعي إلى إقامة منطقة مشتركة للسلام والاستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ويرتبط بهذا الهدف تقوية التعاون الأمني بين الأطراف، وتنسيق السياسات لمحاربة الإرهاب والعنف والجريمة المنظمة والقيام بإصلاحات سياسية.

ثم المسار الاقتصادي والتجاري والمالي الذي يرمي إلى بناء منطقة مشتركة للازدهارمن خلال حل معضلة المديونية التي تثقل كواهل بلدان الجنوب، وتشجيع التعاون بين الأطراف، ومساعدة الأوروبيين لدول الجنوب من أجل تحقيق النهوض الاقتصادي، وإيجاد فرص الشغل، وإدخال الإصلاحات الهيكلية على مؤسساتها الاقتصادية، وتعديل القوانين الموجودة لجلب الاستثمار، عبر آلية أطلق عليها

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٤ /٤٨٠

برنامج "ميدا" للدعم المالي، ويسعى هذا المسار إلى إنشاء منطقة للتبادل الحر بحلول عام ٢٠١٠. أما المسار الثالث والأخير فهو الجانب الثقافي والاجتماعي، ويرتبط بذلك إصلاح البرامج التعليمية، وتنمية الموارد البشرية، وإيجاد ثقافة للتسامح واحترام الهوية الثقافية للدول.

وبالرغم من أنه أريد لهذه المسارات الثلاثة أن تسير متلازمة مع بعضها، إلا أن الواقع أظهر في السنوات القليلة التالية للتوقيع على إعلان برشلونة، وطيلة المؤتمرات التي عقدت حتى اليوم (مالطا ١٩٩٧، شتوتغارت ١٩٩٩، مرسيليا ٢٠٠٠، فالنسيا ٢٠٠٢، نابولي ٢٠٠٣ واللوكسمبورغ ٢٠٠٥) أن الأوروبيين غير مستعدين للوفاء بالوعود التي قطعوها على أنفسهم أمام بلدان الجنوب، سواء من خلال عدم الجدية في التعاطي مع أزمات الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية تحديدا ؛ إذ بقيت علاقة أوروبا بالمنطقة قاصرة على الدعم المالي دون لعب أي دور سياسي، وفي حالات كثيرة كانت تتهرب من إدانة العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ولا تتخذ قرارات واضحة وصريحة، أو من خلال ضعف المعونات المالية المرصودة ضمن برنامج (ميدا) التي لم ترق إلى طموح بلدان الضفة الجنوبية؛ إذ لم تكن تمثل قيمة ما يقدمه هذا البرنامج في الفترة ما بين (١٩٩٥ –٢٠٠٠) سوى خمسة مليارات يورو، وظل نفس الغلاف المالي تقريبا مخصصا للمرحلة الثانية من البرنامج للفترة ما بين (٢٠٠٠ –٢٠٠٦)، مما أعاق –بحسب العديد من المهتمين الأوروبيين أنفسهم– تحقيق أهداف مشروع برشلونة فيما يتعلق ببلدان الجنوب، الأمر الذي دفع الأوروبيين إلى إعادة النظر في البرنامج، فأعلن وزير الخارجية الإسباني (ميغيل أنخيل موراتينوس) لوكالة (أوروبا بريس) قبل أسبوع أن الاتحاد الأوروبي سيرفع الدعم المالي المخصص ضمن برنامج (ميدا) للفترة ما بين (٢٠٠٧ –٢٠١٣) إلى (١٥٠٠) مليون يورو، الأمر الذي يؤكد أن الأوروبيين. بعد عشر سنوات من انطلاق المسلسل. باتوا يدركون محدودية الشراكة كما تم وضعها في إنفاذ أهدافها المرسومة.

الأجندة الأمريكية في مقابل الأجندة الأوروبية

لقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١ منعطفا حاسما بالنسبة لمسار الشراكة الأورومتوسطية، وللسياسات الأوروبية حيال الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط الذي أصبح أكثر فأكثر جسرا لعدم الاستقرار ومنطقة مليئة باحتمالات التهديد المستقبلي.." (١)

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٩/٥٩

١٥٥. "ومن الخلافات التي ثارت أيضا تمسك مصر والأردن والسعودية بإعادة تفعيل المبادرة العربية التي أطلقتها المملكة السعودية قبل عامين، والتي تؤكد تمسك العرب بالسلام مع الكيان الصهيوني كخيار استراتيجي، ومن ثم قبولها (أي الدول العربية) بالتطبيع الكامل مع إسرائيل مقابل انسحاب الأخيرة من الأراضي التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧ في حين عارضت هذا الرأي سوريا وفلسطين ولبنان، واعتبرت أن الظروف غير ملائمة خاصة بعد اغتيال إسرائيل لزعيم حركة حماس الشيخ أحمد ياسين لإعادة تفعيل مثل هذه المبادرات.

كذلك من الخلافات التي ثارت خلال اجتماع وزراء الخارجية العرب تمسك ليبيا بضرورة الإشادة الرسمية من القمة بالموقف الليبي الذي تمثل في التنازل عن برامجها للتسلح النووي في حين عارضت سوريا بشدة المشروع الليبي، ومن ثم التوصل لحل توفيقي وهو التأكيد على الدعوة لنزع أسلحة الدمار الشامل من منطقة الشرق الأوسط ليشمل المشروع بذلك إسرائيل، ولا يمثل ضغطا جديدا على سوريا إلى جانب الضغوط الأمريكية التي تتهمها بامتلاك أسلحة دمار شامل.

فرض التجربة التونسية

الجديد في القمة التي لم تنعقد هو محاولة تونس فرض تجربتها فيما وصفته بالتغيير والإصلاح، وربما يكون هذا هو السبب الرئيس في إعلان تونس تأجيل القمة في الوقت الذي كانت فيه اجتماعات وزراء الخارجية العرب لا تزال منعقدة، ومن ثم تواردت أنباء حول رفض الرئيس التونسي لاستقبال وزراء الخارجية العرب لإيضاح أسباب تأجيل القمة بسبب ما قال عنه وزير الخارجية التونسي: إنه "نزلة برد أصابت الرئيس التونسي"، ولكن تونس عادت ونفت صحة هذا النبأ.

أحلام موسى التي تبددت!!

من جانبه قال عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية إن قرار التأجيل للقمة العربية سوف تترتب عليه تداعيات كبيرة وصفها بأنها خطيرة، وذات أثر بالغ على مجمل العمل العربي المشترك، مضيفا أنه لا يجب أن نحمل تونس وحدها كل المسؤولية، وإنما كان مجمل الأداء العربي بأكمله مشاركا في المسؤولية.

وقد أعلن موسى أنه يسعى لتحويل الجامعة العربية إلى هيئة إقليمية على غرار الأمم المتحدة، لها مجلس للأمن وسلطة الإلزام بتنفيذ قراراتها، وبموجب الميثاق الحالي للجامعة لا تلتزم الدول الأعضاء إلا بالقرارات التي توافق عليها.

وهكذا فقد أحدث تأجيل القمة شرخا عربيا جديدا تهاوت معه الأحلام العربية بإقامة مجلس أمن عربي على غرار مجلس الأمن الدولي، وبرلمان عربي على غرار البرلمان الأوروبي.

ولم تفلح القمة العربية منذ إنشاء الجامعة في جعل قراراتها ملزمة لكل الدول العربية، وفشلت أيضا في وضع آلية لفض المنازعات العربية حتى لا نفتح الحدود العربية للقوات الأجنبية.

الوضع الفلسطيني وحرب المبادرات

يشير الدكتور أحمد ثابت –أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة– إلى أن قضية اغتيال أحمد ياسين الزعيم الروحي لحماس زادت من الضغوط على القادة العرب، حيث أصبحوا مطالبين أمام شعوبهم بالسعي لاتخاذ خطوات جادة وعقابية تجاه إسرائيل تتمثل في وقف أية خطوات للتطبيع معها وتجميد العلاقات الاقتصادية التي نمت وترعرعت في الفترة الأخيرة مع دول من المشرق والمغرب العربي.

وأعرب ثابت في تصريحات خاصة للإسلام اليوم عن تشككه حول فرص نجاح القمة في حالة انعقادها بسبب الخلافات الشديدة بين الأنظمة العربية فيما يخص مبادرة الشرق الأوسط الكبير؛ فهناك لوبي يؤيد هذه المبادرة ويسعى لتفعيلها وآخر يرفضها، وبين الطرفين ستضيع القمة خصوصا أن هناك حرب مبادرات بين الدول العربية حول تطوير العمل العربي المشترك وتضخم الأجندة التي سيبحثها القادة مما يصعب من احتمالات نجاح القمة.

هذا وليس مستغربا أن تسارع إسرائيل بالإعراب عن سعادتها الغامرة بوصول ما يفترض أنه أعلى بناء مؤسسي بالوطن العربي وهو القمة العربية لهذه المرحلة؛ فخرجت الخارجية الإسرائيلية ببيان تشيد فيه بتأجيل القمة وتقول: "لقد أدرك العالم العربي الآن أنه مخطئ في سياسته تجاه إسرائيل ولهذا فقد أجل القمة"، في الوقت الذي أعرب فيه كبير المفاوضين الفلسطينيين صائب عريقات عن مخاوفه من استغلال إسرائيل لهذا الفشل العربي لتصعيد عدوانها ضد الشعب الفلسطيني، كما حذر من سعي بعض الدول العربية للتعامل مع أمريكا بشكل منفرد بعيدا عن المسلمات العربية التي يأتي على رأسها الحق الفلسطيني.

بوش يحذر القمة

وقد نقلت مراسلة مجلة "المصور" المصرية في تونس منذ أيام تحذير الرئيس الأمريكي جورج بوش للقمة العربية التي كان من المفترض أن تنعقد في تونس من خطورة اتخاذ مواقف من شأنها دعم ما تسميه

واشنطن "بنهج الجماعات الإرهابية على الساحة الفلسطينية"، والتخلي عن خيار السلام والتطبيع مع إسرائيل كخيار وحيد لتحقيق الاستقرار في المنطقة.." (١)

١٥٦. "صفحات من تاريخ التنصير في شرق أفريقيا

إدريس جالو*

صفحات من تاريخ التنصير في شرق أفريقيا دخل الاسلام في منطقة شرق أفريقيا منذ فجر الاسلام، وانتشر في كل مناطقها رغم وجود المسيحية فيها، وشرق أفريقيا يضم سابقا عدة ممالك شهيرة استأثرت بالجهد التنصيري من بينها تنزانيا ، كينيا، وأوغندا والصوال ....الخ.

ولكن فتحت صفحات جديدة في تاريخ العلاقة بين الاسلام والمسيحية في تلك المنطقة عام ١٤٩٨م؛ حين ظهر فاسكو ديجاما باكتشافات – وهو برتغالي الجنسية- في ساحل شرق أفريقيا المعروف بالساحل الزنجي والذي يمتد من مدينة سوفانا جنوبا حتى الصومال شمالا، وقد قامت في تلك المنطقة سبع إمارات إسلامية عرفت بدول الطراز الاسلامي وامبراطورية الزنج الإسلامية وعاصمتها كلوة، وقد استطاع المسلمون أن يحققوا مكاسب ضخمة في هذه الممالك كلها؛ خاصة بعد أن كانت الهجمات البرتغالية الأولى قد طردت المسلمين منها، ثم استردها المسلمون ثانية، وقد نشطت دعوتهم، وتثبتت أصولهم في السنوات الأولى من بداية القرن التاسع عشر، وكانت مجتمعاتهم متماسكة ومتمسكة بالعقيدة، ولكن ضعفت قوتهم ووحدتهم بسبب الخلافات بينهم، ولما وصل البر تغاليون الكاثوليك إلى منطقة شرق أفريقيا بدأت الحرب الصليبية بين القوة الإسلامية المتمثلة آنذاك في الدولة العثمانية من جهة؛ والبرتغال من جهة أخرى، وإنتهت المعركة لمصلحة البرتغاليين الذين جاءوا بهدف الاستعمار؛ فاستولوا على الساحل ومن ثم بدأت محاولات التنصير والاستيلاء على الساحل الشرقي بالقوة فتصدى لهم المسلمون بكل قوتهم، ولم يستسلموا لهم رغم هزيمتهم، ونجحوا في إفشال تلك الخطة الصليبية وسط المسلمين، ولكن المنصرين لجئوا إلى أساليب أخرى في عملية التنصير؛ وهي أخذ الاطفال إلى مناطق خارج الساحل لتنصيرهم، كما فعلوا بابن الملك يوسف بن الحسن بن سلطان ممبسا؛ والذي أخذوه صغيرا إلى المستعمرة البرتغالية بالهند وتسمي -قابو- ، وعملوا على تنصيره وتربيته وعندما بلغ الحلم أعيد لملك آبائه في ممبسا إعتقادا من المستعمرين أنه سيستطيع تنصير المنطقة كلها بكل سهولة طالما أنه هو الملك، ولكن خاب ظنهم، وفو جئوا مفاجأة مذهلة عندما ترك يوسف النصرانية ورجع إلى

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٩ /١٢٠

دينه السابق الإسلام سنة ١٦٣٠م، وهذا يعتبر أبلغ دليل على الفشل الذي لازم المنصرين في أفريقيا عموما لعقود طو يلة، وترجع أسباب هذا الفشل إلى عوامل عديدة في هذه المرحلة اهمها:

١- رسوخ الإسلام في المنطقة منذ قرون.

٢- أسلوب البرتغاليين المتعصب والمتشدد بمذهبهم الكاثوليكي أبعد الناس عنهم.

٣- إختلاف اللغة بين المنصرين والمنصرون، إضافة إلى سلوك البرتغاليين السيئ.

ثم بدأت المرحلة الثانية من مراحل التنصير في المنطقة عام ١٨٤٤- ١٨٧٤م، في هذه المرحلة ظهر دور الكنائس الإنجليزية وذلك بقدوم –جون لويس كراف- الألماني الجنسية والذي كان يعمل لحساب جمعية الكنسية التبشيرية الإنجليزية، وهو أول من أسس مركزا للتنصير في مدينة ممبسا، وكان لهذا المركز دور كبير في التنصير، كما قام هذا المركز بترجمة كتابهم المقدس إلى اللغة السوا حلية، مما فتح أمامهم آفاقا رحبة للتنصير؛ فأسس مركزا آخر بمدينة بوجامايو على الساحل المواجه لجزيرة زنجبار، بالتعاون مع منصر آخر يدعي ربمان، وقد استفادة هذا الرجل من أخطاء البرتغاليين فغير أسلوب التنصير وحاول استمالة الناس إلى جانبه حيث وصف بحسن السلوك، وقد تميز بالذكاء والقدرة على التعامل مع الناس في كافة المستويات. وبدأ هذا القسيس خطواته الأولى بطلب من السلطان أن يسمح له بالتنصير خارج مناطق المسلمين فأذن له السلطان بذلك، كما حاول إقامة علاقات حسنة مع المسلمين فتحرك إلى داخل أفريقيا ليقوم بالتنصير وسط القبائل الوثنية بعيدا عن الساحل الذي يقطنه المسلمون، وإذاك خلت هذه الفترة من التو ترات بين المسلمين والمنصرين إلى حد كبير، كما أن الارساليات التنصيرية العاملة في شرق أفريقيا وجهت جهودها لاستكشاف مناطق ما وراء الساحل والقيام بدراسة السكان ومعرفة لغاتهم وعاداتهم تمهيدا لبذر النصرانية بينهم.." (١)

١٥٧. "النزاعات في أفريقيا (ساحل العاج نموذجا) (٢)

إدريس جالو*

النزاعات في أفريقيا (ساحل العاج نموذجا) (٢) في المرة الماضية ذكرنا النزاعات في القارة الأفريقية ودور القوى الإستعمارية فيها، والمخططات التي وضعوها من أجل تفتيت القارة لتنفيذ أجندتهم الخفية، واليوم سنتناول جانب من هذه الأجندة الخبيثة في المنطقة الإسلامية غرب أفريقيا، فهذه الدول الواقعة في تلك المنطقة قد تعرضت كثير منها إلى نزاعات دامية تركزت معظمها على السلطة في أحايين كثيرة،

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٢٢/٨٥

وفي بعض الأحيان أيضا يكون الصراع إثنيا، وهذه كلها ضمن سياسة الإستعمار الأوربي الذي ترك بؤرا تسبب النزاعات بين الدول؛ ليستفيد في التدخل في شؤون تلك الدول ولتنفيذ أجندته الخفية؛ سواء في نهب الموارد أو أهدافه التنصيرية؛ كما حدث في ليبيريا عندما نشب الحرب الأهلية عام ١٩٨٩م، وسيراليون التي بدأت الحرب الأهلية فيها في مارس ١٩٩١م بعد دخول قوات الجبهة الثورية المتحدة بقيادة فودي سنكو إلى أراضيها، إلى غيرها من النزاعات في منطقة غرب أفريقيا.

لكننا في هذا المقال سنركز على النزاع في ساحل العاج لأن الصراع فيها خطير، فساحل العاج لا تختلف حالتها عن العديد من الدول الأفريقية من حيث ترسيم الحدود الإستعمارية بصورة غير موضوعية، فقد تم ترسيم الحدود بحيث ضم هذا البلد كتلة سكانية من المسلمين في الشمال؛ كانت تنتمي بحكم الجغرافيا والعرق إلى كل من مالي وبوركينا فاسو، ومن ثم نشأ التنافس بين الشمال الذي يغلب عليه المسلمون وبين الجنوب ذو الغالبية المسيحية، وتحول هذا التنافس إلى نزاع حاد في التسعينات من القرن الماضي.

،،تعرضت كثير من دول أفريقيا إلى نزاعات دامية تركزت على السلطة وأحيانا يكون الصراع إثنيا وهذه ضمن سياسة الإستعمار الذي ترك بؤرا تسبب النزاعات ،،

ويمكننا معرفة حقيقة وتطورات هذا النزاع من خلال متابعة الحكومات المتعاقبة في ساحل العاج منذ الاستقلال.

الحكومة الوطنية الأولى عام ١٩٦٠م كانت برئاسة (فيلكس هوفيه بوانجيه) الذي قاد الكفاح السياسي ضد الإستعمار من أجل الإستقلال، وحكم البلاد بعد الإستقلال إلى وفاته عام ١٩٩٣م، ونجح خلال حكمه لمدة ٣٣ عاما في خلق الإستقرار والتعايش بين القبائل التي تقدر في هذا البلد بنحو ٦٣ قبيلة، وكذلك بين الديانات المختلفة، لكن هذا الوضع كان يمكن وصفه بالهدوء الذي يسبق العاصفة، بحيث توفي بوانجيه وكثير من قضايا البلاد عالقة دون حل خاصة مشكلة شمال البلاد.

الحكومة الوطنية الثانية عام ١٩٩٣م برئاسة (هاري كونا بيديه) بعد وفاة بوانجيه، بدأت مرحلة جديدة بحيث بدأت ظهور بوادر النزاعات والتوترات الإثنية في المجتمع الإيفواري، وكذلك التنافس على السلطة بين الحزب الحاكم والأحزاب المعارضة، ومن هنا بدأت الشرارة الحقيقية للحرب الأهلية حيث ركز هاري بيديه على "المواطنة الأصلية" وذلك بهدف إقصاء معارضيه في الانتخابات أبرزهم (الحسن وتارا) رئيس الوزراء السابق وزعيم "تجمع الجمهوريين" المسلم.

الانقلاب العسكري في ديسمبر ١٩٩٩م بقيادة الجنرال روبيرت غي، الذي تحول إلى الحكومة الانتقالية بعد تدخل منظمة الوحدة الأفريقية، وبعد إجراء الانتخابات فاز زعيم الجبهة الشعبية (لوران بغابو) الرئيس الحالي على الجنرال غي رئيس الحكومة الانتقالية، وحاول هذا الاخير رفض النتائج باستخدام القوة؛ مما ترتب عنه مظاهرات ومواجهات بين أنصار بغابو وأنصار الحسن وتارا من جهة وقوات الامن من جهة ثالثة، قتل فيها عدد كبير من المدنيين واحرقت دور للعبادة، وشرد الآلاف.

وكان الجنرال غي قد عدل الدستور ليشترط أن يكون رئيس الجمهورية من أب وأم إيفواريين ليستبعد الحسن وتارا من انتخابات عام ٢٠٠٠م؛ المتهم بأنه من أصول بوركينابية.

الحكومة الوطنية الرابعة عام ٢٠٠٠م برئاسة زعيم الجبهة الشعبية (لوران بغابو)، وكان تلك المرحلة بداية شعور المجتمع الدولي والإقليمي بخطورة الصراع في سا حل العاج، وبدأت الوساطات بين الفرقاء لحل الازمة، وتمت وساطة إقليمية أفريقية للمصالحة الوطنية في لومي عاصمة توغو بين بغابو والحسن وتارا، الذي ينتمي الى شمال البلاد ذو الأغلبية المسلمة، وكان أهم نتائج المحادثات إعادة الانتخابات الرئاسية بمشاركة جميع الاطراف المتصارعة، ووقف سياسة العداء الديني والعرقي في البلاد، وحسم قضية الجنسية لزعيم المعارضة الحسن وتارا المتهم كما أسلفنا بأن جنسيته من بوركينا فاسو حيث كان يدرس هناك من قبل، وهذا الإدعاء وإن كان صحيحا تاريخيا إلا ألأن ظهوره في الوقت الراهن يثير التساؤلات بأن وراءه أهداف خفية لأن وتارا تقلد مناصب عليا في ساحل العاج (رئيس الوزراء وممثلا في المحافل الدولية) إذا لماذا إثارتها بهذه الصورة الآن؟؟!!." (١)

١٥٨. "أما على الجانب الآخر، فلم يكن هناك تنسيق بين بلدان الضفة الجنوبية من شأنه أن يشكل عامل توازن مع الأوروبيين، ويحدد أجندة خاصة بها بالتوازي مع الأجندة الأوروبية. فالاتحاد المغاربي كإطار إقليمي وحيد يجمع أكثر البلدان الاثني عشر التي وقعت على إعلان برشلونة كان إطارا جامدا بسبب الخلافات المغربية ـ الجزائرية، والخلافات الليبية ـ المغاربية على خلفية تخلي الأعضاء الآخرين في الاتحاد عن دعمهم لها في ملف (لوكيربي) وطائرة (يوتا) الفرنسية، وفوق ذلك تم استبعادها من المشاركة في قمة برشلونة نظرا لوجودها تحت طائلة العقوبات المفروضة عليها من

الأمم المتحدة منذ العام ١٩٩٢، وحضرت فقط بصفة مراقب ، فشاركت كل دولة من الدول الأربع المتبقية (المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس) منفردة لا كجزء من إطار إقليمي مشترك. ومن جهة ثانية

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٢٢ ١٣٨/٢٢

تم إقحام إسرائيل في مشروع الشراكة المتوسطية من طرف الأوروبيين ، كدليل على رغبتهم في لعب دور في مسلسل السلام في المنطقة، وكان ذلك أحد عناصر الهدم المبكرة في ضوء الإخفاق المتكرر لمشاريع التسوية السياسية، وعدم حصول ميل عربي ـ علني على الأقل ـ إلى التطبيع مع الدولة العبرية وقتها. كل هذه المعطيات جعلت مسلسل برشلونة حوارا ناقصا بين طرفين يوجدان في وضعية غير متكافئة، طرف يستمع فقط ، وآخر يتحدث أو يملي.

ثلاثة مسارات

تمحور مشروع الشراكة الأورومتوسطي كما صاغه إعلان برشلونة عام ١٩٩٥ حول ثلاثة مسارات: المسار السياسي والأمني، من خلال السعي إلى إقامة منطقة مشتركة للسلام والاستقرار في منطقة البحر الأبيض المتوسط، ويرتبط بهذا الهدف تقوية التعاون الأمني بين الأطراف، وتنسيق السياسات لمحاربة الإرهاب والعنف والجريمة المنظمة والقيام بإصلاحات سياسية.

ثم المسار الاقتصادي والتجاري والمالي الذي يرمي إلى بناء منطقة مشتركة للازدهارمن خلال حل معضلة المديونية التي تثقل كواهل بلدان الجنوب، وتشجيع التعاون بين الأطراف، ومساعدة الأوروبيين لدول الجنوب من أجل تحقيق النهوض الاقتصادي، وإيجاد فرص الشغل، وإدخال الإصلاحات الهيكلية على مؤسساتها الاقتصادية، وتعديل القوانين الموجودة لجلب الاستثمار، عبر آلية أطلق عليها برنامج "ميدا" للدعم المالي، ويسعى هذا المسار إلى إنشاء منطقة للتبادل الحر بحلول عام ٢٠١٠. أما المسار الثالث والأخير فهو الجانب الثقافي والاجتماعي، ويرتبط بذلك إصلاح البرامج التعليمية، وتنمية الموارد البشرية، وإيجاد ثقافة للتسامح واحترام الهوية الثقافية للدول.

وبالرغم من أنه أريد لهذه المسارات الثلاثة أن تسير متلازمة مع بعضها، إلا أن الواقع أظهر في السنوات القليلة التالية للتوقيع على إعلان برشلونة، وطيلة المؤتمرات التي عقدت حتى اليوم (مالطا ١٩٩٧، شتوتغارت ١٩٩٩، مرسيليا ٢٠٠٠، فالنسيا ٢٠٠٢، نابولي ٢٠٠٣ واللوكسمبورغ ٢٠٠٥) أن الأوروبيين غير مستعدين للوفاء بالوعود التي قطعوها على أنفسهم أمام بلدان الجنوب، سواء من خلال عدم الجدية في التعاطي مع أزمات الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية تحديدا ؛ إذ بقيت علاقة أوروبا بالمنطقة قاصرة على الدعم المالي دون لعب أي دور سياسي، وفي حالات كثيرة كانت تتهرب من إدانة العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، ولا تتخذ قرارات واضحة وصريحة، أو من خلال ضعف المعونات المالية المرصودة ضمن برنامج (ميدا) التي لم ترق إلى طموح بلدان الضفة

الجنوبية؛ إذ لم تكن تمثل قيمة ما يقدمه هذا البرنامج في الفترة ما بين (١٩٩٥ –٢٠٠٠) سوى خمسة مليارات يورو، وظل نفس الغلاف المالي تقريبا مخصصا للمرحلة الثانية من البرنامج للفترة ما بين (٢٠٠٠ –٢٠٠٦)، مما أعاق –بحسب العديد من المهتمين الأوروبيين أنفسهم– تحقيق أهداف مشروع برشلونة فيما يتعلق ببلدان الجنوب، الأمر الذي دفع الأوروبيين إلى إعادة النظر في البرنامج، فأعلن وزير الخارجية الإسباني (ميغيل أنخيل موراتينوس) لوكالة (أوروبا بريس) قبل أسبوع أن الاتحاد الأوروبي سيرفع الدعم المالي المخصص ضمن برنامج (ميدا) للفترة ما بين (٢٠٠٧ –٢٠١٣) إلى (١٥٠٠) مليون يورو، الأمر الذي يؤكد أن الأوروبيين. بعد عشر سنوات من انطلاق المسلسل. باتوا يدركون محدودية الشراكة كما تم وضعها في إنفاذ أهدافها المرسومة.

الأجندة الأمريكية في مقابل الأجندة الأوروبية

لقد شكلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠١ منعطفا حاسما بالنسبة لمسار الشراكة الأورومتوسطية، وللسياسات الأوروبية حيال الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط الذي أصبح أكثر فأكثر جسرا لعدم الاستقرار ومنطقة مليئة باحتمالات التهديد المستقبلي.." (١)

١٥٩. "الأستاذ جمال سلطان حيث يذكر أن الخلاف ليس قدريا وإنما هو اجتهاد بشري تحكمه خبرات الواقع وزوايا النظر إلى الأحداث وأولويات التصور عند كل طرف، فهذه التي تسبب الخلاف بين تيارات العمل الإسلامي، ويرى الدكتور عمر الأشقر أن الخلاف الذي يذكره القرآن أنواع الأول :خلاف في أصل الدين كالخلاف مع اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين والبهائيين وأضرابهم، والنوع الثاني :الخلاف القائم بين الفرق الإسلامية كالخوارج والمعتزلة والشيعة الذين أصلوا أصولا تجمعوا عليها خالفوا بها أهل السنة والجماعة، والنوع الثالث :الاختلاف في الأحكام وهو الخلاف المذهبي، والخلاف القائم اليوم بين الحركات الإسلامية ليس واحدا من هذه الثلاثة بل هو اختلاف رأي واختلاف منهج، ويمكن أن يكون من نوع الخلاف المقبول، ومن الممكن لهذا النوع أن يتراجع أو يزول لو تواصلت قيادات العمل الإسلامي فيما بينها وجلسوا للحوار متآخين متحابين، ، وأما الشيخ رفاعي سرور فيرى أن الاختلاف ظاهرة فكرية، ولكن له حقيقية قدرية وهي أن الاختلاف عذاب، وأن العذاب يرفع بموجبات الرحمة، فتصبح موجبات الرحمة سببا لمعالجة الاختلاف، قال تعالى :" ولا يزالون مختلفين

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٢٣٨/٢٨

إلا من رحم ربك" ومن موجبات الرحمة الدعاء وذكر الله وقراءة القرآن ومدارسة العلم فهذا كله من أسباب رفع البلاء، وهذه ليست مسألة رقائق ولكنها حقيقة منهجية صحيحة مهمة جدا.
أهمية التقارب الفكري والمنهجي ودور الحوار في تفعيل ذلك:
البيان :
يتبين مما تفضل به الأخوة المشاركون أن الاختلاف بين الحركات الإسلامية–سواء قيل بقدريته أو عدمها–ليس مسوغا للتفرق والتشرذم، لأننا مأمورون باتباع الشرع الذي أمر بالجماعة ونهى عن التفرق، وهذا يعني إمكانية الاتفاق والالتقاء على كلمة سواء، وهو ما يجعلنا نبحث في توحد أو اتحاد هذه الحركات، لكن قد يكون اجتماع الحركات كلها في جماعة واحدة هدفا بعيد المنال في ظل ظروف الدعوة المعاصرة لأسباب كثيرة منها الداخلي ومنها الخارجي، لكن هذا لا يعني التقاعس عن محاولة الوصول إلى ذلك، ولا ينفي أيضا أهمية السعي لإحداث التقارب الفكري والمنهجي الذي يعد أحد أهم السبل التي تعين على الوحدة أو الاتحاد،
المشاركون:." (١)

١٦٠. "وهذا ما دفعنى إلى التمسك بمقولة (تعارف الحضارات) التى يمكن فهمها وتحديدها والبرهنة عليها ، وحتى الاتفاق عليها . ويلاحظ زكى الميلاد أنه بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تنامت فى المجتمعات الغربية ظاهرة لفتت إليها الكثيرين فى داخل هذه المجتمعات ، وفى خارجها ، وهى ظاهرة تزايد واتساع الاهتمام نحو الاطلاع والتعرف والتساؤل عن الإسلام من جديد ، لدرجة أصبحت المؤلفات والكتابات فى هذا المجال هى الأكثر انتشارا وتداولا وطلبا ، وبدأت المراكز والمعاهد والجمعيات الإسلامية هناك تستقبل اتصالات لم تشهد مثيلا لها من قبل ، وتدور هذه الاتصالات حول الإسلام والقضايا الإسلامية والمجتمعات الإسلامية . ووصل الحال ببعض المعاهد والكليات والجامعات الأوروبية والأمريكية – التى وجدت من الضرورى تخصيص برامج دراسية حول الإسلام – أن تستجيب لحاجات طلابها فى تكوين المعرفة بالإسلام والثقافة الإسلامية ، ويمكن وصف هذه الظواهر بأنها تأتى فى سياق تأكيد الحاجة إلى تعارف الحضارات .
من جهة أخرى إن هذه الأحداث كشفت عن اختلالات عميقة فى طبيعة الرؤية المتشكلة حول العالم عند بعض الفئات والجماعات الإسلامية التى تحاول أن تصادم العالم وتنقطع عنه وترفض الاندماج

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٣٦/٤٥٧

فيه ، وتعتبر أنها فى حالة حرب ومواجهة مع الذين يختلفون معها فى الدين والعقيدة . وهذه الحالة فى جوهرها تعبر عن أزمة فكرية ناشئة من عدم القدرة على تكوين المعرفة بالآخر المختلف . فحين أن الذى ينبغى إعادة النظر فيه هو أن حقيقة مشكلتنا نحن فى العالم الإسلامى هى مع تخلفنا بالدرجة الأولى وليس مع الغرب أو الحضارات الأخرى . وبالتالى فإن القضية هى كيف نتغلب على هذا التخلف ونسلك طريق التحضر ، ومتى ما قطعنا هذه الخطوات أو بعضها سوف يتغير موقعنا فى العالم ، كما سوف تتغير نظرة العالم والحضارات الأخرى إلينا. لذلك فإننا ندرك وبعمق حاجتنا لأن ننهض بمشروع يكون بمستوى التعارف مع الحضارات على قاعدة أن نكتشف لأنفسنا الطريق الذى نستقل به فى سعينا نحو التمدن والتحضر .

كان يفترض فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، أن تهيىء اللحظة التاريخية لانطلاقة فكرة أو نظرية حول تعارف الحضارات ، لكى يتحصن العالم من النزاعات والصدامات والحروب ، ولكى لا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى فى أى مكان من العالم . وهذا يتطلب صياغة رؤية جديدة للعالم يشترك الجميع بكل تنوعاتهم الدينية والثقافية ، العرقية والقومية ، اللغوية واللسانية ، فى صياغتها وبلورتها وتكاملها ، وفى التضامن حولها ، والدفاع عنها . الرؤية التى تنطلق من مراجعة شاملة ونقد جذرى لطبيعة النظام العالمى السائد بكل مكوناته وعناصره وشرائطه ، ويصل إلى جوهره وحقيقته . لأن هذا النظام العالمى يرسخ العنصرية والطبقية وبكل صورها وأنماطها ، ولا يضمن كرامة الجميع ولا يحفظ حقوق الجميع . وهذه الوضعيات هى التى تحرض على انتشار ظواهر العنف ، وتسبب النزاعات ، وتشعل الحروب ، وهى التى تجعل مثل أحداث أيلول/سبتمبر ممكنة الحدوث . والأفدح من ذلك محاولة الغرب أن يحتكر الحضارة والمدنية لنفسه ، ويرسخ فى العالم الانقسام بين أمم متحضرة وأمم متخلفة ، هذا الاختلال هو ما ينبغى أن يتغير .

وفكرة تعارف الحضارات تأتى فى سياق نقد هذا الاختلال والعمل على إنهاض وبناء وعمران الحضارات المختلفة ، لأنها – أى تعارف الحضارات – تنطلق من نزعة إنسانية عميقة هى التأكيد على وحدة الأصل الإنسانى ، والغاية من تأكيد وحدة الأصل الإنسانى فى هذه الآية هو أن ينظر الناس من أمم ومجتمعات وحضارات إلى أنفسهم كما لو أنهم أسرة واحدة ، لكنها منتشرة على مساحات هذه الأرض . وهذه النظرة الإنسانية والأخلاقية بحاجة إلى تنظيم قواعد السلوك على المستوى الدولى . يضاف إلى ذلك أن هناك اعتقادا بدأ يتأكد بين الحضارات ، هو أن هذه الحضارات

لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغي ، وتفتقد إلى جسور التواصل فى عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات التى باتت تربط العالم ، وتجعل منه أشبه ما يكون بقرية صغيرة. لهذا يمكن الاستفادة من العولمة فى تطوير وتعميم فكرة التعارف بين الحضارات، وتقليص المسافات التى تفصل بينها وإزالة جميع صور الجهل أو عدم الفهم أو غير ذلك فيما بين هذه الحضارات .

رأى المؤلف." (١)

١٦١. "حكم الذبائح المستوردة من بلاد أهل الكتاب

تاريخ الفتوى : ....٢٠ جمادي الأولى ١٤٢٨ / ٠٦-٠٦-٢٠٠٧

السؤال

فضيلة الشيخ أرجو توضيح الآتي:

١- ما سبب الخلاف الواقع بين العلماء في مسألة اللحوم المستوردة من دول أهل الكتاب حيث إنني سمعت أراء كلها عن شيوخ أفاضل وهي كالآتي:

- أن الأصل حل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما لم تقم شبهة على أنهم لا يذبحون وما يباع في أسواق البلاد الإسلامية هو ما سمح ولي الأمر بدخوله وهو المنوط به التحري ومثل هذا يتعذر على عوام الناس فعليه جواز الأكل والبيع والشراء.

- اللحوم المستوردة الآن من دول أهل الكتاب لا يجوز أكلها لأن هؤلاء الناس لا يذبحون وهم قد صرحوا بذلك وبل والقانون عندهم يجرمون الذين يذبحون الذبح الإسلامي ويقولون إنه يؤذي نفسية الحيوان وكذلك بالنسبة لموضوع الكلام الذي من عينة (حلال - ذبح على الشريعة)، فقال فضيلته إن هذه شهادة إن جاءتنا من مسلم ثقة قبلناها، أما مجرد عبارة لا نعلم من كتبها فهذه غير مقبولة لأن معرفة الشاهد ومعرفة عدالة الشاهد مطلوبة، وعليه فلا يجوز عنده شراء أو بيع أو أكل هذه اللحوم لأنها ميتة وعندما سئل عن هل البرازيل تذبح أو لا تذبح قال البرازيل لا تذبح

- على موقع أحد الشيوخ على شبكة الإنترنت وعندما سئل قال أنا لا أحرمها استنادا لفتوى الشيخ بن باز رحمه الله، ثانيا أنه مع انتشار الجاليات الإسلامية فى هذه البلاد الكافرة وشيوع أحكام الدين الإسلامى جعل هناك نوع من التكييف لاسترضاء العميل المسلم، وقال أنا زرت فرنسا ووجدت محلات تبيع الدجاج بدون رأس ومحلات تبيح الدجاج برأسه وقال من تورع عن الأكل فلا يلزم الناس

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٣٩/٤٠٥

بورعه وعندما سئل فضيلته عن دول أهل الكتاب التي يجوز الأكل منها قال البرازيل

- قال أحد الشيوخ على موقعه على الإنترنت أن الأصل حل ذبائح أهل الكتاب وأن الأصل عدم السؤال ما دامت تباع داخل أسواق المسلمين وعدم السؤال هل يذبحون أم لا يذبحون لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أهديت إليه الشاة لم يسأل هل ذبحت على الشريعة أم لم تذبح أما لو قامت شبهة على أن هذه اللحوم غير مذبوحة فلا يؤكل منها وعليه فلا يرى بأسا بأكل هذه اللحوم فنرجو الإفادة فى هذا كله.

٢- هل هناك قاعدة تقول إن الأصل فى الأبضاع واللحوم التوقف وكيف تطبق هذه القاعدة على هذه الحالة،

٣- هل البرازيل تذبح أم لا تذبح وكيف يمكن الوقوف على هذه المعلومة من جهة آمنة؟ جزاكم الله خيرا.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فيجب أن يعلم بداية أن العلماء متفقون على جواز أكل ذبائح أهل الكتاب إذا توفرت فيها الشروط الشرعية اللازمة لحل الذبيحة بالنسبة للمسلم، وإنما نشأ الخلاف في اللحوم المستوردة نظرا لأمرين:

الأمر الأول: هل يشترط لحل ذبائحهم نفس الشروط التي تشترط لذبيحة المسلم من الذبح في المحل وعدم الإهلال بها لغير الله، أم أنه لا يشترط ذلك، فما عدوه عندهم طعاما جائزا لهم في دينهم جاز لنا؟ والصحيح الذي عليه جماهير أهل العلم أنه يشترط في حل ذبائحهم نفس الشروط التي تشترط لحل ذبيحة المسلم؛ بأن يذبحوا في محل الذبح وبالطريقة الشرعية بأن يقطع من الأوداج والمريء والحلقوم ما يكفي قطعه في الذكاة، أما إذا كانوا يذبحون بغير الطريقة الشرعية كالصعق الكهربائي والتدويخ والضرب بالمسدسات والفؤوس وغير ذلك وماتت الحيوانات بهذه الوسائل، أو كانوا يسمون عليها غير الله فإنها حرام وميتة لا تحل، فإنه لو ذبحها مسلم على هذه الطريقة لم تحل فكيف بالكتابي؟!

الأمر الثاني: عدم العلم بتحقق الشروط السابق ذكرها في اللحوم المستوردة فلا يعلم هل ذبحت أم صعقت ثم قطع الرأس عن الجسد وهل باشر الذبح كتابي أم ملحد؟ والتحقيق في ذلك أن اللحوم إذا كانت من بلد أهله أهل كتاب لم يغلب عليهم الإلحاد فالأصل أن ذبائحهم حلال، لعموم قوله تعالى: اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴿المائدة:٥﴾، اللهم إلا أن يعلم اختلال

الشروط اللازمة لحل الذبيحة، ولا يخرج عن هذا الأصل بمجرد الشك الذي لا يستند لدليل، ولا يكفي في إثبات تلك الشروط مجرد عبارة حلال المكتوبة على أكياس هذه اللحوم؛ إلا إذا كانت من مسلم ثقة عدل بحيث يقبل خبره، وراجع في ذلك الفتاوى ذات الأرقام التالية: ١٥٦٤، ٢٤٣٧، ٢٦٢٨٢.

وأما قاعدة: الأصل في اللحوم والأبضاع التحريم فإنها قاعدة صحيحة، قال الشيخ السعدي في منظومته:

والأصل في الأبضاع واللحوم**** والنفس والأموال للمعصوم

تحريمها حتى يجيء الحل**** فافهم هداك الله ما يمل

ويستدل لهذه القاعدة بحديث عدي: قلت: يا رسول الله؛ أرسل كلبي وأسمي فأجد معه على الصيد كلبا آخر لم اسم عليه ولا أدري أيهما أخذ، قال: لا تأكل، إنما سميت على كلبك، ولم تسم على الآخر. متفق عليه، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: لما كان الأصل في الذبائح التحريم وشك هل وجد الشرط المبيح أم لا؟ بقي الصيد على أصله في التحريم. انتهى. وراجع في ذلك الفتوى رقم: ٦٢٤٩١.." (١)

١٦٢. "وهذا المقال ذكر فيه لب الخلاف حول تطبيق الشريعة الإسلامية فقال: (لب الموضوع أن أحدا لا ينادي أبدا بعدم تطبيق الشريعة الإلهية الإسلامية، إنه يكون مجنونا لو فعل ذلك، فالشرائع السماوية كلها وعلى رأسها الإسلام؛ فوق أنها أمر الله سبحانه وتعالى، إلا أنها لم تأت إلا لتقيم العدل السياسي بمبدأ الشورى، والعدل الاقتصادي بمبدأ الزكاة، والعدل الاجتماعي بالمساواة التامة بين البشر. من هو المجنون الذي يعترض على شريعة الله؟).

ثم قال (إنما المشكلة أن الشريعة حقا وصدقا شريعة الله ولكن من يطبق تلك الشريعة؟ أليسوا هم البشر) وانتهى إلى أن نقد أقوال هؤلاء لا تعني الاعتراض على شريعة الله؛ لأن هؤلاء بشر يخطئون ويصيبون ليست لهم عصمة.

ولقد ضرب مثلا لذلك بالخلاف في تطبيق مبدأ الشورى أو الديمقراطية، فقال الدكتور يوسف إدريس: يرى الأستاذ "خالد محمد خالد" حتمية تطبيق الديمقراطية حتى تكون الأمة هي مصدر السلطات.

وقال: يجيء شيخنا الكبير الأستاذ "عمر التلمساني" ليعطي تفسيرا مختلفا باعتبار أن فكرة الديمقراطية

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٤٦/١٠٧

نفسها فكرة غير إسلامية.

ثم قال: إن الأستاذ "عمر عبد الرحمن" يرى شيئا ثالثا مختلفا تماما فيقول إن الأمة ليست مصدر السلطات.

وانتهى الدكتور يوسف من ضربه لهذه الأمثال ولما يعرض في البرامج الدينية في التلفزيون والإذاعة، انتهى إلى أنه اكتشف أن غسيلا يجري للمخ العربي والمصري حول المفاهيم الشرعية، ونادى بعلاج هذه الظاهرة ونقدها لأن البشر الذين يطبقون الشريعة لا يتنزل عليهم الوحي من السماء حتى يكون رأيهم هو حكم الله الذي لا اعتراض عليه.

الخلاف الرفيع وتحديد المفاهيم(١) :

لهذا وإذا قمنا نساهم في هذا الحوار فيجب أن نحدد سبب الخلاف، وأن نقبل جميعا الحوار العلمي ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

إن الخلاف القائم بين العلماء المعاصرين حول موقف الإسلام من النظام الديمقراطي، ليس نابعا في حقيقته من عدم وضوح الحكم الإسلامي في هذه المسألة، بل نبع الخلاف من اختلاف هؤلاء في أمر الديمقراطية نفسها، ولهذا يقرر فقهاء الأصول في الفقه الإسلامي قاعدة هامة هي أن الحكم على الشيء فرع من تصوره.

لهذا فمن تصور الديمقراطية من جانب واحد هو أنها تخول أغلبية النواب الحق في إصدار التشريع الذي يرونه، حتى لو أباح الزنا والشذوذ كما هو كائن في بعض العواصم الأوروبية من تصور ذلك قال: إن الديمقراطية تتعارض مع الإسلام حيث أن أحكام الحلال والحرام وردت قطعية في القرآن والسنة ولا يحل التغيير والتبديل فيها حيث قال الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)(٢).

أما من تصور الديمقراطية من جانبها الآخر، وهو أنها تخول الشعب عن طريق نوابه حق تعيين الحاكم ومحاسبته وعزله وحق إصدار القوانين فيما لا يتعارض مع الدستور الإسلامي، فقال إن الديمقراطية نظام إسلامي واستند في ذلك إلى قول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (٣) وإلى قول صلى الله عليه وسلم "لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم"(٤)

وهذا الخلاف لا وجود له في ظل الدستور الذي ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع؛ لأن من قواعد النظام الديمقراطي، قاعدة دستورية القوانين، ومن مقتضاها عدم جواز إصدار

قانون يخالف الدستور، وعدم جواز إصدار لائحة أو قرار يخالف القانون ولا يخفى على أولي الفقه والرأي أن كل أمة وكل شعب يضع لنفسه مقومات أساسية، ليتضمنها دستور هذه الأمة الذي يلتزم به النواب والحكام والقضاة، فلا يجوز إصدار ما يخالفه، ولهذا فالدول التي اختارت الماركسية مذهبا اجتماعيا يحظر دستورها إصدار قانون يخالف هذا المذهب. والدول التي اختارت المذهب الرأسمالي، يتضمن دستورها نصا يحظر إصدار قوانين تخالف هذا المذهب أي تغير المجتمع ليصبح شيوعيا.

---

(١) ... نشر هذا المقال في جريدة اللواء الأردنية بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٦ بعد أن ظل لدى الدكتور يوسف إدريس أكثر من عام وبعد أن رفضت بعض الصحف الكويتية نشره، ولكن الدكتور يوسف إدريس في مقاله المنشور بالأهرام يوم ١٩٨٨/٢/٨ ذكر أنه كان يعترض على الآراء المؤدية إلى نبذ العلم والتكنولوجيا، وأن ما شاهده من أعمال شباب الجماعات الإسلامية يجعله يقول: اللهم إن كان التيار الإسلامي هكذا، فأنا أول المنضمين إليه، فإذا شئتم حزبا يبشر بهذا ويعمل به، يخاطب العقل فينا وينهرنا عن الغوغائية فخذوني معكم" .

(٢) ... الأحزاب (٣٦).

(٣) ... الشورى (٣٨).

(٤) ... سنن أبي داود الحديث ٢٦٠٨، ٢٦٠٩.." (١)

١٦٣. "إنهم يريدون المساس بأمن البلاد والعباد ، ويدعون إلى الحرية والتفسخ من تعاليم الشرع الحنيف ، والسنة النبوية ، يريدون أن تخلع المرأة جلبابها ، وتهتك ستارها ، يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وقد قال الله تعالى في محكم التنزيل : " إن الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون " [النور ١٩] ، فأولئك الإصلاحيون . زعموا . ما هم إلا تخريبيون مظللون ، درسوا في الغرب واستقوا شريعتهم الكافرة ، ورضعوا أفكارهم المسمومة المشوهة ، انتكست مفاهيمهم ، وتغيرت فطرهم ، وغسلت أدمغتهم ، ولويت أعناقهم ، فرأوا المنكر حقا ، والمعروف باطلا ، تحركهم أيد الخراب اليهودية ، والدمار النصرانية ، تديرهم أيد عابثة شيعية وأخرى علمانية ، هدفهم نزع الدين من قلوب المسلمين ، وإخراج المرأة المسلمة من بيتها ، حتى تكون فريسة لشهواتهم الحيوانية ، ورغباتهم السفيهية ، ونزواتهم البهيمية ، يتحركون كالريموت

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٣٤٦/٥٢

بأيد الكفار والمنافقين والمرجفين في الأرض ، لا يريدون الاصلاح ولا الصلاح ، وإنما الفساد في الأرض أرادوا ، وأي إصلاح يبتغون وهم يفضحون ولاة أمرهم ، وقادتهم وحكامهم ، ويتتبعون عوراتهم ولا شك أن ذلك منكر من القول والعمل ، وربما انطلى الأمر على البعض ممن جهل حيلهم وألاعيبهم ، ولكن المفرح لنا والمحزن لهم أن الجميع هنا عرفوا باطلهم فتركوه ، وأيقنوا بمخططاتهم فنبذوها وأعرضوا عنها ، وعلم الجميع أن هناك أيد خفية تريد المساس بالأمن ، ونزع الأمان ، تريد أن تدخل القوات الأجنبية إلى بلاد الحرمين الشريفين ، ووالله لن يتم لهم ذلك بحول الله وقوته إلا وقد قدمنا جماجمنا فداء للدين والوطن ، وسيرنا أجسادنا جسورا للجهاد في سبيل الله تعالى ، من أجل حماية الدين والعرض والوطن ، ودفاعا عن ولاة الأمر حفظهم الله تعالى .

وما تلكم المظاهرات إلا نتاجا سيئا من نتائج أعمالهم ، ودليلا بينا لسوء نياتهم ، وخبث طوياتهم ، فمن يا ترى سيذهب ضحية تلك الفوضى العارمة والمظاهرات الفاشلة ؟ أليس كل أخ أو قريب لنا في هذه البلاد ، فالمتظاهر من بلدنا والمدافع ورجل الأمن من بلدنا ، فالكل يهمنا ، فهل اهتم أهل الإصلاح بذلك ؟ لا والله ما اهتموا ولن يهتموا ، فربما قتل الأخ أخاه ، والجار جاره ، فأصبحنا نطالب بدماء بعضنا بعضا ، حتى تسيل الدماء وتقع البغضاء ، وليس لها من دون الله كاشفة .

مخططاتهم لا تخفى على السفيه فضلا عن العاقل الفطن ، الذي وهبه الله العقل والتفكير ، فهم يخططون لزرع البغضاء ، وإيجاد الشحناء بين الراعي والرعية ، يثيرون الفتن ، ويؤججون نيران المحن ، ويؤلبون الناس على حكامهم ، وأنهم فعلوا بهم كذا وكذا ، يفترون الكذب ، ويختلقون الافتراء ، وطويتهم تخفي العداء ، يريدون الإطاحة بمن يحكم بشريعة الله تعالى ، فإن أطاعهم الناس في ذلك فحتما ستقع من البلايا والرزايا ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

قولوا لي بربكم : كيف تسير الأمور وقد خرجت عن نصابها ؟ كيف وقد أصبحنا في غابة لا حاكم لها ؟ ستحدث الفوضى ، ويكثر الهلكى ، كما شاهد ملايين البشر ما حدث في العراق الشقيق إبان الإطاحة بحاكمه ورئيسه ، لقد رأينا بأم أعيننا ما حصل من جرائم تصفيات جسدية ، وسرقات علنية ، ونهب واضح ، وتعد على الأعراض والممتلكات ، لا أمن ولا أمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن من يريدون الإصلاح يدعون إلى قيادة المرأة للسيارة ، ولا ريب أن كل مسلم غيور ، وعلى قول الحق جسور ، لا يرضى بقيادة المرأة للسيارة لما في ذلك من الفتن والمفاسد التي ربما قضت على الأمن

والاستقرار في ربوع البلاد ، وهم يدعون إلى ذلك ، ويرغبون الناس فيه لاسيما الطبقات المترفة في البلاد ، ويدعون إلى الإباحية لما شاهدوه في بلاد الكفر والعهر والفجور ، يريدون خروج المرأة عارية وشبه عارية إلى الأسواق والمنتديات العامة ، يريدون المرأة المسلمة السعودية الأبية بنت القبائل والرجال أن تخرج وتخالط الرجال حتى ينقض عليها سفلة الذكور منهم ، فيمزقون حياءها ، ويدمرون شرفها ، ويدنسون عفافها ، ويضعون كرامتها .

وأي أب أو أخ أو زوج يرضى بمثل تلك الدعاوى الباطلة ، والحجج الزائفة ، والأفكار الغادرة التي تدعو لها قناة الإصلاح ؟

يدعون للإصلاح وفي الحقيقة يسعون في الأرض فسادا ، لقد حق عليهم قول ربنا تعالى : " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون " [البقرة ١١] .

يريدون أن يحصل لنا من الشرور والمفاسد ما حصل ويحصل الآن في العراق وفلسطين وغيرهما من الدول والشعوب ، من اختلاف في الرأي والمشورة والهدف ، وهاهو العالم بأسره يرى ما يحصل في كثير من بلدان العالم بسبب الخلاف على الرئاسة وتنحية الرؤساء من حروب أهلية ، وتناحرات عصبية ، وويلات تئن منها الأوطان والبلدان .." (١)

١٦٤. "سفير إسبانيا يحمل السياسة وزر الشقاق بين الأديان

...الإسلام اليوم / صحف :

...١٢/٩/١٤٢٧ ٢:٥٩ م

٠٥/١٠/٢٠٠٦

رفض سفير إسبانيا في السعودية منويل الابارت إعادة سوء التفاهم بين المسلمين والغرب إلى الدين، واعتبر السياسة حاملة وزر الشقاق بين أهل الكتاب: اليهود والنصارى والمسلمين.

وأشار في كلمة ألقاها نيابة عن السفراء في الإفطار السنوي لندوة الشباب الإسلامي في الرياض أمس، إلى أن الدين وإن ظهر في «مقدم الأسباب التي أدت إلى سوء التفاهم القائم بين الشرق والغرب»، مما دفع البعض إلى الظن بأن «العقائد الدينية هي سبب الخلافات، إلا أن سبب الاختلاف في الحقيقة هو الأوضاع السياسية، ولذلك يجب أن نجد حلا مرضيا للمشكلة الإسرائيلية – الفلسطينية، ومشكلة أسلحة الدمار الشامل ومشكلة الفقر».

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٣٢١/٥٥

ورأى منويل أن التصور الذي يحمل الدين مسؤولية سوء التفاهم، سببه «ظهور حركات دينية في العقود القليلة الماضية، بينما كانت العلمانية قبل ذلك سيدة الموقف».

وفي وقت أكد فيه مانويل أن الديموقراطية تساعد في ازدهار الدين قال: «في تلك الظروف يجب علينا أن ندخل في حوار بين الحضارات، هنا يجب علينا أن نخلق أرضية مشتركة للعلمانية والدين والإيمان، لنبدأ في بناء عالم جديد من التعايش والأمن والسلام، هنا يجب أن نشير إلى أنه لا يوجد بديل للحوار».

من جانبه، أكد رئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي الدكتور صالح الوهيبي على معان مشابهة، اعتبر فيها التعايش والتعاون بين الحضارات والمنظمات الاغاثية العالمية «خيارا لا غنى عنه، كما أثبتت الأحداث الأخيرة».

يذكر أن الندوة العالمية للشباب الإسلامي اعتادت تنظيم حفلة إفطار على مدى أربعة أعوام، يحضرها معظم رجال السلك الدبلوماسي لدى السعودية.

=============." (١)

١٦٥. "الحضارات بين الحقيقة و الخداع

بقلم/ مجدي أحمد حسين

منذ انهيار المعسكر الشيوعي قفز إلى رأس جدول أعمال العالم موضوع الصراع بين الغرب و الإسلام وتحول الى محور رئيسي للسياسات الدولية ، وفى المقابل بدأ الترويج لمقولة مضادة وهى حوار الحضارات بعيدا عن صراع الحضارات ، وتشكلت من أجل ذلك العديد من المنتديات الدولية .

في العالم الإسلامي ظن البعض أن مواجهة العداء الغربي للإسلام تتم من خلال عدة محاور : إبراز شعار حوار الحضارات – تحسين صورة الإسلام في الغرب – تغيير الخطاب الديني الإسلامي بحيث يكون مقبولا على المستوى الدولي عامة والغربي خاصة.

حول هذا الموضوع جرت الكثير من المساجلات اختلط فيها الثابت مع المتغير ، اختلط فيها تحديد من أين نشأت المشكلة بين الشرق والغرب ، أو بالأحرى أي جانب هو المسئول عن سوء التفاهم ، اختلط فيها ما هو عقائدي مع ما هو سياسي ، ما هو مبدئي مع ما هو عملي (براجماتي) ، بل اختلط فيها كثير من الحقائق الساطعة ، من المسئول عن أزمة الثقة ، من المعتدى ومن المعتدى عليه

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٥٥/٦١

، بل غلب على النخبة الإسلامية الرسمية وغير الرسمية الطابع الاعتذاري عن جرائم لم نرتكبها ، وكأن ضعفنا المادي وتأخرنا عن مواكبة أسباب التكنولوجيا المتطورة سبب كاف لخلط الأوراق ، وعدم ذكر الحقائق التى جرت وتجرى على مشهد ومرأى من العالمين.

ولكل هذه الأسباب أرى أن أركز على الثوابت الإسلامية فيما يتعلق بهذا الموضوع : نحن والغرب أو بالأحرى نحن وكل الآخرين من غير المسلمين .

وسنجد فى إسلامنا كل ما يمكن أن نفاخر به ، بل ونتحدى اذا كان لدى الآخرين ما هو أفضل وأكثر عدلا ورقيا فإننا على استعداد لأن نأخذ به .(وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ ٢٤.

الحوار والتفاهم والتعارف:

لنبدأ بالنقطة الجوهرية التى أفاض فيها الكثيرون من النخبة الرسمية وغير الرسمية فى بلاد المسلمين ، والتى يركزون عليها دون باقى النقاط المكملة لها ، ولكننا نبدأ بها لنؤكد أنها فكرة صحيحة وأساسية بلا خلاف ، ولكنها ليست كافية لعرض موقفنا كله ازاء المتغيرات المختلفة .

ونقصد أن الاسلام يحض على الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلمى ، ذلك أن الدين الحق لا يقوم الا على الاقناع و الاقتناع ، ولا يوجد ايمان بحد السيف ، فالايمان لغة هو التصديق(١).

وآيات القرآن عديدة فى هذا المجال .. (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة. وجادلهم بالتى هى أحسن)النحل١٢٥ . (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) البقرة ٢٥٦ .. (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)يونس٩٩.

ولأن البشرية تنقسم الى شعوب و قبائل فان الدعوة تكون (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)الحجرات١٣.

وعندما تتمايز الأمم فان الهدف الأسمى هو التعايش والتعارف وعدم استعلاء طائفة على أخرى، ولا أمة على أمة، ثم يكون الأكرم عند الله هو الأكثر تقوى، والحساب النهائى عند الله وليس على هذه الأرض الفانية. وحتى الخلاف العقائدى فهو متروك لله عز وجل كى يحكم فيه يوم القيامة (ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)آل عمران٥٥.

اذن من وجهة النظر الاسلامية الخالصة ، لاتوجد أى مشكلة على الأرض ، بسبب الخلاف فى الرأى أو العقيدة أو اللون أو العرق أو القومية، بل أن الاسلام يدعو الى مباراة سلمية فى إعمار الأرض

والتخلية بين الانسان و اختياراته العقائدية.
من أين يأتى الصدام؟!
من أين يأتى الصدام اذن ؟ من أين تنشأ المشكلة؟
تأتى من الطرف الذى يرفض المبادرة السلمية ويستخدم وسائل الاكراه فى فرض هيمنته ورؤيته ومصالحه.
واذا افترضنا أن الكرة الأرضية مسرح واحد متواصل فاننا كاسلاميين نقبل منطق المباراة السلمية ، ولترفع العقبات والروادع عن كل الرؤى والأيديولوجيات ولنترك الحكم لجمهور البشرية ، ولكن الغرب لم يقبل بهذا المنهج .. بل وصل الأمر الى حد التدخل فى شئون الدول العربية و الاسلامية ضد الأنظمة ذات التوجه القومى ، ثم ضد الأنظمة ذات التوجه الاسلامى ، ثم انتقل الآن الى الأنظمة الصديقة يريد أن يتدخل فى اسلوب حياة مجتمعاتها ومناهج التعليم و الخطاب الدينى.
والآن تتم عملية تعليق هذا التدخل على مشجب أحداث ١١ سبتمبر فى حين أن تاريخ التدخلات قديم ولم ينقطع بعد فترة الاستعمار التقليدى ، وكانت التدخلات الغربية متصاعدة فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وعندما نشير الى الغرب فإننا نشير بشكل خاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية التى اتخذت السياسة الأكثر غلوا ، ولكن أوروبا لم تعارض هذا التوجه الأمريكى جذريا ولم تقدم بديلا متماسكا للعلاقات بين الاسلام و الغرب ، وكان خلافها مع الولايات المتحدة تكتيكيا خاصة ألمانيا وفرنسا وبلجيكا . بل لقد عادت بنا الولايات المتحدة الى مرحلة الاستعمار التقليدى مرة أخرى باحتلال أفغانستان والعراق والتهديد باحتلال دول أخرى.
وبالتالى نحن أمام الوضع التالى:." (١)

١٦٦. "حوار الحضارات بين الحقيقة و الخداع

أ. مجدي أحمد حسين*

منذ انهيار المعسكر الشيوعي قفز إلى رأس جدول أعمال العالم موضوع الصراع بين الغرب و الإسلام وتحول إلى محور رئيسي للسياسات الدولية، وفى المقابل بدأ الترويج لمقولة مضادة وهى حوار الحضارات بعيدا عن صراع الحضارات، وتشكلت من أجل ذلك العديد من المنتديات الدولية.
في العالم الإسلامي ظن البعض أن مواجهة العداء الغربي للإسلام تتم من خلال عدة محاور: إبراز

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٦٠/٦١

شعار حوار الحضارات – تحسين صورة الإسلام في الغرب – تغيير الخطاب الديني الإسلامي بحيث يكون مقبولا على المستوى الدولي عامة والغربي خاصة.

حول هذا الموضوع جرت الكثير من المساجلات اختلط فيها الثابت مع المتغير، اختلط فيها تحديد من أين نشأت المشكلة بين الشرق والغرب، أو بالأحرى أي جانب هو المسئول عن سوء التفاهم ، اختلط فيها ما هو عقدي مع ما هو سياسي ، ما هو مبدئي مع ما هو عملي (براجماتي) ، بل اختلط فيها كثير من الحقائق الساطعة ، من المسئول عن أزمة الثقة ، من المعتدى ومن المعتدى عليه ، بل غلب على النخبة الإسلامية الرسمية وغير الرسمية الطابع الاعتذاري عن جرائم لم نرتكبها ، وكأن ضعفنا المادي وتأخرنا عن مواكبة أسباب التكنولوجيا المتطورة سبب كاف لخلط الأوراق ، وعدم ذكر الحقائق التي جرت وتجرى على مشهد ومرأى من العالمين.

ولكل هذه الأسباب أرى أن أركز على الثوابت الإسلامية فيما يتعلق بهذا الموضوع: نحن والغرب أو بالأحرى نحن وكل الآخرين من غير المسلمين.

وسنجد في إسلامنا كل ما يمكن أن نفاخر به ، بل ونتحدى إذا كان لدى الآخرين ما هو أفضل وأكثر عدلا ورقيا فإننا على استعداد لأن نأخذ به .(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ ٢٤.

الحوار والتفاهم والتعارف:

لنبدأ بالنقطة الجوهرية التي أفاض فيها الكثيرون من النخبة الرسمية وغير الرسمية في بلاد المسلمين ، والتي يركزون عليها دون باقي النقاط المكملة لها ، ولكننا نبدأ بها لنؤكد أنها فكرة صحيحة وأساسية بلا خلاف ، ولكنها ليست كافية لعرض موقفنا كله إزاء المتغيرات المختلفة .

ونقصد أن الإسلام يحض على الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلمي، ذلك أن الدين الحق لا يقوم إلا على الإقناع و الاقتناع، ولا يوجد إيمان بحد السيف ، فالإيمان لغة هو التصديق.(١)

وآيات القرآن عديدة في هذا المجال .. (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة. وجادلهم بالتي هي أحسن)النحل١٢٥ . (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة ٢٥٦ .. (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)يونس٩٩.

ولأن البشرية تنقسم إلى شعوب و قبائل فان الدعوة تكون (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)الحجرات١٣.

وعندما تتمايز الأمم فان الهدف الأسمى هو التعايش والتعارف وعدم استعلاء طائفة على أخرى، أو لا أمة على أمة، ثم يكون الأكرم عند الله هو الأكثر تقوى، والحساب النهائي عند الله وليس على هذه الأرض الفانية. وحتى الخلاف العقدي فهو متروك لله عز وجل كي يحكم فيه يوم القيامة (ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)آل عمران٥٥.

إذن من وجهة النظر الإسلامية الخالصة، لا توجد أي مشكلة على الأرض ، بسبب الخلاف في الرأي أو العقيدة أو اللون أو العرق أو القومية، بل إن الإسلام يدعو إلى مباراة سلمية في إعمار الأرض والتخلية بين الإنسان و اختياراته العقدية.

من أين يأتي الصدام؟!

من أين يأتي الصدام إذن ؟ من أين تنشأ المشكلة؟

تأتى من الطرف الذي يرفض المبادرة السلمية ويستخدم وسائل الإكراه في فرض هيمنته ورؤيته ومصالحه.

وإذا افترضنا أن الكرة الأرضية مسرح واحد متواصل فإننا كإسلاميين نقبل منطق المباراة السلمية، ولترفع العقبات والروادع عن كل الرؤى والأيديولوجيات ولنترك الحكم لجمهور البشرية، ولكن الغرب لم يقبل بهذا المنهج، بل وصل الأمر إلى حد التدخل في شؤون الدول العربية و الإسلامية ضد الأنظمة ذات التوجه القومي، ثم ضد الأنظمة ذات التوجه الإسلامي، ثم انتقل الآن إلى الأنظمة الصديقة يريد أن يتدخل في أسلوب حياة مجتمعاتها ومناهج التعليم و الخطاب الديني.

والآن تتم عملية تعليق هذا التدخل على مشجب أحداث ١١ سبتمبر في حين أن تاريخ التدخلات قديم ولم ينقطع بعد فترة الاستعمار التقليدي، وكانت التدخلات الغربية متصاعدة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وعندما نشير إلى الغرب فإننا نشير بشكل خاص إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي اتخذت السياسة الأكثر غلواء، ولكن أوروبا لم تعارض هذا التوجه الأمريكي جذريا ولم تقدم بديلا متماسكا للعلاقات بين الإسلام و الغرب، وكان خلافها مع الولايات المتحدة تكتيكيا خاصة ألمانيا وفرنسا وبلجيكا. بل لقد عادت بنا الولايات المتحدة إلى مرحلة الاستعمار التقليدي مرة أخرى باحتلال أفغانستان والعراق والتهديد باحتلال دول أخرى.

وبالتالي نحن أمام الوضع التالي:." (١)

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٦٢/٣

١٦٧. "وهذا ما دفعنى إلى التمسك بمقولة (تعارف الحضارات) التى يمكن فهمها وتحديدها والبرهنة عليها ، وحتى الاتفاق عليها . ويلاحظ زكى الميلاد أنه بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م تنامت فى المجتمعات الغربية ظاهرة لفتت إليها الكثيرين فى داخل هذه المجتمعات ، وفى خارجها ، وهى ظاهرة تزايد واتساع الاهتمام نحو الاطلاع والتعرف والتساؤل عن الإسلام من جديد ، لدرجة أصبحت المؤلفات والكتابات فى هذا المجال هى الأكثر انتشارا وتداولا وطلبا ، وبدأت المراكز والمعاهد والجمعيات الإسلامية هناك تستقبل اتصالات لم تشهد مثيلا لها من قبل ، وتدور هذه الاتصالات حول الإسلام والقضايا الإسلامية والمجتمعات الإسلامية . ووصل الحال ببعض المعاهد والكليات والجامعات الأوروبية والأمريكية – التى وجدت من الضرورى تخصيص برامج دراسية حول الإسلام – أن تستجيب لحاجات طلابها فى تكوين المعرفة بالإسلام والثقافة الإسلامية ، ويمكن وصف هذه الظواهر بأنها تأتى فى سياق تأكيد الحاجة إلى تعارف الحضارات .

من جهة أخرى إن هذه الأحداث كشفت عن اختلالات عميقة فى طبيعة الرؤية المتشكلة حول العالم عند بعض الفئات والجماعات الإسلامية التى تحاول أن تصادم العالم وتنقطع عنه وترفض الاندماج فيه ، وتعتبر أنها فى حالة حرب ومواجهة مع الذين يختلفون معها فى الدين والعقيدة . وهذه الحالة فى جوهرها تعبر عن أزمة فكرية ناشئة من عدم القدرة على تكوين المعرفة بالآخر المختلف . فحين أن الذى ينبغى إعادة النظر فيه هو أن حقيقة مشكلتنا نحن فى العالم الإسلامى هى مع تخلفنا بالدرجة الأولى وليس مع الغرب أو الحضارات الأخرى . وبالتالى فإن القضية هى كيف نتغلب على هذا التخلف ونسلك طريق التحضر ، ومتى ما قطعنا هذه الخطوات أو بعضها سوف يتغير موقعنا فى العالم ، كما سوف تتغير نظرة العالم والحضارات الأخرى إلينا. لذلك فإننا ندرك وبعمق حاجتنا لأن ننهض بمشروع يكون بمستوى التعارف مع الحضارات على قاعدة أن نكتشف لأنفسنا الطريق الذى نستقل به فى سعينا نحو التمدن والتحضر .

كان يفترض فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، أن تهيىء اللحظة التاريخية لانطلاقة فكرة أو نظرية حول تعارف الحضارات ، لكى يتحصن العالم من النزاعات والصدامات والحروب ، ولكى لا تتكرر مثل هذه الأحداث مرة أخرى فى أى مكان من العالم . وهذا يتطلب صياغة رؤية جديدة للعالم يشترك الجميع بكل تنوعاتهم الدينية والثقافية ، العرقية والقومية ، اللغوية واللسانية ، فى صياغتها وبلورتها وتكاملها ، وفى التضامن حولها ، والدفاع عنها . الرؤية التى تنطلق من مراجعة شاملة ونقد جذرى

لطبيعة النظام العالمى السائد بكل مكوناته وعناصره وشرائطه ، ويصل إلى جوهره وحقيقته . لأن هذا النظام العالمى يرسخ العنصرية والطبقية وبكل صورها وأنماطها ، ولا يضمن كرامة الجميع ولا يحفظ حقوق الجميع . وهذه الوضعيات هى التى تحرض على انتشار ظواهر العنف ، وتسبب النزاعات ، وتشعل الحروب ، وهى التى تجعل مثل أحداث أيلول/سبتمبر ممكنة الحدوث . والأفدح من ذلك محاولة الغرب أن يحتكر الحضارة والمدنية لنفسه ، ويرسخ فى العالم الانقسام بين أمم متحضرة وأمم متخلفة ، هذا الاختلال هو ما ينبغى أن يتغير .

وفكرة تعارف الحضارات تأتى فى سياق نقد هذا الاختلال والعمل على إنهاض وبناء وعمران الحضارات المختلفة ، لأنها – أى تعارف الحضارات – تنطلق من نزعة إنسانية عميقة هى التأكيد على وحدة الأصل الإنسانى ، والغاية من تأكيد وحدة الأصل الإنسانى فى هذه الآية هو أن ينظر الناس من أمم ومجتمعات وحضارات إلى أنفسهم كما لو أنهم أسرة واحدة ، لكنها منتشرة على مساحات هذه الأرض . وهذه النظرة الإنسانية والأخلاقية بحاجة إلى تنظيم قواعد السلوك على المستوى الدولى . يضاف إلى ذلك أن هناك اعتقادا بدأ يتأكد بين الحضارات ، هو أن هذه الحضارات لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغى ، وتفتقد إلى جسور التواصل فى عالم تطورت فيه تقنيات الاتصال وأنظمة المواصلات التى باتت تربط العالم ، وتجعل منه أشبه ما يكون بقرية صغيرة. لهذا يمكن الاستفادة من العولمة فى تطوير وتعميم فكرة التعارف بين الحضارات، وتقليص المسافات التى تفصل بينها وإزالة جميع صور الجهل أو عدم الفهم أو غير ذلك فيما بين هذه الحضارات .

رأى المؤلف." (١)

١٦٨. "وماذا عن حوار الحضارات؟!

من المعروف بداهة أنه لابد حتما لكل حوار مهما كان نوعه من تكافؤ، ونداة بين المتحاورين، ولو بنسب متقاربة، وأن يكون «الإصلاح» حقا هو الهدف الصادق المخلص لموضوع الحوار بحيث ينتهي هذا «الإصلاح» إلى تواد، وتراحم، وتسامح، ومحبة في التعامل بين مختلف الشعوب العالمية ذات الحضارات التي تصل إلى حد التناقض.. بل إلى حد «العداء» الصريح الصارخ على مدى زمني موغل في عمق التاريخ!! وقد كان لابد من ذلك حتما بسبب الخلافات الشديدة بين ثقافات عديدة متضاربة، وبين مصالح، ومطامح متضاربة متناقضة، يسودها الجشع، والطمع، وتكتنفها الكثير من

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٦٢/١٠٥

الجهالات عبر المسار الزمني المديد!!

ومن ثم لم نكن نسمع بما يسمى بالدعوة إلى الحوار بين الحضارات، أو بين الأديان في العالم إلا عندما وصلنا إلى زمن يفترض أن قد ارتقت، أو تسامت، وازدهرت فيه العلوم، والمعارف، ونضجت نوازع التعامل الإنساني التي هي غاية الأديان، والحضارات في كل زمان، ومكان. ولكن لاشك أننا قد أخطأنا كثيرا جدا عندما اعتبرنا زمننا هذا هو الزمن الصالح المناخ، أو الجيد التربة لبدء الشروع في التداعي العالمي إلى الحوار بين الأديان، والحضارات بغية تقارب إنساني عالمي صادق مخلص. نعم لاشك أننا قد أخطأنا في مسألة التوقيت هذه حيث مازالت «الهمجيات» و«الجهالات» و«التوحشات» والأطماع بما في أيدي الغير.. مازال كل ذلك سائدا متوغلا، متغلغلا!! ومن ثم لا يمكن لزمن تسود فيه كل هذه «البشاعات» أن يكون -بأي حال -زمنا صالحا لحوارات إنسانية متسامية.فأقلوا علينا من كثرة هذا الحديث.. مادام لازال بيننا صاحب أرفع منصب دين عالمي «بابا الفاتيكان» لا يخجل، ولا يستحي من أن يمارس علنا على رؤوس الأشهاد إهانة، وتحقير، وشتم خاتم الأديان، وخاتم الأنبياء، وهو يعلم تماما كون ذلك حقيقة صارخة لا يدانيها أي شك!!

============." (١)

١٦٩. "٢ - أنهم سألوا ربهم أن ترد أرواحهم في أجسادهم، وهذا صريح في أنها قد فارقتها بالموت.

٣ - أنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليقاتلوا في سبيل الله لما رأوا من عظيم ثواب الشهادة، فمنعوا من ذلك، فقد انقطع التكليف وانقطع العمل وما بقي إلا الجزاء، فإذا لم يملكوا هم لأنفسهم نفعا ولا حياة ولا تصرفا، مع كرامتهم عند ربهم ووجاهتهم عنده، فكيف يملكون لغيرهم من الخلق جلب منفعة أو دفع مضرة؟!) اهـ.

عن كعب بن مالك عن صلى الله عليه وسلم قال:" نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه " رواه مالك وأحمد والنسائي.

والنسمة هنا أي الروح، يدل عليه قوله:" حتى يرجعه الله إلى جسده ". فهذا يدل على أن الروح تعاد إلى الجسد يوم القيامة، فكيف يقال أن الأنبياء والصالحين يخرجون من قبورهم بأجسادهم لإنقاذ من يستغيث بهم؟!

* *

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٣٨/٦٢

ذكر بعض الأدلة التي تثبت عدم شعور الأحياء بحياة الشهداء البرزخية:
قال تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) (البقرة:١٥٤).
فهذا يدل على أننا لا نشعر بحياة الشهداء البرزخية.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن صلى الله عليه وسلم قال:" لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا:من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد؟ قال:فقال الله عز وجل:أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عن ربهم يرزقون) " رواه أحمد وأبو داود. فهذا يدل على أن الصحابة لم يكونوا يشعروا بحياة الشهداء وأن الشهداء تمنوا من يبلغ إخوانهم ما هم فيه من نعيم.
(عن طلحة بن خراش قال:سمعت جابرا يقول:لقيني رسول ا صلى الله عليه وسلم فقال لي:" يا جابر مالي أراك منكسرا "؟ فقلت:يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا. فقال:" أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ " قال:قلت:بلى يا رسول الله. قال:"ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكله كفاحا، فقال:يا عبدي تمن علي أعطك. قال:يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل:إنه سبق مني (أنهم إليها لا يرجعون) " رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والحاكم وقال:صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي . وحسنه أيضا الألباني في "ظلال الجنة".
وهو حديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلا عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها) انتهى نقلا من "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" (٣٨/٢-٣٩).
ويستفاد منه أيضا أن جابر رضي الله عنه لم يكن يعلم عن النعيم الذي كان يتنعم به والده رضي الله عنه.
* *

ذكر بعض الأدلة التي تثبت عدم إمكانية رؤية صلى الله عليه وسلم يقظة:
(من الأدلة على ذلك أن أمورا عظيمة وقعت لأصحاب رسول ا صلى الله عليه وسلم وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم، نذكر منها:

- انه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة صلى الله عليه وسلم بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة رضي الله عنهما على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن صلى الله عليه وسلم قال:"نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة" رواه البخاري وغيره.

- الخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم اجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم صلى الله عليه وسلم حتى يحقن هذه الدماء؟

- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جدا منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر صلى الله عليه وسلم حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم .

- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول: (ثلاث وددت أن رسول ا صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهدا ننتهي إليه:الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا) متفق عليه.

فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له:لا تحزن حكمها كذا وكذا). انتهى نقلا من "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" (٢/٤٧-٤٩) باختصار.." (١)

١٧٠. "عموما الحقبة الصليبية لم تخضع في الغرب لتحليل موضوعي إلا لدى القليل من الباحثين الغربيين، والذين أصواتهم لا تصل أمام سيل الكتابات التي تجد جهات متعددة تعمل على نشرها، وهي إشكالية دوائر الاستشراق، وطبيعة الثقافة المهيمنة في الغرب، والتي لا تحاكم المراحل التاريخية الماضية بتجرد كاف، فلا تعمل على إخضاعها للعقل العام المحايد بعيدا عن دور المؤثرات المحيطة وخاصة فكرة مركزية أوروبا في التاريخ والعقل، ومناهج وأدوات التحليل المنفعلة بالتجربة التاريخية الأوروبية.

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٨٥/٦٤

ولو كان ذلك يحدث لكانت هناك أصوات كثيرة مسموعة في الغرب تحول دون جنون الإمبراطوريات العائد من جديد، والفوضى الثقافية التي باتت تعم الغرب لتضعه في مواجهة مع الإسلام دون أن تكون لهذه المواجهة وهذه الحروب أية دواع أو مبررات، فرؤية الماضي تخضع (لموقع الأنا) في الغرب شأنها شأن رؤية المستقبل، وبما أن مساحة (الأنا) في الغرب لا تحكمها معايير موضوعية فمن الطبيعي أن تكون رؤية الأحداث التاريخية مرتبطة بشكل أو بآخر بالمصلحة التي تحكم ظهور تلك الدراسات.

لقد أعيد تحليل الحملة الصليبية الرابعة مرات عديدة من قبل الكتاب الغربيين، لكن هذه الدراسات بقيت تراوح مكانها، ولم تعمل على جلاء الحقيقة كما يجب، فالذين انطلقوا من اعتبار أن الحملات الصليبية نشأت لأسباب اقتصادية بحتة؛ أسهبوا في الحديث عن الحملة الرابعة باعتبارها تجلت فيها المطامع الاقتصادية بسبب الخلافات بين البندقية والإمبراطورية الرومانية، ووجود عامل المنافسة بين ميناءي البندقية وميناء زارا المجري؛ في محاولة لاستبعاد العامل الديني من الصراع، وهو بدوره محاولة خفية لتبرئة البابا وتبرئة الكنيسة الكاثوليكية من تأجيج الصراع الديني الذي صنعته منذ كليرمون ١٠٩٥م، كما ظهرت العديد من الدراسات في الغرب حاولت تقديم البابا بصورة الرافض لتلك الحملة مع أنه في واقع الحال كان الملهم لها، والمستفيد الأول منها.

أطماع.. وأطماع:

الصورة التاريخية التي جاءت عليها الحملة أن البابا «إنوسنت الثالث» في عام ١٢٠٢ دعا إليها، وطلب توجيه الحملة إلى مصر، ومن ثم شن الحملة من هناك باتجاه القدس بغاية استردادها من المسلمين، إذ أدرك الصليبيون أن القدس كانت قد غدت عنوان الأمة بأكملها، وبالتالي إن الضغط على مصر بحكم قوتها وقيادتها للأمة آنذاك سيخرجها من صف الأمة، وهو ما سيعمل على إضعاف الأمة الإسلامية بأكملها في حال وافقت مصر بترك دورها المدافع عن القدس، وهو ما تجلى فيما بعد في الحملة الخامسة.

وفي التفاصيل الداخلية للحملة أن ثمة مساومة حصلت بين الصليبيين وبين البندقية أفضت إلى تحويل سير الحملة نحو رأس الكنيسة الشرقية، لكن هذه التفاصيل التي أرادت تصوير الأمر وكأنه مغامرة تجارية – في محاولة لإسقاط العامل الديني من الحملة – إنما هي بعيدة عن الواقع، فالأوروبيون كانوا يتقاتلون طوال الفترة الماضية، وخاضوا العديد من الصراعات الدموية أثناء توجههم إلى بلاد المسلمين، فالتناقض بين ميناءين متنافسين هي مسألة طبيعية، ولكن من غير الطبيعي أن تكون الحملة بأكملها

خرجت عن سير الكنيسة صاحبة السلطان القوي في تلك المرحلة، والتي لم يكن أحد من الملوك أو الأمراء يستطيع مخالفتها لأنها القادرة على معاقبة من يعارضها فيما يسمى الحرمان الكنسي الذي يعني حرق المخالف للكنيسة حيا، أو إلغاءه معنويا.

ناهيك عن أن الحملة كانت قد خرجت للتو من جوار ما يسمى الكرسي الرسولي، فالمسافة الفاصلة بين البندقية ومكان إقامة البابا ليست ببعيدة، وهو ما حاول التضليل عليه بعض الباحثين اليوم، الذين يريدون التخفيف من وطأة تلك الحوادث بغاية استقطاب الأرثوذكس من خلال القول: أن البابا لم يكن راضيا عن سير الحملة تلك، وهو رأي لا يتوافق مطلقا مع طبيعة البابوية وسطوتها، وقوة نفوذها في تلك الآونة.

البحث عن بوابة للمنطقة:

كان خط سير الحملة باتجاه القسطنطينية من الناحية العسكرية والسياسية بالنسبة للبابوية صحيحا، ولم يكن هناك ثمة لبس في خط سير الجنود، فالبابوية كانت بحالة عداء مع الكنيسة الشرقية منذ انقسامها بشكل نهائي في عام« ١٠٥٤ م»، وكان يرضي غرور البابا احتلال القسطنطينية لأنه سيعمل على إلغاء الكنيسة الأرثوذكسية لصالح الكنيسة الكاثوليكية، وسيمنح البابا الفرصة ليصبح رجل المسيحية الأوحد، وكان البابا يجد مبررا دينيا لخوض هذه الحرب، لأن الكنيسة الشرقية وفق نظرة البابا كانت هرطقة، وزوالها أو إضعافها هو جزء من فكرة الحرب العادلة التي أطلقتها الكنيسة منذ عهد أوغسطين.." (١)

١٧١. "ولم يشأ البرسقي من جهته- أن يمضي في الحرب كيلا يتعرض المسلمون لما تعرضوا له من قبل في عزاز، فقرر عقد الصلح مع الصليبيين، غير أن بلدوين لم يلبث بعد أن جلا البرسقي بقواته عن الأثارب- أن أنكر ما سبق أن عرضه على البرسقي من شروط الصلح وأهمها إعادة (رفينة) إلى المسلمين، بل إنه طالب ببلاد جديدة فلم يقبل البرسقي ذلك وأقام فترة في حلب ترددت الرسل أثناءها بين الطرفين دون أن تسفر عن نتيجة، كما أن الغارات التي نشبت بينهما عقب ذلك لم تأت بطائل، فرجع بلدوين إلى القدس في رجب، وتوجه البرسقي إلى حلب يصحبه طغتكين حاكم دمشق الذي كان قد التحق به قبيل ذلك عند قنسرين، إلا أنه ما لبث أن مرض وأوصى إلى البرسقي قبل أن يغادر حلب متوجها إلى دمشق، الأمر الذي يشير إلى مدى ثقته وتقديره للبرسقي الذي لم يأل

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٤٦/٦٧

جهدا في مقاومة الغزاة، وبعد أن أناب البرسقي ابنه عز الدين مسعود في حلب، قفل راجعا إلى الموصل.

تعبيد الطرق:

ما من شك في أن هزيمة البرسقي غير المتوقعة في عزاز، هي التي قلبت ميزان القوى في المنطقة ووضعت جدارا صلبا أمام مطامح البرسقي الذي كان يأمل بعد ضم حلب إلى إمارته – أن يحقق للمسلمين انتصارات حاسمة ضد أعدائهم، وأن يسعى لتهديد إماراتهم في الشمال بعد أن يوجه ضربات قوية لجيوشهم هناك، وهكذا جاءت كارثة عزاز لتنحرف بحركة البرسقي عن هدفها المرسوم، إلا أن قادة الصليبيين لم ينسوا رغم ذلك– أن البرسقي سيظل يشكل خطرا على وجودهم، إذ أدركوا ما تمنحه إياه سيطرته على حلب وقيادته لقوى المسلمين في الشام، من إمكانية متجددة لإعادة الكرة عليهم، ومن ثم اقتنع كل من الطرفين بمنطق التهادن والمحالفات والسعي لتجنب أي اشتباك قد يجر وراءه صراعا طويلا لم تكن للطرفين رغبة جادة في خوضه نظرا لاعتقادهما بعدم جدواه، ولئن كان البرسقي قد أضاع الفرصة إثر هزيمة عزاز، فإنه فتح الطريق ولا ريب بضمه حلب إلى الموصل– أمام عماد الدين زنكي الذي جاء بعد سنتين لكي يصفي الحساب مع الغزاة.

نهاية الرجل:

لم يلبث البرسقي، بعد أيام قلائل من دخوله الموصل، أن اغتيل على أيدي الباطنية الذي كانوا قد تولوا حملة اغتيالات واسعة النطاق لكبار الشخصيات الإسلامية، بسبب الخلافات المذهبية، وقد بلغت هذه الحملة أوجها في القرن السادس الهجري، وكانت الباطنية تشكل إذا– مصدر الخطر الوحيد ضد البرسقي، وقد عرف هو ذلك منذ البداية، فكان على غاية من التيقظ لهم والتحفظ منهم، وكان يحيط بنفسه بعدد كبير من الحرس المسلمين الذين كانوا دائما على أهبة الاستعداد، كما كان يلبس درعا من حديد، وقد جهد في الحد من خطر الباطنية عن طريق التصدي لهم واستئصال شأفتهم وتتبعهم في كل مكان، وقد تمكن من قتل عدد منهم.

ورغم كل هذه الاحتياطيات والإجراءات تمكن الباطنية الذين تمرسوا على الاغتيالات من بغيتهم. ففي التاسع من ذي القعدة سنة ٥٢٠ هـ توجه البرسقي إلى الجامع العتيق في الموصل لأداء صلاة الجمعة، وقصد المنبر، فلما دنا منه وثب عليه ثمانية أشخاص متزيين بزي الزهاد وأثخنوه ضربا وطعنا، بعد أن تمكن وحراسه من قتل بعضهم، ثم حمل جريحا ومات في نفس اليوم، وتم قتل جميع من اشترك في

الاغتيال فيما عدا واحدا منهم تمكن من الهرب إلى الشام.
وكان البرسقي قد رأى في منامه في الليلة الفائتة- بأن مجموعة من الكلاب السوداء هاجمته، وقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بعدم الخروج من داره أياما، ولكنه رفض اقتراحهم وقال: لا أترك صلاة الجمعة لشيء أبدا.. وكان من عادته أن يحضر صلاة الجمعة مع سائر الناس.
ويلقي العماد الأصفهاني ضوءا على الدوافع المباشرة لاغتيال البرسقي، إذ يشير إلى العداء المستحكم بينه وبين (الدركزيني) الباطني وزير السلطان السلجوقي محمد، الذي عمل جاهدا ليقنع السلطان بعزل خصمه فلم ينجح في مسعاه، فاتفق مع الباطنية على اغتياله. وموقف الدركزيني يقودنا إلى موقف الباطنية العام من زعماء المقاومة الإسلامية، هذا الموقف الذي تميز بالعداء الجارف والرغبة في الانتقام، الأمر الذي كان له أسوأ الأثر على مجرى الصراع بين المسلمين والغزاة. [١]
ومن عجب يقول المؤرخ ابن الأثير-: أن أمير أنطاكية الصليبي أرسل إلى عز الدين مسعود يخبره بقتل والده قبل أن يصل الخبر إليه شخصيا! وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته أي أمير أنطاكية- بمعرفة الأحوال الإسلامية!
لكن ألا يلقي هذا النبأ ظلا من شك حول إمكانية حدوث اتفاق مسبق بين الباطنية والصليبيين لاغتيال المجاهد المسلم، لا سيما وأن قتلته ربما كانوا كما يذكر المؤرخ الحلبي ابن العديم- قوما من أهل حماة القريبة من معاقل الصليبيين؟ كيفما كان الأمر، فإن مقتل البرسقي أصاب المسلمين عامة والموصل خاصة بخسارة فادحة حيث فقدوا باغتياله واليا من نوع ممتاز، فلا غرو أن يحزنوا عليه ويأسفوا لفقده ويستدعوا ابنه عز الدين مسعود ليحل محله.." (١)

١٧٢. "وبعد سقوط فرنسا في أيدي الألمان عام ١٩٤٠، رحل منديس فرانس إلى المغرب حيث حاول تنظيم المعارضة ضد حكومة فيشي، ولكن تم إلقاء القبض عليه وترحيله إلى فرنسا حيث نجح في الفرار عام ١٩٤١ إلى إنجلترا، وانضم إلى حركة الفرنسيين الأحرار تحت قيادة ديجول الذي عينه فيما بعد في منصب المندوب المالي للجزائر. وقد تولى منديس فرانس منصب وزير الشئون الاقتصادية في الحكومة المؤقتة بين عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥، إلا أنه استقال بسبب الخلافات حول السياسات الاقتصادية. وعين عام ١٩٤٦ في منصب المدير الفرنسي للبنك الدولي للإنشاء والتعمير. وفي عام ١٩٥٤، نجح منديس فرانس في الوصول إلى رئاسة الوزراء وعمل من خلال هذا المنصب على إنهاء

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٦٧/١٦٥

الوجود الفرنسي في الهند الصينية بعد هزيمة قوات الاستعمار الفرنسي أمام قوى التحرر الوطني في المنطقة. ثم قدم استقالته عام ١٩٥٥ إثر فشل سياسته الخاصة بمنح الاستقلال للمغرب وتونس. وعاد منديس فرانس مرة أخرى وزيرا بلا وزارة في حكومة الجبهة الجمهورية عام ١٩٥٦، إلا أنه استقال بعد عدة أشهر بسبب خلافه مع رئيس الوزراء حول السياسة الفرنسية بشأن الجزائر إذ كان يرى ضرورة الاستمرار في ضم الجزائر إلى فرنسا.

وقد ظل منديس فرانس شخصية مهمة في السياسة الفرنسية، كما كان من المؤيدين للصهيونية وإسرائيل. وقد أيد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ولكن موقفه هذا كان ينبع في المقام الأول من كونه سياسيا فرنسيا حريصا على حماية المصالح الفرنسية والغربية في فترة اتسمت بانحسار الاستعمار ونمو قوى التحرر الوطني في بلاد آسيا وأفريقيا والعالم العربي. وقد كان منديس فرانس من المؤيدين لفتح الحوار بين العرب وإسرائيل في الفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٣.

برونو كرايسكي (١٩١١-١٩٩٠)

Bruno Kreisky." (١)

١٧٣. "ورغم كل ذلك، يبدو أن لوبيز كانت له علاقة مشبوهة بالحكومة الإسبانية. فرغم أن هذه العلاقة تمت بمعرفة الحكومة البريطانية ولصالحها، إلا أنه تبين فيما بعد أنها كانت علاقة ذات أبعاد مريبة وغامضة، أثارت الشكوك حول لوبيز، ويبدو أن هذه العلاقة بدأت مع توسط لوبيز للإفراج عن أحد عملاء إسبانيا في إنجلترا، والذي كان قد ألقي القبض عليه بعد أن حاول استدراج دوم أنتونيو وإيقاعه في أيدي الإسبان. ومن خلال هذا العميل أبلغ لوبيز الحكومة الإسبانية استعداده للتوسط بينها وبين إنجلترا في التفاوض من أجل السلام. وقد تمت هذه الخطوة على ما يبدو بعلم وزير الخارجية البريطاني بغرض الكشف عن خطط إسبانيا واستدراجها للتخلي عن حذرها. ومع ذلك، اتخذت هذه الواقعة فيما بعد دليلا على تورط لوبيز مع إسبانيا وعمالته لها. وقد فقد لوبيز صداقته مع دوم أنتونيو نتيجة توسطه للإفراج عن العميل الإسباني بسبب الخلاف الذي ثار بين دوم أنتونيو وسليمان أبنايس صهر لوبيز، حيث اتهمه دوم أنتونيو بخداع الحكومة البرتغالية والإثراء من ورائها. وقد نجح دوم أنتونيو في الإيقاع بين لوبيز وأحد النبلاء البريطانيين وهو إيرل أوف إسيكس Earl of Essex، وهو ما دفع هذا الأخير للبحث عن دلائل تؤكد عمالة لوبيز لإسبانيا. وبالفعل،

(١) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ٦٨/٣

نجح إيرل أوف إسيكس في إلقاء القبض على ثلاثة من البرتغاليين من عملاء إسبانيا، وقد تبين من أقوالهم والخطابات التي وجدت في حوزتهم أن لوبيز كانت له علاقة سرية بإسبانيا بل وكان عميلا لها يسرب لها المعلومات ويخطط لاغتيال دوم أنتونيو بالسم وإرغام وريثه على الخضوع لملك إسبانيا، وأنه كان يعمل على دفع إنجلترا باتجاه السلام مع إسبانيا.." (١)

١٧٤. "ووجد العبرانيون أنفسهم وسط هذه التشكيلات السياسية والحضارية العظمى والإمبراطوريات الضخمة، وحاولوا أن يتكيفوا مع هذا الوضع إما عن طريق خلق إمبراطورية صغيرة (كما هو الحال مع داود وسليمان) تملأ الفراغ المؤقت الذي خلقه انكماش الإمبراطوريات العظمى في مرحلة مؤقتة، أو عن طريق التحالف مع بعض الدويلات الصغيرة (مثل الدويلات الآرامية في الشام) لمنع تدخل القوى العظمى، أو عن طريق الاعتماد على إحدى القوى العظمى كما هو الحال مع المملكتين العبرانيتين الجنوبية والشمالية.

وقد ظهرت مملكة داود (١٠٠٤ ـ ٩٦٥ ق.م) في مرحلة ضعفت فيها مصر بسبب النزاعات الخارجية، وكان الحيثيون مشغولين بصد شعوب البحر، ولم تكن بابل قد صارت بعد قوة عظمى، وكانت آشور على عتبات عظمتها الإمبراطورية، فاستفاد داود من هذا الفراغ المؤقت. واستمر هذا الوضع حتى نهاية حكم سليمان. ومن القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن السادس قبل الميلاد، لعبت آشور ثم بابل دورا حاسما في الشمال، ولعبت مصر دورا مماثلا في الجنوب. كما لعب الآراميون، كقوة عظمى محلية صغيرة، دورا كبيرا في تحديد السياسات والتحالفات. وقد تحدد مصير المملكتين من خلال صراع كل هذه القوى العظمى، وهو الصراع الذي انعكس في صراع بين عدة أحزاب في المملكتين الشمالية والجنوبية، فكان ثمة حزب مصري وآخر آشوري وثالث يطالب بالتحالف مع الدويلات الآرامية. وبعد عدة محاولات، سقطت المملكة الشمالية (٧٢١ ق.م) وبعدها المملكة الجنوبية (٥٦٧ ق.م)، وتبع ذلك تهجير إلى آشور وانصهار في سكانها ثم تهجير إلى بابل أعقبته عودة بعد أن أصدر قورش الأخميني إمبراطور الفرس مرسوما يسمح لهم بها (٥٣٨ ق.م).." (٢)

١٧٥. "٣ ـ المرحلة الآشورية الجديدة (٩١١ ـ ٦٠٩ ق.م): وقد شهدت آشور في نهايات الفترة الوسيطة هجمات الأخلامو (الآراميين) التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وظهرت في هذه المرحلة أيضا

---

(١) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ١٢٤/٣

(٢) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ٢٠٩/١٠

الدويلات الآرامية والعبرانية المختلفة. والواقع أن المرحلة الثالثة، أي المرحلة الآشورية الجديدة، هي وحدها التي تهمنا، فهي التي تؤثر في مصير العبرانيين. ويمكن تقسيم هذه المرحلة بدورها إلى ثلاث فترات:

أ) الفترة الأولى (٩١١ ـ ٨٢٤ ق.م): وقد شهدت ظهور القوة الآشورية مرة أخرى. فأوقف شلمانصر الثالث (٨٥٣ ـ ٨٢٤ ق.م) هجمات الآراميين، ثم هاجم تحالفا عبريا آراميا بين آخاب العبراني وبن هدد ملك دمشق في معركة قرقر عام ٨٥٣ ق.م. ولم تكن المعركة حاسمة، ولكنها مع هذا أدت إلى ظهور حزب آشوري قوي داخل المملكة الشمالية. وبعد سقوط آخاب عام ٨٥٢ ق.م، دفعت المملكة الجنوبية الجزية لآشور. وتظهر أول صورة لملك عبراني في التاريخ على مسلة شلمانصر الثالث، فنراه يقوم بتقديم فروض الطاعة والولاء للملك الآشوري. ولم يكن الآشوريون يهدفون إبان هذه المرحلة إلى احتلال المناطق التي يفتحونها، وإنما كانوا يهدفون إلى تحييد التهديد الخارجي وإبطال أثره والاستيلاء على المغانم والأسرى لاستخدامهم في المشاريع الإنشائية الكبرى.

ب) الفترة الثانية (٨٢٥ ـ ٧٤٤ ق.م): شهدت الإمبراطورية الآشورية بعد موت شلمانصر الثالث تراجعا بسبب ازدياد قوة جيرانها في الشمال وبسبب النزاعات الداخلية. وقد انتهزت المملكتان الجنوبية والشمالية هذه الفرصة وزادتا من مساحة الرقعة التابعة لهما، وبعثتا الحلف المعادي للآشوريين الذي ضم كلا من يربعام الثاني وعزيا.." (١)

١٧٦. "رحل إبراهيم مع زوجته سارة وأبيه تارح وابن أخيه لوط من أور إلى كنعان (فلسطين) عن طريق تدمر فدمشق حتى وصل إلى شكيم حيث تلقى الوعد الإلهي للمرة الثانية حسب الرواية التوراتية ثم إلى بيت إيل.

وقد انتقل إبراهيم بعد ذلك إلى مصر بسبب المجاعة، ولكنه عاد إلى كنعان حيث تركه لوط بسبب الخلاف الذي نشب بينهما على أرض المراعي. وقد أعقب هذه الواقعة تأكيد الوعد الإلهي للمرة الثالثة. ثم تحول إبراهيم بعد ذلك إلى قائد عسكري فأنقذ لوطا (ابن أخيه)، وهزم أربعة ملوك. وعند عودته، باركه الملك الكاهن ملكي صادق (ملك القدس).." (٢)

---

(١) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ١٠/٢٤٠

(٢) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ١٠/٣٥٠

١٧٧. "ويلاحظ كذلك أن يهود فارس يتحدثون بعدة رطانات هي عبارة عن اللغة أو اللهجة السائدة في المنطقة التي عاشوا فيها، في مرحلة تاريخية سابقة، مضافا إليها بضع كلمات عبرية. وهذه الرطانات تفيد علماء اللغة إذ تحتفظ بصيغ لغوية مندثرة. وإلى جانب الجماعة اليهودية الفارسية، وجدت جماعة يهودية كردية في المنطقة التي يعيش فيها الأكراد داخل حدود إيران. ولكن لم تقم مؤسسات لتشرف على شئون الجماعة بسبب الخلافات الدائمة بين أعضائها.

وقد بلغ عدد يهود إيران عام ١٩٤٨ نحو ٩٥ ألفا. ومع هجرة يهود البلاد العربية إلى إسرائيل، أصبحت الجماعة اليهودية في إيران أكبر جماعة يهودية في الشرق، وبلغ عدد أعضائها ثمانين ألفا عام ١٩٦٨ من مجموع السكان البالغ عددهم آنذاك خمسة وعشرين مليونا. وبعد نشوب الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩، تناقص عددهم إلى ثلاثين ألفا في حين زاد عدد سكان إيران إلى ما فوق الأربعين مليونا، وبلغ عددهم ستة عشر ألفا عام ١٩٩٢. ويتركز يهود إيران في المدن، وخصوصا في طهران. ففي عام ١٩٤٨، كان ٦٠٪ منهم يعيشون في طهران وأصفهان وشيراز، ثم زادت النسبة إلى ٧٢٪ عام ١٩٦٨. وقد هاجرت أعداد كبيرة من يهود إيران إلى إسرائيل حاملين معهم ممتلكاتهم من السجاد الإيراني الذي تعتبره إيران ضمن ثروتها القومية. ولكن يلاحظ أن أعدادا كبيرة منهم تنزح من إسرائيل وتستقر في الولايات المتحدة، وخصوصا في كاليفورنيا.

الباب الرابع: العالم العربي منذ القرن التاسع عشر

الجماعات اليهودية في العالم العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر : تعداد

The Jewish Communities in the Arab World since the Mid-Nineteenth Century: Numbers

يلاحظ أنه، مع بداية العصور الوسطى في الغرب، كان يهود العالم الإسلامي يشكلون أكثر من نصف تعداد يهود العالم. إلا أن عددهم أخذ في التناقص حتى أصبحوا يشكلون أقلية لا تتجاوز ١٠٪. وهذا يرجع إلى الأسباب التالية:." (١)

١٧٨. "وهكذا تشكل ما سمي "حركة العصيان العبري" وتمثلها قيادة حركة المقاومة المتحدة للإشراف على الأمور التنفيذية. وضمت هذه القيادة ممثلين عن الهاجاناه مثل إسرائيل جاليلي وموشي سنيه ومن إتسل مناحم بيجين ومن ليحي أبراهام شيترن وياليني مور. وتوضح نصوص الاتفاقية المسئولية

---

(١) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ١١/١٠٨

المشتركة للمنظمات الإرهابية الصهيونية وهو الأمر الذي سعت الهاجاناه إلى التنصل منه تاريخيا.
وكانت باكورة أعمال حركة العصيان نسف محطة سكك حديد رام الله في أول نوفمبر عام ١٩٤٥. إلا أن العلاقة بين المنظمات الثلاث لم تكن بسيطة بأي حال. فقد عادت العلاقة بين أطراف حركة العصيان للتوتر وبخاصة بين إتسل والهاجاناه، وعادة ما كان الخلاف بينهما يتخذ طابع المنافسة على السيطرة على المستوطن الصهيوني. ولم يكن اللجوء إلى العنف بعيدا عن خلافات العصابات الصهيونية نفسها إلى الحد الذي أثار مخاوف الصهاينة من نشوب حرب أهلية بين منظمات الإرهاب. ولأكثر من مرة تبادلت إتسل والهاجاناه أعمال خطف لعناصرهما. كما كونا فرقا للاعتداء والضرب لتأديب بعضهما البعض شمل ضررها عائلات يهودية بكاملها. ووصلت موجة الاختطاف إلى ألمانيا حين تولت عناصر الهاجاناه أمر أربعة من أعضاء إتسل ولقي أحدهم مصرعه تحت التعذيب. وحتى عقب التوصل إلى اتفاق جديد بين إتسل والهاجاناه في ٧ مارس ١٩٤٨ تعرض الاتفاق وفي وقت حرج إلى اختبار صعب حين جرت معركة مسلحة بين إتسل ورجال البالماخ كادت تعرض وحدة جيش الدولة المنتظرة للخطر بسبب النزاع على شحنة سلاح كانت قادمة على ظهر السفينة التالينا. وكادت الاشتباكات أن تودي بحياة مناحم بيجين زعيم إتسل، كما سقط عدد من الجرحى والقتلى من الجانبين قبل احتواء الموقف. وبصفة عامة تبادل زعماء هذه المنظمات اتهامات الخيانة والتعاون مع البريطانيين واغتصاب أموال بعضهم البعض.." (١)

١٧٩. "وممن كان يوافق على نفي ما يقوم به من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته — كقول ابن كلاب — أبو الحسن التميمي وأتباعه، والقاضي أبو يعلي وأتباعه، كابن عقيل، وأبي والحسن بن الزاغوني وأمثالهم، وإن كان في كلام القاضي ما يوافق هذا تارة، وهذا تارة.
وممن كان يخالفهم في ذلك أبو عبدالله بن حامد، وأبو بكر عبدالعزيز وأبو عبدالله بن بطه، وأبو عبدالله بن منده، وأبو نصر السجزي، ويحي ابن عمار السجستاني، وأبو إسماعيل الأنصاري وأمثالهم.
والنزاع في هذا الأصل بين أصحاب مالك، وبين أصحاب الشافعي، وبين أصحاب أبي حنيفة، وبين أهل الظاهر أيضا: فداود بن علي صاحب المذهب وأئمتهم على إثبات ذلك، وأبو محمد بن حزم على المبالغة في إنكار ذلك.
وكذلك أهل الكلام: فالهشامية والكرامية على إثبات ذلك، والمعتزلة على نفي ذلك...

(١) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية ٣٢٤/١٩

وكذلك المتفلسفة: فحكوا عن أساطينهم – الذين كانوا قبل أرسطو – أنهم كانوا يثبتون ذلك، وهو قول أبي البركات صاحب "المعتبر"، وغيره من متأخريهم، وأما أرسطو وأتباعه –كالفارابي وابن سينا – فينفون ذلك، وقد ذكر أبو عبدالله الرازي عن بعضهم أن إثبات ذلك يلزم جميع الطوائف وإن أنكروه، وقرر ذلك.

وكلام السلف والأئمة، ومن نقل مذهبهم، في هذا الأصل كثير، يوجد في كتب التفسير والأصول..."(١).

ومن خلال هذا العرض المفصل لأقوال الطوائف في هذه المسألة يتبين أن الخلاف فيها ليس مع الأشاعرة فقط، كما أن القائلين بها ليسوا أهل السنة فقط، وإنما وافقهم عليها – ولو بشكل مجمل – كثير من أتباع الطوائف المختلفة.

ومنشأ الخلاف في هذه المسألة من جهتين:

الجهة الأولى: المضافات إلى الله وأنواعها، وقد ذكر شيخ الإسلام أن المضافات إلى الله في الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

---

(١) انظر: درء التعارض (٢/١٨-٢٠).." (١)

١٨٠. "وهذا تحليل دقيق جدا لمنشأ الخلاف كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، ولا شك أن النصوص متواترة في إثبات أنه قد يجتمع عند الإنسان إيمان ونفاق، وآثار الصحابة والتابعين دلت على ذلك، بل أجمع السلف على ذلك. ومن العجيب أن الأشعري حكى في بعض كتبه الإجماع على أنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق، وتابع على ذلك أصحابه، يقول شيخ الإسلام: "والأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر، أو ما هو إيمان وما هو كفر، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين، كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره، فلأجل اعتقادهم في هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي، إجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة"(١). والنصوص الدالة على مذهب السلف وأنه يجتمع عند الإنسان طاعة ومعصية وإيمان ونفاق صريحة جدا (٢).

أن من قال قولا في الإيمان، ثم لم يلتزم لوازمه الباطلة بقي بين أمرين، إما مناقضة قوله، أو التزام القول

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١٥٠/٥

الباطل المجمع عليه.

---

(١) الإيمان (ص:٣٨٧) ط المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٣٣٧-٣٨٧) ط المكتب الإسلامي، والإيمان الأوسط – مجموع الفتاوى – (٢١٥/٧-٥٢٢)، والاستقامة (٤٣٠/١)، ومجموع الفتاوى (١٧٣/١١-١٧٥، ٢٩٥/١٩-٢٩٦)..". (١)

١٨١. "وقد بين ابن تيمية سبب الخلاف في فهم المراد بالتأويل فقال : " أصل ذلك أن لفظ التأويل فيه اشتراك بين ما عناه في القرآن ، وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف ، وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن"(٩٧٠[١٨]) ثم بين أن معاني التأويل ثلاثة ، فقال : " التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف ...

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا ، وهذا ـ والله أعلم ـ هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ، ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره : القول في تأويل قوله كذا وكذا ، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ، ونحو ذلك ، ومراده التفسير .

والمعنى الثاني في لفظ السلف ، وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا ، هو نفس المراد بالكلام ، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الشئ المخبر به(٩٧١[١٩]) .

التفسير والتأويل والمعنى :

وقد يطلق على التفسير أيضا المعنى ؛ فالفراء ـ مثلا ـ سمى تفسيره " معاني القرآن " ، وسئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والمعنى والتفسير واحد ، وقال مثل هذا ابن الأعرابي (٩٧٢[٢٠]) .

وروى عن ابن مسعود أنه قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣١٥/٥

، والعمل بهن (٩٧٣[٢١]) .

وعلى هذا يمكن القول : تفسير الآية كذا ، أو تأويلها ، أو معناها ، وكل هذا تعبير صحيح .." (١)

١٨٢. "٣-الاجتهاد في أول مخلوقات الله عز وجل: ولا يخلو قوله : (أول ما خلق الله القلم...) إما أن يكون جملة أو جملتين. فإن كان جملة وهو الصحيح كان معناه أنه عند أول خلقه قال له اكتب، كما في اللفظ (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب) بنصب "أول" والقلم، وإن كان جملتين وهو مروى برفع "أول والقلم" فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم. وفي اللفظ الآخر لما خلق الله القلم قال له: اكتب (١). وسبب الخلاف كما يظهر يعود إلى ناحية الإعراب والى أن هذا النص جملة أو جملتين.

٤-الاجتهاد في صفة علو الله عز وجل: يرى ابن تيمية أن الاجتهاد منه الصواب ومنه الخطأ وفي ذلك يقول وكذلك كثير ممن يتنازعون في أن الله في السماء ومقصو دهم بان الله في السماء أو ليس في السماء فالمثبتة تطلق القول بأن الله في السماء كما جاءت به النصوص ودلت عليه بمعنى انه فوق السماوات على عرشه بائن عن خلقه. وآخرون ينفون القول بان الله في السماء ومقصودهم أن السماء لا تحويه ولا تحصره ولا تقله ولا ريب أن هذا المعنى صحيح فان الله لا تحصره مخلوقاته ثم قال ولكن هؤلاء أخطئوا في نفي اللفظ الذي جاء به الكتاب والسنة وفي توهم أن إطلاقه دال على معنى فاسد (٢).

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص: ١٨٠-١٨٠.

(٢) ابن تيمية،مجموع الفتاوى: ١٩/ ١٤٠-١٤١.." (٢)

١٨٣. "٦-الاجتهاد في حقيقة الكرسي لله عز وجل: فقد اجتهد الصحابة في معنى قوله تعالى: ﴿ وسع كرسيه السماوات والأرض ﴾ (٢٥٥: البقرة) فاختلفت الآراء في المسألة إلى الآراء التالية: فقال بعضهم: أنه الكرسي علم الله، وذهب آخرون إلى أن الكرسي موضع القدمين، وذهب آخرون إلى أن الكرسي هو العرش نفسه، فذهب على القول الأول من الصحابة ابن عباس – رضي الله

---

(١) مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع ٢/٣٠٢

(٢) مشروعية الاجتهاد في فروع الاعتقاد ص/٢٣

عنهما – وابن جبير من التابعين، وذهب إلى القول الثاني: أبو موسى الأشعري والسدي وطائفة من السلف، وإلى الرأي الثالث: الحسن البصري، نقل هذه الأقوال الطبري وعقب عليها: ولكل من هذه الأقوال وجه ومذهب ثم مال هو إلى تأويل الكرسي بالعلم (١).

ثانيا: النبوات:

١-الاجتهاد في حقيقة الرسل هل هم من الإنس فقط أم من الإنس والجن معا: فمنهم من ذهب إلى انهم من الإنس والجن وهو ما رواه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم لقوله تعالى: ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ (١٣٠: الأنعام) وقال مجاهد وغيره من السلف والخلف،الرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول،، وقال ابن عباس الرسل من بني آدم ومن الجن نذر(٢).

وسبب الخلاف في هذه المسالة أن من حمل الآية على عمومها فقد ذهب إلى أن الله يرسل الرسل من الإنس والجن ومن حملها على وجه التخصيص فقد ذهب إلى أن الرسل من الإنس فقط، وفهم الآية السابقة على مثل قول الله تعالى: ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ (٢٢: الرحمن) والمراد من أحدهما(٣).

---

(١) الطبري،تفسير الطبري: ٥/ ٤٠١، ابن كثير، تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٩.

(٢) ٦٩) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص: ٨٧-٨٨.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص: ٨٧-٨٨.." (١)

١٨٤. "٢- الاجتهاد في حقيقة الفرق بين النبي والرسول: فقد اختلف في حقيقة النبي والرسول فمن العلماء من ذهب انه لا فرق بين معنى الرسول والنبي، ومنهم من فرق بين النبي والرسول فجعل الرسول من أمر بالتبليغ والنبي من لم يؤمر بالتبليغ (١). ومنهم من قال بل من نزلت عليه شريعة مستقلة فهو الرسول لأنه خص بشريعة وكتاب ومن بلغ شريعة الرسول الذي سبقه فهو النبي (٢).

٣- الاجتهاد في عدد الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام -: فقد أختلف في عدد الأنبياء فالبعض ذهب إلى أن عدد الأنبياء غير محصور بعدد ومنهم من حصره بمائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول (٣). وقد كان سبب الخلاف هو صحة الحديث الذي ورد بالعدد فعن أبي أمامة قال أبو ذر: قلت:

---

(١) مشروعية الاجتهاد في فروع الاعتقاد ص/٢٥

يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال:(مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسه عشر جما غفيرا)(٤) ومعارضته لإطلاق العدد في القران الكريم في مثل فوله تعالى ﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (٢٤: فاطر)

---

(١) كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف،حاشية كتاب المسامرة شرح المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢م.ص:١٨٥وانظر د. قحطان الدوري، أصول الدين الإسلامي د. قحطان الدوري، أصول الدين الإسلامي ط٢، دار الفكر العربي الأردن عمان ص: ٢٠٥-٢٠٦، وانظر: د. محمد الملكاوي وآخرون، عقيدتنا الإسلامية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م ، ص:٢٢٧-٢٢٨

(٢) سعد الدين التفتازاني،، شرح المقاصد،٥/ ٥، و انظر: د. عمر سليمان الأشقر، الرسل والرسالات، مكتبة الفلاح الكويت، ط ٣، ١٤٠٥، ١٩٨٥ م، ص: ١٥.

(٣) انظر: كمال الدين بن أبي شريف، المسامرة ص: ١٩٠- ١٩١ وانظر د. قحطان الدوري ، أصول الدين ص: ٢١٢.

(٤) الإمام احمد، مسند الإمام احمد، ٥/ ٢٦٥ (٢٢٣٤٢) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدا، وقال الألباني: صحيح.." (١)

١٨٥. "الباب الأول

كتاب التوحيد

الشرح

فيه مسائل :

المسألة الأولى :

المصنف قال كتاب التوحيد ثم سرد الآيات ولم يقل باب ، في حين أن الذي بعده قال باب فضل التوحيد ، فأيهما الباب الأول هذا أم باب فضل التوحيد ؟ وهذا هو سبب الخلاف في عدد أبواب كتاب التوحيد ، هل هذا الذي معنا هنا هو مقدمة وما بعده هو الباب الأول أم هذا هو الباب الأول ، ولأقرب من صنيع المصنف أنه اعتبر هذا هو الباب الأول وباب فضل التوحيد هو الباب

---

(١) مشروعية الاجتهاد في فروع الاعتقاد ص/٢٦

الثاني فقد قال في تاريخ نجد ص ٤٠٨ (في رسالة كتبها إلى بعض طلابه تكلم فيها عن تفاضل الناس في التوحيد والعلم فقال : إن هذه المسالة من أكثر ما يكون تكرارا عليكم وهى التي بوب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد) اه والباب الثاني هو الذي فيه ذكر التفاضل ، هذا الأمر الأول .

٢. أنه جعل لهذا الباب مسائل مثل غيره فعامله معاملة الأبواب الأخرى .

٣. أنه قال في مسائل الباب الثاني ، سعة فضل الله ، وفي مسائله ذكر كلمة فضل ثلاث مرات وهى تطابق ما قال في كلامه السابق .

٤. وأيضا الشيخ سليمان في التيسير ص٥٠ في الباب الثاني قال : (لما ذكر (يقصد المصنف) معني التوحيد (يقصد في الباب الذي قبل باب فضل التوحيد) ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب) اه وكلام الشيخ سليمان يشعر أن قبل باب فضل التوحيد قبله باب أول .

المسألة الثانية : ما هو قصد المصنف من هذا الباب ؟

تكلم الحفيد سليمان في ص٥٠ من كتاب التيسير في قصد المصنف من هذا الباب فقال : (ولما ذكر المصنف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب) . اه

وعلى ذلك فالحفيد سليمان يرى أن الباب الأول بوب لبيان معنى التوحيد، أما الحفيد الثاني والشيخ حمد فلم يذكرا ماذا قصد المصنف من هذا الباب حسب علمي ، لكن الذي يظهر لي أن المصنف لم يقصد هذا المعنى الذي اختاره الحفيد سليمان وذلك حينما تنظر لمسألتين :." (١)

١٨٦. "وتعريف الشرك الأصغر كما ذكرنا أجمع عليه أئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى آخرهم ، وذهب بعض أهل العلم إلى أوسع من ذلك فجعلوا الشرك الأصغر : أن تجعل نصيبا لغير الله مالم يبلغ شرك العبادة وكل وسيلة من قول أو فعل تؤدي إلى الشرك الأصغر. فجعل كل وسيلة تؤدي للأكبر هي أصغر وهذا هو اختيار الشيخ السعدي رحمه الله في كتابه القول السديد قال(وأما الشرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك) .

والأقرب من التعاريف التعريف الأول لأنه هو الذي تدل عليه اللغة والنصوص . والله أعلم

ويظهر الخلاف بين التعريفين في المثال الآتي:

مثل الغلو في الصالحين كمدحهم مدحا زائدا فيه غلو وهو الإطراء بألفاظ فيها غلو(وليس فيها ألفاظ

---

(١) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد ص/١٢

شركية) فعلى التعريف الأول هذا المثال من باب البدع وعلى التعريف الثاني من الشرك الأصغر .
مثال آخر : عبادة الله عند القبور كمن دعا الله عند قبر رجل صالح أو ذبح لله عند قبر رجل صالح فعلى التعريف الأول هو من البدع وهو الذي اختاره أئمة الدعوة وهو قول الجمهور وعلى التعريف الثاني هو من الشرك الأصغر . والمثال الأخير بالذات سوف نذكره إن شاء الله في باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله ،وفي باب من تبرك بشجر أو حجر وسوف نذكر هناك ما هو الراجح في هذا المثال بالذات هل يسمى بدعة أو شركا أصغر ؟ ،

لكن يظهر لي والله أعلم أن أئمة الدعوة عندهم ثلاثة أشياء : شرك أكبر ، شرك أصغر كما ذكرنا سابقا وعندهم شئ آخر يسمونه شوائب الشرك أو شعب الشرك فربما الخلاف فيم يسمى شوائب الشرك فهل هو قسيم للشرك الأصغر أو قسم منه ربما هذا هو سبب الخلاف بين القولين ، وقد ذكرنا في باب تحقيق التوحيد ما يتعلق بشوائب وشعب الشرك ،

الآية الأولى :." (١)

١٨٧. "أن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه .

أن من أنكر عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه فيها حي إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان ، فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعي ، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين ، يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ، ويدفن في مقابر المؤمنين ، ولا شبهة في إيمانه ، إن الله بعباده خبير بصير .

قال : إجابة وأيم الحق شافية وافية .

قلت : وبهذه الإجابة الشافية الوافية ينتهي حديثنا عن مسألة صلب المسيح ؟

(تم بحمد الله)

فهرس الكتاب

الفصل الأول : السبب الوحيد للرواج :

بين الخالدين من الرجال – المؤسس الحقيقي للمسيحية – سبب الخلاف – أهم رجال المسيحية –

(١) كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد ص/٨٨

انتفاء الصلب نفي للمسيحية – الدم من أجل الخلاص – إجابة شافية .
الفصل الثاني : هاتوا شهداءكم :
ترويج البضاعة – اعتراض مسيحي – فلنطلب الدليل .
الفصل الثالث : إقامة مملكة الله :
قرينة ثالثة في قولهم وفقا لـ ... – قضية يتم الفصل فيها لدى أول جلسة – من أين نبدأ ؟ - اللعب بورقة توهم الصلب – حول المائدة – المجيء إلى أورشليم – مملكة السماء – جدل يهودي – كان يهوذا متذمرا – انكشف الخائن
الفصل الرابع : الاستعداد للجهاد :
تغيير في السياسة – هيا إلى السلاح – لماذا سيفان ؟ أستاذ التكتيك – يصلي طلبا للنجدة – يبكي من أجل شعبه – نسج الخيل – هل كان غير واع بالاتفاق السموي ؟ مضح على الرغم منه – فكرة جيدة للتصوير – جدل غير طبيعي .
الفصل الخامس : ذكاء أم شجاعة ؟ :
خطأ ثان في الحساب – القبض عليهم نياما – تغيير في الاستراتيجية – أمير لإسلام ؟ - الإخفاق والمحاكمة – الإعجاب الهزيمة." (١)

١٨٨. "(استأدى الله الملائكة) أى طلب منهم الأداء (و الخنوع) كالخضوع لفظا و معنى (و التكرمة) إما بمعنى التكريم و هو التعظيم و الاحترام مصدر ثان من التفعيل كما في الاوقيانوس، أو اسم من التكريم على ما قاله الفيومى (و ابليس) افعيل من ابلس قال سبحانه:
«فإذا هم مبلسون» أى آيسون من رحمة الله، و اسمه بالعبرانية عزازيل بزائين معجمتين و بالعربية الحارث و كنيته أبو مرة (و القبيل) في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى فان كانوا من أب واحد فقبيلة، و قد تسمى قبيلا و جمعه قبل و جمع القبيلة القبائل (و الشقوة) بكسر الشين الشقاوة (و التعزز) التكبر (و استوهنوا) عدوه واهنا
[٥٦]
ضعيفا (و النظرة) بكسر الظاء مثل كلمة اسم من انظرت الدين أخرته قال سبحانه:
«فنظرة إلى ميسرة».

---

(١) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والإفتراء ص/١٠٩

أى تأخير (و السخطة) بالضم كالسخط الغضب و عدم الرضا (و البلية) اسم من الابتلاء و هو الامتحان (و أنجز) وعده وعدته إذا وفى به.

(٢٥٥/ ١)

الاعراب

الملائكة منصوب بنزع الخافض أى من الملائكة، و اضافة العهد إلى الوصية قيل من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أى وصيته المعهودة، و استثناء ابليس اما منقطع على ما هو الأظهر الأشهر بين أصحابنا و كثير من المعتزلة، أو متصل على ما ذهب إليه طائفة من متكلمي العامة و اختاره منا الشيخ (ره) في التبيان، و منشأ الخلاف أن إبليس هل هو من الجن أم من الملائكة، و يأتي تحقيق الكلام فيه، و انتصاب الاستحقاق و الاستتمام و الانجاز على المفعول له.

(/١)

المعنى

(و استادى الله الملائكة) أى طلب منهم أداء (وديعته) المودعة (لديهم و) طلب أداء (عهد وصيته إليهم) و المراد بتلك الوديعة و الوصية ما أشار اليه سبحانه في سورتي الحجر وص.." (١)

١٨٩. "لكن لما قال تعالى وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب سورة الحشر ٦ وقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى سورة الحشر ٧ صار اسم الفيء عند الإطلاق لما أخذ من الكفار بغير قتال

وجمهور العلماء على أن الفيء لا يخمس كقول مالك وأبي حنيفة وأحمد وهذا قول السلف قاطبة وقال الشافعي والخرقي ومن وافقه من أصحاب أحمد يخمس والصواب قول الجمهور فإن السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه تقتضي أنهم لم يخمسوا فيئا قط بل أموال بني النضيركانت أول الفيء ولم يخمسها النبي صلى الله عليه وسلم بل خمس غنيمة بدر وخمس خيبر وغنائم حنين وكذلك الخلفاء بعده لم يكونوا يخمسون الجزية والخراج

ومنشأ الخلاف أنه لما كان لفظ آية الخمس وآية الفيء واحدا اختلف فهم الناس للقرآن فرأت طائفة

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوئي الرافضي ١٧٠/٢

أن آية الخمس تقتضي أن يقسم الخمس بين الخمسة بالسوية وهذا قول الشافعي وأحمد وداود

منهاج السنة النبوية [جزء ٦ - صفحة ١٠٨]
الظاهري لأنهم ظنوا أن هذا ظاهر القرآن ثم إن آية الفيء لفظها كلفظ آية الخمس فرأى بعضهم أن الفيء كله يصرف أيضا مصرف الخمس إلى هؤلاء الخمسة وهذا قول داود بن علي وأتباعه وما علمت أحدا من المسلمين قال هذا القول قبله
وهو قول يقتضي فساد الإسلام إذا دفع الفيء كله إلى هذه الأصناف وهؤلاء يتكلمون أحيانا بما يظنونه ظاهر اللفظ ولا يتدبرون عواقب قولهم ورأى بعضهم أن قوله في آية الفيء فلله وللرسول ولذي القربى سورة الحشر ٧ المراد بذلك خمس الفيء فرأوا أن الفيء يخمس وهذا قول الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد." (١)

١٩٠. "واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية .. كل هذه الصفات الذميمة يحاول المغرضون الصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى الى قتل الآلآف من المسلمين، وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذه الأمر الى أبي وموسى وعمرو بنالعاص رضي الله عنهما الا لعلمهم بما هما عليه من الفضل ، وانهما من خيار الأمة المحمدية ، ومن أكثرهم ثقة وورعا وأمانة فكيف يصفون الافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة ، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء ، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أمورا لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي :
الأمر الأول : أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو الىخلعها عنه أو تثبيتها له .
الأمر الثاني : أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رضي الله عنه من قتلته فلما طلب علي البيعة من معاوية (عتل بان عثمان قتل مظلوما وتجب المبادرة الى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على طلب بذلك ، والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك) ، ومعنى هذا أن معاوية كان مسلما لعلي بالخلافة لأن الطلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة ، أو اقامة الحد عليهم باعتباره أمير

(١) منهاج السنة النبوية – ابن تيمية ١٧١/٩

المؤمنين ، وكان رأي علي أن يدخل معاوية ومن معه من أهل الشام فيما دخل فيه الناس من البيعة له ، ثم يتقدم أولياء عثمان بالمحاكمة اليه (فان ثبت على أحد بعينه انه ممن قتل عثمان اقتص منه فاختلفوا بحسب ذلك) .." (١)

١٩١. "وليت شعري كيف يمكن الاتفاق بين هاتين الطائفتين قبل دفع سبب الخلاف .

إن الشيعة من المسلمين يرون أن من أرسى قواعد الإسلام وأقوى دعائمه موالاة أهل البيت والاهتداء بهديهم والعمل برأيهم وحديثهم ، وأن المنحرف عنهم ، النابذ لحديثهم ، المهتدي بخلاف هديهم غير متبع سبيل المؤمنين ، ويرون أن أبناء السنة من المسلمين منحرفون عنهم بنبذهم علمهم وحديثهم وإعراضهم عن مذهبهم فهم على غير سبيل المؤمنين.(١)

---

(١) وهذه خلاصة بحث في كتب الأحاديث عند الشيعة والسنة لمعرفة عدد الروايات المروية عن طريق العترة ، فعند الشيعة أول أربع كتب معتبرة هي : ((الكافي ، ومن لا يحضره الفقيه ، والتهذيب ، والاستبصار)) ، ومقارنة عند أهل السنة : ((صحيحا البخاري وسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه وأحمد بن حنبل)) :

١ – مجموع ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ٦٤٤ رواية فقط من أصل٤٤ألف رواية موجودة في الكتب الأربعة عند الاثنا عشرية ، فتأمل !

وكتاب الكافي لوحده – بأجزائه الثمانية – يحتوى على أكثر من١٦الف رواية ، وللنبي صلى الله عليه وسلم منها ٩٢ حديثا فقط !

وكلها فى اسانيدها اشكال بعتراف علمائهم ، في حين أن جعفر الصادق رحمه الله يبلغ عدد رواياته في كتاب الكافي٩٢١٩ .

٢ — أما فاطمة رضي الله عنها فلا يوجد لها رواية في جميع الكتب الاربعة بتاتا ، أما كتب أهل السنة فيوجد لديها ١١ رواية ، وعند أحمد بن حنبل ٧ روايات .

٣ – أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرواياته في الكتب الأربعة الشيعية فتبلغ٦٩٠ رواية فقط ، أما عند أهل السنة بالمصادر التي ذكرناها سابقا فعددها ١٥٨٣ ، وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل لوحده يوجد ٨١٨ رواية ، أي أنه يغطي لوحده على مجموع ما ترويه أربع كتب شيعية معتبرة مجتمعة

---

(١) من سب الصحابة ومعاوية فأمه هاوية ص/٤٥

، فتأمل !

٤ – الحسن بن علي رضي الله عنهما روى عنه الشيعة في الكتب الأربعة ٢١رواية ، أما في كتب أهل السنة فعددها ٣٥ رواية ، وعند أحمد بن حنبل لوحده في مسنده بلغت١٨رواية .
٥ – الحسين بن علي رضي الله عنهما روي عنه في كتبهم الأربعة مجتمعة ٧ أحاديث فقط ، في حين أنها بلغت عند أهل السنة ٤٣ وفي مسند احمد بن حنبل لوحده بلغت١٨يعني أكثر من ضعفي ما لدى الكتب الشيعية الأربعة مجتمعة تقريبا ، وهؤلاء صحابة من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم .
ولو جئنا لبعض ذرية الحسين رضي الله عنهم في بعض كتب أهل السنة فسنجد الآتي وهو بحث أتممت نقصه دون استقراء تام وإنما بحسب ما تيسر لي :
١ – أحاديث زين العابدين في صحيح البخاري : (٢٥حديثا ، وفي مسلم ١٥ حديثا ، وفي سنن أبي داود ١١ حديثا ، النسائي (الصغرى) ٨) .
٢ — أحاديث محمد الباقر رحمه الله : (في صحيح البخاري ١٢ حديثا ، وفي مسلم ١٩ ، وفي الترمذي ٢٣ ، وفي النسائي ٥٦ ، وفي سنن أبي داود ١٧ ، وفي سنن ابن ماجه ٢٤ ، وفي مسند أحمد ٦٥) .
٣ — أحاديث جعفر الصادق رحمه الله : (في صحيح مسلم ١٧ حديثا ، وفي سنن أبي داود ١١ حديثا ، وسنن النسائي (الصغرى) ٤٣ حديثا ، وفي سنن الترمذي ٢٠ حديثا ، وفي سنن ابن ماجه ١٩ حديثا ، وفي مسند أحمد ٣٥) .
كما أن أهل السنة لم يغفلوا ذلك الجزء العظيم من أهل البيت ممن قيل لهن ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ وهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فأهل لسنة يرون عن طريق زوجات الرسول بالسند الصحيح .
كما أنهم — أعني أهل السنة – لم يغفلوا بقية آل البيت وهم آل عقيل وآل طالب وآل علي وآل العباس ؛ فقد جاء في كتب أهل السنة روايات لكل من :
عقيل أخو علي بن ابي طالب ، عبد الله بن محمد بن عقيل ، عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ، وأم هانئ بنت أبي طالب ، وأم عون بنت محمد بن جعفر ، وإسحاق بن عبد الله بن جعفر ، وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر ، والعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وابنه عبد الله بن العباس المعروف بحبر الامة وترجمان القرآن ، ومحمد بن الحنفيه أخو الحسن والحسين ، وأبنائه كالحسن بن محمد وعبد الله

بن محمد وإبراهيم بن محمد وعمر بن محمد .

وكذلك رووا عن بقية أبناء علي بن أبي طالب كعمر بن علي بن أبي طالب ، وحفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وولده عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وأيضا عن بنات علي بن أبي طالب ومنهن : فاطمة بنت علي ، وأم كلثوم بنت علي زوجة عمر بن الخطاب .

وأيضا روى أهل السنة عن أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهما وأبناء أبنائه ، منهم : محمد بن عمرو بن الحسن ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، والحسن بن الحسن بن الحسن ، وإبراهيم بن الحسن بن الحسن ، والحسين بن زيد بن الحسن ، والحسن بن زيد بن الحسن .

وأيضا روى أهل السنة عن أبناء الحسين بن علي رضي الله عنهما وأبناء أبنائه ، منهم : فاطمة بنت الحسين بن علي ، وزيد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن علي بن الحسين ، وعمر بن علي بن الحسين ، والحسين بن علي بن الحسين ، وعلي بن عمر بن علي بن الحسين ، إسحاق بن جعفر بن محمد ، وعلي بن جعفر بن محمد .

وللعلم فإن الكثير من تلك الأسماء لا توجد لهم روايات في كتب الشيعة المعتبرة...وهكذا تجد إن كتب أهل السنة تحتوى على الكثير من الروايات المروية عن طريق آل البيت ولا تختص فقط بـ ١٢ شخصا .

علما بأن الذين يتشدقون من الغلاة فيقولون : أهل البيت أدرى بما فيه ونحن لا نثق في الصحابة ! قد فاتهم أن روايات أهل البيت المنسوبة إليهم جاءتهم من طريق الواقفة وغيرهم من أمثال زرارة وجابر الجعفي وغيرهم ممن تقدم حالهم قبل قليل ، ولا ندري كيف ترد روايات أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ، الذين هم أفضل من ألئك الرواة من كل وجه وبكل اعتبار بحجة أنهم ليسوا من أهل البيت، وتقبل – في الوقت نفسه – روايات أصحاب جعفر وهم أدنى منزلة، وليسوا من أهل البيت !." (١)

١٩٢. "" لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الخلاف إزاء هذا العدو اللدود " (١).

" إنه لا يليق قطعا بالمؤمن الحصيف ولا بوظيفته المقدسة في هذا الوقت أن يهمل الذين ينزلون ضرباتهم القاضية بالإسلام فعلا ممن يستحقون اللعنة والذم بألوف المرات ويذهب إلى أزمان غابرة ليتحرى في

---

(١) رسائل السنة والشيعة لرشيد رضا. شاملة ص/٢٤٨

الأحوال التي لم يأمر الشرع بالتحري فيها والتي لا جدوى منها ن بل فيها ضرر" (٢).

" إن أهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليسوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مع الروحانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والنقاشات دفعا لعدوهم المشترك المتعدي " (٣).

"إن التهاون في تطبيق الشعائر الدينية يفضي إلى الضعف الأمة،

والضعف يغري العدو فيكم، ويشجعه عليكم، ولا يوقفه عند حده "(٤).

التواصل البناء(٥)

والتثمير الايجابي لمعارف ومنجزات الآخر

من منظور رسائل النور للنورسي

"إن معاصريي – مع الأسف – وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري، إلا أنهم تذكار القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس ونمودج وأخلاط ممتزجة لعصور خلت – من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري – حتى غدا كثير من بديهيات هذا الزمن مبهمة لديهم" (٦). ... ...

---

(١) الملاحق ٢٩٦

(٢) الملاحق ٢٩٨

(٣) الملاحق٢٩٩

(٤) المثنوي ٢٠٤

(٥) أعددت هذه المداخلة للمساهمة في ملتقى وجدة بالمغرب (حوار الشرق والغرب من خلال رسائل النور) بتاريخ أبريل ٢٠٠٠. ولم أتمكن من إلقائها يومذاك لعوائق خاصة.

(٦) صيقل الإسلام ٢٤." (١)

١٩٣. "* العودة بالمؤمنين إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرهم الديني، إذ هو منبع الحياة في الخبرة الفقهية بسبب ما يمنحها من قدسية وفاعلية في النفوس والقلوب و العقول.

---

(١) رسائل عن النورسية ١٧٠/١٣

* السعي نحو العودة المنهجية إلى القرآن الكريم بواسطة الفقه، بغرض الخلوص إلى التقعيد الفقهي من خلال القرآن الكريم.

* تربية المؤمنين على التمييز بين الأحكام الفقهية الضرورية (والتي تمثل تسعين بالمائة) والمسائل الخلافية (لا تجاوز العشرة بالمائة)، وذلك بأن لا نلغي عمليا بسبب الخلاف في العشرة بالمائة التسعين بالمائة الباقية.

* تربية الناس على التعلق بالقرآن الكريم، وهو بمثابة ربط قلوبهم بما هو أعلى من الخبرة الفقهية بشقيها(الضروري والاجتهادي) بغرض تمحيصها به ومحاكمتها إليه.

* ترسيخ القراءة الوظيفية من خلال جعل الفقه وسيلة لفهم القرآن، لأن المطلوب أن يكون الفقه سببا في التعلق بالقرآن لا أن يكون حجابا يمنعنا من الوصول إليه، أي أن يصبح الفقه مرآة للقرآن الكريم.

* رفض البداية الصفرية في الخبرة الفقهية، ولكنه يرجح في ذلك (وخاصة في مثل ظروفه) القراءة الفقهية المذهبية من القرآن وليس العكس، بمعنى أنه وإن كان متمذهبا (وهذا تثمين للخبرة الفقهية)، فإنه لا يقبل بأن يكون الفقه سببا في إبعادنا عن القرآن الكريم، لأن القرآن لازم والفقه ملزومه فكيف يصح شرعا وعقلا بأن يكون الملزوم حاجبا للازم؟

* يتوخى من كل اهتماماته الفقهية من خلال رسائله، خدمة الحقائق الإيمانية في شقها الفقهي، ولتحقيق هذا المقصد عمل على بعث الروح في التزامنا بالأحكام الفقهية الضرورية و الاجتهادية، وبهذا يخرج المسلم من العبثية ليدخل رحاب العبادة الحقة التي من أبرز تجلياتها الغائية المعبر عنها بالوظيفية المرتبطة أساسا بتكريس الجوانب الأخلاقية من الالتزام بالشريعة، يستشف هذا الأمر من كتابته عن موضوع العبادات كالصلاة والصوم والزكاة.

- عرض مسألة الصلاة:." (١)

١٩٤. "يده الملوثة إلى كل شيء لتترك أثرا من درنها على ما مسته. بيد أن طبيعة الحق تتأبى على هذه الوساخات، وتطرد عن جوهرها إفك الأفاكين، ولو لبسوا مسوح العلماء المحايدين . ص ـ١٦٧ الفصل الخامس الفرق منشأ الخلاف طبيعة الخلافات بين المسلمين حديث افتراق الأمة، قيمته ومعناه مرونة الفكر الإسلامى.. ومسلك الحكام وراثة الخلافات حماقة أبو حامد الغزالى يضع أسس التقريب

---

(١) رسائل عن النورسية ١٠١/١٤

بين المذاهب الإسلامية عود إلى حديث افتراق الأمة أديان استعمارية البهائية تحارب تعاليم الإسلام نفاق ا لبهائيين البهائية وخدمة الاستعمار القاديانية وخدمتها للاستعمار ص ــ١٦٨." (١)

١٩٥. "و الشاهد الرابع هو إني بحثت في مئات المصنفات التراثية المتقدمة –عن طريق الحاسب الآلي– و لم أعثر على أي ذكر لهذا الكتاب منسوبا لابن قتيبة ، و لا لغيره ، مما يعني أنه لم يكن معروفا بين أهل العلم في العصر الإسلامي زمن ابن قتيبة ، و لا القريب منه ، و هذا يرجح بقوة بأن الكتاب ظهر متأخرا بعد وفاة ابن قتيبة بزمن طويل .

و الشاهد الخامس هو وجود نزعة شيعية ظاهرة في كتاب الإمامة و السياسة ، و هذا أمر يتناقض مع مذهب ابن قتيبة السني ، و قد أظهر المؤلف تشيعه بتركيزه على ثلاثة أمور ، أولها الطعن في الصحابة كما سبق أن ذكرناه . و ثانيها الزعم بأن عليا –رضي الله عنه– رفض بيعة أبي بكر –رضي الله عنه– لأنه كان يعتقد بأن الخلافة من حقه ، واغتصبت منه . و ثالثها إظهار أن عليا تعرض للتهديد من أبي بكر و عمر ، بسبب الخلافة ، وأنه كان مظلوما مستضعفا ، حتى أنه أخرج زوجته فاطمة– رضي الله عنها– و أخذها معه ليلا إلى الأنصار يطلب منهم مساعدته ، لاسترجاع حقه المغصوب ، على حد زعم هذا المؤلف الشيعي المجهول (١) . و هذه الأخبار هي مكذوبة بلا شك ، و سنبين ذلك في الفصل الرابع من كتابنا هذا ، إن شاء الله تعالى .

و الشاهد السادس يتمثل في وجود أخطاء تاريخية فادحة ، في كتاب الإمامة و السياسة ، لا يصح أن يقع فيها مؤرخ كابن قتيبة ، لأنها ثابتة معروفة ، و قريبة منه زمنيا ، و تخالف ما ذكره هو شخصيا في كتابه المعارف ، مما يعني أن مؤلف الإمامة و السياسة ، ليس هو ابن قتيبة ، و إن مؤلفه مجهول ، ذكر تلك الأخطاء التاريخية جهلا أو متعمدا و ليس ناسيا ، لأنها ليست خبرا واحدا ، و لا هي من الأمور التي تغيب عن البال في الغالب الأعم .

---

(١) انظر الإمامة و السياسة ، ج ١ ص: ١٨-١٩ ، ٢٠ ، ٤٨ .." (٢)

١٩٦. "و أما قوله بان المعتزلة استخدموا مبدأهم لمجادلة غير المسلمين ، فهو قول غير صحيح في معظمه ، لأن المعتزلة استخدموا مبدأهم لتبرير موقفهم من الشرع نفسه ، و الله تعالى يقول : ﴿يا

---

(١) دفاع عن العقيدة والشريعة ص/١٦٣

(٢) ثقافة التلبيس مع بحوث أخرى ٣٢/١٧

أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ – سورة الحجرات/١-.كما أنهم استخدموه لتأويل النصوص و توجيهها لخدمة أصولهم ، في مسائل الصفات و القضاء و القدر و الرؤية (١) .

و ثانيا إن قوله بأن المعتزلة جادلوا في أول أمرهم غير المسلمين ، هو قول غير صحيح ، و إنما الصحيح هو عكس ذلك ، فإنهم جادلوا المسلمين قبل غيرهم ، لأن ظهورهم نفسه كان بسبب الخلافات العقدية بين المسلمين أنفسهم ، فهم الذين خرجوا من حلقة الحسن البصري بسبب الاختلاف في مسألة مرتكب الكبيرة ، ثم دخلوا في مجادلات مع مختلف الفرق الإسلامية في مسائل : الجبر و الاختيار ، و القضاء و القدر ، و الصفات الإلهية ، و الإمامة ، و هذا الأمر ذكره الجابري نفسه مرارا في بعض كتبه (٢) . و نحن إذا تفحصنا كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار نجده موجها في معظمه للرد على الفرق الإسلامية المخالفة للمعتزلة ، و هذا أمر لا يحتاج إلى توثيق .

---

(١) مثال ذلك تأويل القاضي عبد الجبار لصفة العلم و الرؤية ، أنظر شرح الأصول الخمسة ج ١ ص : ١٣٣ ، و ما بعدها ، و ١٦١ و ما بعدها .

(٢) أنظر : العقل الأخلاقي ، ص: ١١٣ ، ما بعدها . و العقل السياسي ، ص: ٢٧٤ و ما بعدها .." (١)

١٩٧. "و أما الخطأ الثاني فيتعلق بموضوع الخلافة بعد وفاة النبي-عليه الصلاة و السلام- ، ادعى فيه أركون أن حادثة السقيفة كانت مناقشة كبرى حاسمة ، قسمت الوعي الإسلامي و مزقته، و كانت فيها قبيلة بني هاشم و بني أمية موجودتين على الساحة مستعدتين لخوض الصراع بسبب الخلافة . ثم تعقدت المسألة أكثر بدخول الأنصار الصراع ، و هم قبيلة أخرى لهم طموحاتهم السلطوية أيضا. ثم قال : ((إننا لا نستطيع أن نخفي إلى الأبد هذه الحقائق السوسيولوجية- التاريخية التي ضمنها أو ضدها سوف تشق الفكرة الإسلامية طريقها)) (١) .

و قوله هذا غير صحيح في معظمه ، و يتضمن أباطيل و مغالطات ، أولا إن الذي حدث في سقيفة بني ساعدة و بيعة أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- ، هو أول تجربة شورية —ديمقراطية بلغة العصر- ناجحة حققها الصحابة بعد وفاة رسول الله-عليه الصلاة و السلام- ، و أدت إلى توحد المسلمين

---

(١) ثقافة التلبيس مع بحوث أخرى ٢٩١/١٧

حول خليفة واحد ، و تكوين دولة الخلافة الراشدة ، التي فتحت العالم وأطاحت بدولتي الفرس و الروم ، و تحقق فيها وعد الله تعالى عندما قال : -﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ – سورة النور/٥٥- . فهذه الحادثة جمعت المسلمين قلبا وقالبا ، و لم تقسمهم و لا مزقتهم ،و أما الخلافات التي حدثت في الفتنة الكبرى و ما أنجر عنها من تمزق و انقسامات بين المسلمين ، فلا علاقة لها بما حدث في السقيفة (٢) .

---

(١) تاريخية الفكر ، ص: ١٤٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ .

(٢) سنتطرق إلى ذلك لاحقا .." (١)

١٩٨. "وليست المسألة مسألة ظن أو يطلق عليه بحسب الاجتهاد لأن الإطلاق على الناس إطلاق هذه الأسماء أو الأحكام على الناس هذه تسبب الخلاف والفرقة لأنه لا بد أن يكون ثم اختلاف في المعين فإذا صار الخلاف في المعين من جهة الرأي حصل الافتراق وإذا حصل النظر في جهة المعين من جهة الدليل والشرع حصل الاتفاق .

فهذا يقول فاسق والآخر يقول صالح ، هذا يقول إمام والثاني يقول زنديق وهذا يقول مبتدع والثالث يقول مجاهد أو إمام أو عالم أو نحو ذلك فتقابل هذه الأسماء يخرج الناظر فيها عن دليل الشرع .

والواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم أن يقتفوا سيرة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة لأجل أن لا يحصل الفرقة والخلاف في الأمة فلا يطلقوا هذه الأسماء إلا على من استحقها شرعا .

وطلاب العلم الذين ابتدؤا في طلب العلم أو توسطوا فإنهم فيما ينبغي أن يتباعدوا عن هذه الإطلاقات ويتركوها لأهل العلم الذين يعلمون حدود هذه الإطلاقات نفيا وإثباتا ومن يوصف باسم أسماء الإيمان ومن يسلب عنه ذلك إما أصله أو كماله ومنه مسألة التكفير فيمن يكفر لا يدخل فيها بعض صغار طلاب العلم أو المتوسطون لأنه تتبعها مسائل كبيرة .

وحصل في هذا الزمن خلاف كما ترون وتسمعون في مسائل التكفير في كثير من أمصار المسلمين من جراء الخلاف في الأحكام ، وظهرت فرق وجماعات جديدة لأجل الخلاف في الأسماء والأحكام هذه

---

(١) ثقافة التلبيس مع بحوث أخرى ١٧/٤٦٠

.

فهذه المسألة مهمة ووسطية أهل السنة والجماعة فيها (أن لا يطلق القول باسم من الأسماء على المعين أو أن يسلب عنه شيء من أسماء الدين أو حكمه في الآخرة أو حكمه في الدنيا إلا عن دليل شرعي

.

وهذا الدليل الشرعي يكون مؤصلا عند أهل السنة والجماعة) يعني أقرت دلالته أهل السنة والجماعة يأتي في موضع آخر ربما ذكر الجهمية والمرجئة في مسائل الإيمان وتفصيل الفرق بينهما يعني بدقة عند الكلام على مسائل الإيمان إن شاء الله تعالى .." (١)

١٩٩. "أصل الضلال في باب القدر هو الخوض في الأفعال : لم فعل ؟ لم كان كذا ؟ لم قدر علي كذا ؟ هذا عاش هذا مات هذا غني هذا فقير إلى آخره .

وقد قال شيخ الإسلام في تائيته العظيمة ، تائيته في القدر ، قال :

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة

هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له

فصاروا على نوع من الجاهلية

ولا شك أننا لا نستطيع أن ندخل في معرفة الحكم والأسرار ، قد نعلم بعض الأشياء قليلة جدا وأشياء كثيرة لا نعلمها ، وما أحسن قول القائل :

وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ

علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الـ

إله مخالفا فيها الأناما

فلا تجعل لها قدرا وخذها

شكورا للذي يحيي الأناما

من أعظم ما ينفع في هذا الباب أنك تختلف مع ابنك الصغير أو مع أخيك الصغير فلا يقتنع بفعلك وفعلك موافق للمصلحة وهو لا يقتنع بذلك ويعارض وسبب الخلاف هو الاختلاف في العلوم ،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ ٤٦٥/١

تعلم ما لا يعلم فكان فعلك موافقا لما تعلم وفعله واعتراضه موافقا لما يعلم ، وسبب الخلاف اختلاف العلوم .

فإذن كان من اللوازم أن يكون الإله جل وعلا ، الرب سبحانه مخالفا فيها الأناما لأن علمه كامل شامل محيط بكل شيء وعلم العبد قاصر لا يعدو شيئا يسيرا بجانبه .." (١)

٢٠٠. "لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ

ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا

فعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب

وقد ثنى على الخضر الملاما

وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ

ـعلوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الـ

إله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا

يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان

فلا تجهل لها قدرا وخذها

شكورا للذي يحيي الأناما

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - صالح آل الشيخ ٨٢/٢

وحكم

مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

٢٠١. "وليست المسألة مسألة ظن أو يطلق عليه بحسب الاجتهاد لأن الإطلاق على الناس إطلاق هذه الأسماء أو الأحكام على الناس هذه تسبب الخلاف والفرقة لأنه لا بد أن يكون ثم اختلاف في المعين فإذا صار الخلاف في المعين من جهة الرأي حصل الافتراق وإذا حصل النظر في جهة المعين من جهة الدليل والشرع حصل الاتفاق .

فهذا يقول فاسق والآخر يقول صالح ، هذا يقول إمام والثاني يقول زنديق وهذا يقول مبتدع والثالث يقول مجاهد أو إمام أو عالم أو نحو ذلك فتقابل هذه الأسماء يخرج الناظر فيها عن دليل الشرع .

والواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم أن يقتفوا سيرة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة لأجل أن لا يحصل الفرقة والخلاف في الأمة فلا يطلقوا هذه الأسماء إلا على من استحقها شرعا .

وطلاب العلم الذين ابتدؤا في طلب العلم أو توسطوا فإنهم فيما ينبغي أن يتباعدوا عن هذه الإطلاقات ويتركوها لأهل العلم الذين يعلمون حدود هذه الإطلاقات نفيا وإثباتا ومن يوصف باسم أسماء الإيمان ومن يسلب عنه ذلك إما أصله أو كماله ومنه مسألة التكفير فيمن يكفر لا يدخل فيها بعض صغار طلاب العلم أو المتوسطون لأنه تتبعها مسائل كبيرة .

وحصل في هذا الزمن خلاف كما ترون وتسمعون في مسائل التكفير في كثير من أمصار المسلمين من جراء الخلاف في الأحكام ، وظهرت فرق وجماعات جديدة لأجل الخلاف في الأسماء والأحكام هذه .

فهذه المسألة مهمة ووسطية أهل السنة والجماعة فيها (أن لا يطلق القول باسم من الأسماء على المعين أو أن يسلب عنه شيء من أسماء الدين أو حكمه في الآخرة أو حكمه في الدنيا إلا عن دليل شرعي .

وهذا الدليل الشرعي يكون مؤصلا عند أهل السنة والجماعة) يعني أقرت دلالته أهل السنة والجماعة

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – صالح آل الشيخ ١١٩/٢

يأتي في موضع آخر ربما ذكر الجهمية والمرجئة في مسائل الإيمان وتفصيل الفرق بينهما يعني بدقة عند الكلام على مسائل الإيمان إن شاء الله تعالى .." (١)

٢٠٢. "أصل الضلال في باب القدر هو الخوض في الأفعال : لم فعل ؟ لم كان كذا ؟ لم قدر علي كذا ؟ هذا عاش هذا مات هذا غني هذا فقير إلى آخره .

وقد قال شيخ الإسلام في تائيته العظيمة ، تائيته في القدر ، قال :

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهموا حكمة له ... فصاروا على نوع من الجاهلية

ولا شك أننا لا نستطيع أن ندخل في معرفة الحكم والأسرار ، قد نعلم بعض الأشياء قليلة جدا وأشياء كثيرة لا نعلمها ، وما أحسن قول القائل :

وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ ... علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الـ ... إله مخالفا فيها الأناما

فلا تجعل لها قدرا وخذها ... شكورا للذي يحيي الأناما

من أعظم ما ينفع في هذا الباب أنك تختلف مع ابنك الصغير أو مع أخيك الصغير فلا يقتنع بفعلك وفعلك موافق للمصلحة وهو لا يقتنع بذلك ويعارض وسبب الخلاف هو الاختلاف في العلوم ، تعلم ما لا يعلم فكان فعلك موافقا لما تعلم وفعله واعتراضه موافقا لما يعلم ، وسبب الخلاف اختلاف العلوم .

فإذن كان من اللوازم أن يكون الإله جل وعلا ، الرب سبحانه مخالفا فيها الأناما لأن علمه كامل شامل محيط بكل شيء وعلم العبد قاصر لا يعدو شيئا يسيرا بجانبه .." (٢)

٢٠٣. "لأنه سأل ، وهكذا من خاض في القدر فإنه يحرم العلم ومن لم يسلم فيه يحرم العلم ، قال :

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – آل الشيخ ٤٦٧/١

(٢) شرح العقيدة الواسطية – آل الشيخ ٨٦/٢

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ ... ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا ... فعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب ... وقد ثنى على الخضر الملاما

وما سبب الخلاف سوى اختلاف الـ ... علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الـ ... إله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا

يعني هذه الحكمة البليغة وهذا البيان

فلا تجهل لها قدرا وخذها ... شكورا للذي يحيي الأناما

فهذا باب هدى الله جل وعلا فيه أهل السنة كما هداهم في غيره ونحمد الله جل وعلا أن جعلنا منهم ونسأله لنا ولكم الثبات على القول الصالح والعمل الصالح وأن يميتنا ثابتين غير خزايا ولا مفتونين وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد .

حقيقة الإيمان

وحكم

مرتكب الكبيرة

ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح. وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.." (١)

٢٠٤. "فإذا قال لهم أولئك المعطلة : أنتم شبهتم، قالوا: أنتم عطلتم، لذا قال السلف الصالح : المعطل عابد عدم، والمشبه عابد صنم، فالمعطل عابد عدم لأنه يقول: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، وليس له يد، وليس له عين، وليس له أي صفة من

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – آل الشيخ ١٢٤/٢

الصفات، ولا يسمع ولا يبصر.

إذا: فهذا معدوم غير موجود، فالمعطل عابد عدم، ولكن المشبه عابد صنم لأن الذي يقول يد الخالق كيد المخلوق، ووجهه كوجه المخلوق، وقدمه كقدم المخلوق، فإنما هو يعبد صنما، لأن الأصنام نحتت لكي تعبد من دون الله، لكي يقال: هذا هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والشاهد أن سبب الخلاف بينهما هو أن هذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي حظا، وهذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي الحظ الآخر، فأغرى الله بينهما العداوة والبغضاء.

فتجد في كتب المعطلة أنهم يكفرون المشبهة ، وفي كتب المشبهة يكفرون المعطلة ، وفي كتب المرجئة يكفرون الخوارج ، وفي كتب الخوارج يكفرون المرجئة ، أغرى الله سبحانه وتعالى بينهم العداوة والبغضاء، وهذا من أعظم أسباب الاختلاف أن لا يؤخذ الكتاب كله ولا يتلقى العلم والدين كله من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك الشهوات وحب الدنيا

ومن أسباب الاختلاف: "الشهوات وحب الدنيا" فإن حب الدنيا يفسد النية والإرادة، وإذا فسدت الإرادة ودخل الدخن إلى القلب، فإن الأعمال تفسد، ويترتب على فساد الأعمال فساد في الاعتقاد، وأسباب ذلك تبدأ بسيطة لكنها فيما بعد تظهر وتبدو، حتى تكون منهجا من المناهج.." (١)

٢٠٥. "وبالمقابل جاءتالمشبهة ونسوا حظا مما ذكروا به، وتركوا الآيات التي جاءت في تنزيه الله سبحانه وتعالى، وأثبتوا لله سبحانه وتعالى الصفات كما يليق بالمخلوق -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- مشابهين في ذلك لليهودعندما قالوا: إن الله تبارك وتعالى -كما هو مذكور في التوراة- خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع والعياذ بالله!

فجعلوا الله سبحانه وتعالى يتعب ويلغب، كما يلغب ابن آدم إذا عمل عملا ما، ولذلك نفى الله سبحانه وتعالى ذلك فقال: وما مسنا من لغوب [ق:٣٨] أي: لم يمسنا التعب ولا النصب ولا اللغب، ورد عليهم، فجاء هؤلاء المشبهة، وأخذوا من اليهودالتشبيه وزادوا عليهم فقالوا: له يد كيدنا، فجعلوا صفات الله عز وجل مثل صفات المخلوق.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للحوالي ص/٤٤

فإذا قال لهم أولئك المعطلة : أنتم شبهتم، قالوا: أنتم عطلتم، لذا قال السلف الصالح : المعطل عابد عدم، والمشبه عابد صنم، فالمعطل عابد عدم لأنه يقول: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، وليس له يد، وليس له عين، وليس له أي صفة من الصفات، ولا يسمع ولا يبصر.

إذا: فهذا معدوم غير موجود، فالمعطل عابد عدم، ولكن المشبه عابد صنم لأن الذي يقول يد الخالق كيد المخلوق، ووجهه كوجه المخلوق، وقدمه كقدم المخلوق، فإنما هو يعبد صنما، لأن الأصنام نحتت لكي تعبد من دون الله، لكي يقال: هذا هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والشاهد أن سبب الخلاف بينهما هو أن هذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي حظا، وهذا أخذ حظا مما ذكر به ونسي الحظ الآخر، فأغرى الله بينهما العداوة والبغضاء.." (١)

٢٠٦. "يقول المصنف: [وفي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع] أي: لا ينقص ذلك منه شيئا، وهكذا حال الجنة فإن نعيمها لا ينفذ أبدا كحال هذه الدنيا التي ينفد ما فيها من الخير وإن كان كثيرا، أما الجنة فإن أكلها دائم وظلها، لا ينفد شيء من نعيمها ولا ينتهي، وأنه ينبت في حال من المسك -أي ينبت المسك فيه- والرضراض في لغة العرب هي: الحصى الصغيرة، وهي من اللؤلؤ يجري هذا النهر فوقها، [وأنه يثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، ولا تنفد خزائنه، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون [يس:٨٢].

ثم قال: [وقد ورد في أحاديث أن لكل نبي حوضا وأن حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها].

وقد سبق أن ذكرنا أن الاختلاف واقع في الحوض هل هو خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، أم ثابت لغيره؟

سبب الخلاف

إن سبب الخلاف يرجع إلى الخلاف في ثبوت الأحاديث، وإن كان الأظهر -على قاعدة المحدثين- أن الحوض خاص به صلى الله عليه وسلم، لأن حديث (إن لكل نبي حوضا) قال فيهالترمذي إن المرسل أصح، أي: أنه ورد مرسلا صحيحا، ورفع هذا الحديث لا يصح.

(١) شرح العقيدة الطحاوية للحوالي ص/٧١

وأيضا الرواية الأخرى فيها ضعف ذكر هذا الأرنؤوط فقال: أخرجه الترمذي : في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض من حديث سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل نبي حوضا وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وأني أرجو أن أكون أكثرهم واردا) يقول: قال الترمذي ورد مرسلا والمرسل أصح هذا الذي في الترمذي ، ثم يقول: (وذكر الهيثمي في المجمع قال: ورواه الطبراني وفيه مروان بن جعفر السمري وثقهابن أبي حاتم ، وقالالأزدي : يتكلمون فيه، وبقية رجاله ثقات).." (١)

٢٠٧. "الأسئلة

س١/ ما الفرق بين القدر والقضاء؟

ج/ يأتي إن شاء الله.

س٢/ يجعل الله سره في أضعف خلقه، إذا رأى مثلا شخصا ضعيفا؟

ج/ هذا المقصود به حكمته في الخلق، لا بأس به.

س٣/ هل يدخل الغيب تحت القدر؟

ج/ نعم كل مغيب فهو مقدر.

س٤/ هل يصح قول (ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه)؟

ج/ ما معنى (ما ليس بشيء فإن الله لا يعلمه)؟ والله على كل شيء قدير والذي ليس بشيء فإن الله سبحانه وتعالى غير قادر عليه لأنه ليس بشيء كالجمع بين النقيضين؟

هذا الكلام غير منضبط لا من جهة كلام المناطقة ولا من جهة أيضا التعريف، فلا تطلق عليه العبارة لأنها غير منضبطة؛ لأنه يقول ما ليس بشيء يعني الذي ليس بشيء، وما دام قال الذي فإنه شيء.

س٥/ قبل إرادة الله الخلق للشيء وعلمه به، ماذا يسبقه، هل يسبقه جهل به؟

ج/ أستغفر الله وأتوب إليه، الله سبحانه علمه أول، وعلمه مرتبط بإرادته وحكمته – عز وجل – فلا يسبق علمه جهل – جل جلاله – وتقدست أسماؤه.

س ٦/ نرجو أن تملوا علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر؟

ج/ الميمية هي أو التائية؟ تائية شيخ الإسلام القدرية هذه مشهورة ينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها؛ لأنها فيها ذكر كثير من مسائل القدر.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للحوالي ص/٨٠٣

[.....](١)

هذيك في التعليل مو في القضاء والقدر؛ في ترك تعليل أفعال الله – عز وجل – أو الخوض في ذلك، نأتيها إن شاء الله تعالى.

هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتابه إيثار الخلق على الحق دون نسبة، هي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال ومطلعها يقول فيها:

تسل عن الوفاق فربنا قد حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخضر المكرم والوجيه الـ ـمكلم إذ ألم به لماما

تكدر صفو جمعهما مرارا فعجل صاحب السر الصراما

ففارقه الكليم كليم قلب وقد ثنى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوى اختلاف ال علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدرا وخذها شكورا للذي يحيي العظاما

هذه قصة عظيمة قصة الخضر مع موسى فيها من الفوائد ما لا يحصى.

نكتفي بهذا القدر ونلتقي إن شاء الله تعالى بخير وعافية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

(١) مداخلة من أحد الطلبة." (١)

٢٠٨. "ثبوت الخلافة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثبتت الخلافة لعلي بن أبي طالب بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام فهي ثبتت له بمبايعة أكثر الناس ممن تنعقد بهم البيعة إذن علي ما اجتمع الناس عليه ثبتت له الخلافة بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد، وأما معاوية وأهل الشام فامتنعوا لا ؛ لأنهم يطلبون الخلافة؛ لا لأن معاوية يطلب الخلافة، بل يطالب بقتلة عثمان يطالب بدم عثمان.

ويقول: الخلاف بينه وبين علي يقول: اقتص من قتلة عثمان، وأنا أبايعك أنا أتوقف حتى ينتصر للشهيد المظلوم وهو عثمان – رضي الله عنه – ويقول: إنه أقرب الناس إليه، وعلي – رضي الله عنه – لا يمانع ولكنه لا يستطيع في ذلك الوقت بسبب الفتنة، وهؤلاء الذين قتلوا عثمان اندسوا في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ ص/٢٣٢

العسكر ولا يعرفون وهؤلاء لهم قبائل تنتصر لهم.

والمسألة فيها فوضى واضطراب ولا يستطيع، فعلي - رضي الله عنه - يقول: بعدما تهدأ الأحوال نستطيع نأخذ قتلة عثمان، ومعاوية قال: لا أنا أريد الآن وحصل الخلاف فامتنع معاوية وأهل الشام ثم بعد ذلك الخلاف زاد حتى حصلت الحروب المعروفة بين الصحابة عن اجتهاد كل مجتهد ومن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر.

إذن ثبتت الخلافة لعلي بمبايعته أكثر الصحابة وامتنع من مبايعته معاوية وأهل الشام فهي ثبتت بمبايعة أكثر الناس ممن تنعقد بهم البيعة، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال الرافضة: ثبتت الخلافة لعلي بالنص الجلي أو بالنص الخفي سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية هو -كما سمعتم- الاجتهاد ومعاوية وأهل الشام يطالبون بدم عثمان ومعاوية يقول: أنا أقرب الناس إليه، وعلي - رضي الله عنه - يرى أنه ثبتت له البيعة، وأنه يجب عليه أن يخضع معاوية وأهل الشام حتى يبايعوا فحصل النزاع ثم حصل القتال عن اجتهاد كل منهم متأول.

الخلفاء الراشدون من هم؟ أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ولأبي بكر وعمر مزية على عثمان وعلي، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين ولم يأمرنا بالاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر فقال: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) والاقتداء أخص من الاتباع إذ إن هناك فرقا بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم.

ويروى عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان في الفضيلة لا في الخلافة، قول لأبي حنيفة أن تقديم علي في الفضيلة لا في الخلافة، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي ، ظاهر مذهبه تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنة ويؤيده قول عبد الرحمن بن عوف، وقول أيوب السبختياني من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار يعني احتقرهم؛ لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على بيعة عثمان وتقديمه في الخلافة.

وثبت عن ابن عمر -وهو في الصحيحين- (قال: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكر) نعم. أعد

ونثبت الخلافة بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أولا لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم لعثمان - رضي

الله عنه – ثم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهما الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون .
هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة كما ذكر المؤلف –رحمه الله– الخلافة ثبتت أولا لأبي بكر ثم لعمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون باتفاق أهل السنة والجماعة. نعم.." (١)

٢٠٩. "القول الوسط هو قول أهل السنة حيث قالوا: إن أهل المعاصي يخاف عليهم الوعيد، يخاف عليهم النار ما دام أنهم قد سموا في بعض الأحاديث كفارا، وسموا في أحاديث أخرى فساقا، فلابد أن هذه المعاصي تضرهم، فإما أن تؤخرهم عن دخول الجنة، ولا شك أن ذلك ضرر، وإما أن يدخلوا بها النار، ولا شك أن ذلك ضرر أعظم؛ لأنهم قد يدخلون النار ويطول مكثهم فيها، وقد يدخلون النار ولا يطول مكثهم، وذلك على قدر أعمالهم، وأشباه ذلك، وهذا دليل على أن المعاصي لها تأثير على العاصي، فلأجل ذلك يخاف عليه إذا أصر عليها. ومعروف أن الشرع ما حذر من المعاصي وأكثر الذم لها إلا ولها تأثير في الإيمان، فعلى الإنسان أن يرجع إلى الأحاديث التي وردت في الحث على كثرة الطاعات، والتحذير من المعاصي، حتى ولو كانت صغيرة، ويحذر من الإصرار عليها، ويتذكر آثارها ومضارها، فسيكون ذلك زاجرا للمسلم عن أن يصر على كبيرة، أو عن أن يأتي ذنبا ولو مرة واحدة؛ مخافة أن يسبب له عذابا عاجلا أو آجلا.
سبب الخلاف في حكم أهل المعاصي
...." (٢)

٢١٠. "الشرع عاملناه بما يستحقه. وبذلك يعرف أن باب تفاوت المؤمنين، وتفاوت الكفار يكون بحسب ما في القلوب من الإيمان أو من ضد الإيمان، وهذه مسألة لها أهميتها، يعرف الإنسان أن أهل الإيمان يتفاوتون، فإيمان قوي يحمل على كثرة الطاعات والعبادات، وإيمان ضعيف لا يزجر عن المحرمات ولا عن الآثام.
واجب المسلم تجاه مسائل العقيدة
...
ينبغي للمسلم أن يهتم بأمر دينه؛ حتى يسلك طريق النجاة، ولا شك أن مبنى دينه على أمور العقيدة، التي إذا ثبتت ورسخت انبنت عليها صحة الأعمال، وأثيب عليها، وإذا فسدت العقيدة انبنى عليها

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي ص/٣٦٩
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٢/٢٩٩

وترتب عليها فساد الفروع والأعمال. ولا شك أن من جملة العقيدة أسماء الإيمان والدين، وقد عرفنا جانبا كبيرا منها فيما يتعلق بالتكفير والتفسيق، وطريقة أهل السنة في ذلك، ومن خالفهم. وسبب الخلاف في ذلك: أنه جاءت أحاديث كثيرة فيها الحكم بالكفر على بعض الأعمال التي هي من المعاصي، وتسمى تلك النصوص نصوص الوعيد، أو أحاديث الوعيد، وطريقة أهل السنة فيها أنهم يجرونها على ظاهرها؛ ليكون أبلغ في الزجر، مع اعتقادهم أنها لا تخرج من الملة، وأن مرتكب الكبيرة ولو كان متوعدا بالكفر أو نحو ذلك، فإنه لا يصل إلى أن يستباح دمه وماله، وأن يحكم عليه بالخلود في النار، بل يقال: هذا من الذنوب التي جاء فيها هذا الوعيد، وأمرها إلى الله تعالى، وكل المعاصي التي دون الشرك فإنها تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه. هذه طريقة أهل السنة. وقد مر بنا بعض أحاديث الوعيد التي فيها شيء من الغلظة والشدة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد) فإن هذا فيه نفي الإيمان، فنحن لا نقول: إنه خرج من الإيمان كليا، ولا أنه دخل في الكفر. المعتزلة." (١)

٢١١. "(٢٤) كم مرة؟ الجواب أنه يمسح مرة واحدة، مسح جميع الرأس هذا هو الصحيح، فليغير وضوءه من ينتسب إلى مذهب الإمام الشافعي أو مذهب الإمام أبي حنيفة أو غيرهما، ممن يرون بأنه لا يجب مسح جميع الرأس، كما سيأتي ذكر سبب الخلاف عند الآية، الواجب هنا الرجوع إلى بيان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في كيفية مسح الرأس، وما يفعله بعض المنتسبين إلى مذهب الإمام الشافعي من أن الواحد يأخذ الماء بطرف إصبعه ويعمل هكذا –أي بطرف يده–، ويكرر ثلاث مرات، لا، خطأ بل في بعض فروعهم القول يجوز ولو مسح بعض شعره –يعني شعرة واحدة– بدعوى التبعيض وبأن الباء للتبعيض، ما هذا التفسير بعد بيان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟!! لا يجوز أن تتعصب وتتعلق بالمعنى اللغوي بعد بيان رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؛ فرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعلم منك باللغة العربية؛ فالنبي –عليه الصلاة والسلام– بين كيفية مسح الرأس: أن تضع يديك على مقدم رأسك وتذهب بهما إلى القفا، ثم تردهما إلى حيث بدأت، سواء اعتبرت ذلك مرة أو مرتين، الذي يفهمه أهل العلم أن هذه مرة، بدليل لأنك لم ترفع اليدين، ذهبت بهما ورددتهما

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٢/٣٠١

لو أنك تعلمت هكذا، ثم فعلت هكذا لاعتبرت مرتين، ولكن في الصورة التي فعلها –عليه الصلاة والسلام– حيث لم يرفع اليدين عند القفا، تعتبر هذه مرة، أي تمسح رأسك مرة واحدة ثم تعم، هذا الواجب.." (١)

٢١٢. "وقال البخاري: " حدثنا قتيبة، حدثني القاسم بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيبة، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم أضحى... وقال: ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله علوا كبيرا عما يقول ابن درهم، ثم نزل فذبحه".

قال أبو عبدالله: قال قتيبة: " بلغني أن جهما كان يأخذ الكلام من الجعد بن درهم"(١).

فتبين أن هذا الإلحاد جاء من قبل اليهود الذين أرادوا إفساد دين الإسلام، كما أن الرفض أول من عرف من دعاته يهودي ماكر حاقد، وهو ابن سبأ، يقال له: ابن السوداء، واسمه: عبد الله بن وهب بن سبأ، من يهود صنعاء، ولا بد أن هؤلاء الأفراد الذين شهروا بدعواتهم المنحرفة، وراءهم من يدعمهم، ويخطط لهم، وهذا الموضوع بحاجة إلى دراسة فاحصة، تبين الأمر بوضوح، وهذا الذي أشرت إليه تدل عليه كثير من الوقائع، والآثار عن السلف، وغيرهم.

فكان هذا هو سبب التفرق الحقيقي، إذ هو تفرق في الاعتقاد، وهو منشأ الخلافات، والحروب الكلامية الممزقة، التي لم تزل تنخر في كيان المسلمين إلى يومنا هذا.

ص١٣

وقد ينضم إلى ذلك عوامل جديدة في كل فترة زمنية، من أنواع الإلحاد ومحاربة الإسلام بأساليب شتى وأسلحة مختلفة، مقروءة ومرئية ومسموعة، ولولا أن الله – تعالى – تكفل ببقاء هذا الدين إلى آخر وقت من الدنيا، لقضي عليه منذ زمن بعيد، وهذا بالإضافة إلى ما هو كامن في طباع البشر مما يبعدهم عن الحق، مثل التقليد، واتباع المألوفات، وما يكون عليه رؤساء القوم وعظماؤهم، كما ذكر الله تعالى عن الأمم السابقة مع أنبيائهم، قال تعالى:

---

(١) شرح شروط الصلاة – الجامي ص/٢٢

(١) "خلق أفعال العباد" (ص٢٩-٣٠) ورواه عثمان بن سعيد في "الرد على الجهمية" (ص٢٥).."
(١)

٢١٣. "لا شك أن الدين كان عزيزا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية. تمت الفتوحات في عهودهم. ولكن لم تقم إمامة لأهل البيت سوى علي وجزءا يسيرا من خلافة الحسن رضي الله عنهما.

لا شك أن مهديكم المنتظر ليس من بين الاثني عشر لأن الدين يكون عزيزا وأي عزة تقوم بمتوار عن الانظار؟

وكيف يكون من الاثني عشر وقد دب خلاف كبير بين الشيعة انقسموا معه إلى عشرات الفرق. منهم من أنكره ومنهم أقر به. ومنهم من كان ينتظر عودة أبيه لا هو. وروى كافيكم أنهم لم يجدوا للحسن العسكري مولودا حتى قسموا ميراثه بين أمه وبين أخيه جعفر.

هل نظام الحكم عندكم بالشورى أم بالنص؟

ﷺ بالشورى تم تداول أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ونصوصه المفهومة لا المنطوقة أو ما يطلق عليه وصف النص الخفي على أن أكثرهم استحقاقا للخلافة هو أبو بكر. ولا يقال أنه لم تكن شورى. وهذا فيه تعليم مهم وهو أن بعض الثعالب قد يتقلد المنصب بالشورى المحضة ولا يكون فاضلا في صفاته مشهورا بدينه فتكون حتى الشورى وبالا على الأمة كما يحصل في العالم اليوم.

ﷺ النبي صرح بأن الخلافة من بعده تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة.

ﷺ علي أقر بالنظام الذي تنتقدونه وبايع. فما كان من طعن بالنظام يكون طعنا بمن أقر به.

ﷺ علي صرح بأن الأمر كان شورى من كتبكم:

ﷺ قال علي لمعاوية « إنما الشورى للمهاجرين والأنصار. فإذا اجتمعوا على رجل وسموه (إماما) كان ذلك لله رضا » (نهج البلاغة ٣:٧).

ﷺ قال علي لمعاوية « بايعني القوم الذين أبا وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه. فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا الغائب أن يختار،، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه الى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين » (نهج البلاغة ٣:٧، وانظر كتاب الإرشاد للمفيد ٣١ ط: الأعلمي. أو ١٤٣ طبعة حيدرية).

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان ١/١٠

ﷺ أنتم ترون الخلافة بالنص وترونها ملكية يتوارثها الابن عن أبيه ولا دخل لأحد بها. فلماذا إثارة خلاف لمجرد التشويش.

لماذا سارع الصحابة إلى السقيفة وانشغلوا بذلك عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم ؟

كان هناك منافقون يتربصون بالمسلمين الدوائر (النساء١٤١) شرقوا بالإسلام وقالوا للذين كفروا سنطيعكم في بعض الأمر (محمد٢٦) وقالوا لهم: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (النساء١٤١).

فكيف لا يسارع الصحابة إلى ملأ الفراغ الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فرحمهم الله على هذه المسارعة لتجنيب الأمة الفتنة التي تترتب على إهمال هذا الأمر.

هل أهل السنة يقولون عن ابن ملجم إنه متأول مأجور

أهل السنة يلعنون ابن ملجم لما فعله بعلي رضي الله عنه. فهذا الهيثمي إذا ذكره (مجمع الزوائد٦/٢٤٩) كذلك الحافظ المنذري (الترغيب والترهيب٣/٢٤) والطبراني في (المعجم الكبير ١/٩٧) وانظر معجم البلدان لياقوت الحموي (١/٩٣) والشوكاني في (نيل الأوطار٧/٤٣).

قال الحافظ «ولم يذكره أحد في الصحابة إلا القاضي حسين بن محمد الشافعي شيخ المراوزة وذكر أبياتا لعمران بن حطان يرثي فيها ابن ملجم لقتله عليا قائلا:

يا ضربة من تقي ما ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش سلطانا

فرد عليه أبو الطيب الطبري قائلا:

إني لأبرأ مما تذكره عن ابن ملجم الملعون بهتانا

(ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة٥/٣٠٣).

وذكر أهل السنة بأنه من رؤوس الخوارج (سير أعلام النبلاء٤/٢١٤).

بل وصفوه بأنه من أهل الأهواء (التاريخ الكبير للبخاري٦/٤١٣) وقالوا: ليس في الأهواء ثقة مثل عمران.

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهم. فكيف يكون ثقة بعد ذلك عندانا.

ولله الحكمة البالغة فقد كان هذا القتل ردا على الكذابين القائلين بأن الأئمة عندهم علم ما كان وما يكون.

هل البسملة من القرآن؟

ﷺ منشأ الخلاف هو هل يبدأ ترقيم الآيات من البسملة أم من أول آية في السورة؟ وليس الخلاف حول هل نترك البسملة في القرآن أم نزيلها؟ كيف يمكن ذلك والبسملة ثابتة في النسخة الأصل؟ فلم يشكك أحد في كونها ثابتة في الأصل. ولا دعا أحد إلى إزالتها من القرآن.

ﷺ والدليل على ذلك أن البسملة مثبتة في كل السور ما عدا سورة التوبة ولم يخالف أحد في ذلك.

ﷺ ويمكن للبسملة أن تثبت في القرآن ولا تكون آية منه مثلما أن الله أمرنا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن فهل تصير الاستعاذة آية أم لا؟

ﷺ هذه الشبهة أطلقها الرافضة الذين ثبت عندهم تصريح كبار أئمتهم بالإجماع الرافضي على وقوع التحريف في القرآن إلا من شذ كالمرتضى والصدوق والطبرسي لمصلحة سد باب الطعن على القرآن حتى لا يقال كيف يجوز أخذ القواعد والأحكام من كتاب محرف؟ (الأنوار النعمانية٢/٣٥٧).

ﷺ فسارعوا إلى القول بأن الخلاف حول البسملة يلزم منه التحريف للحاجة الماسة عندهم للحصول على أية ذريعة تشغل أهل السنة وتصرفهم عن اتهام تصريح علماء الرافضة بأن القرآن محرف.." (١)

٢١٤. "أحدهما: أن الله خالق كل شيء، وثانيهما: أن هذا النوع من المخلوقات الذي يسمى الإنسان يعمل أعماله بقصد واختيار ولكنه غير تام القدرة ولا الإرادة ولا العلم ... " ١.

وهذا هو الصحيح فإن إرادة الإنسان ومشيئته تابعة لإرادة الله تعالى ومشيئته ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ ٢.

ولكن كيف يجمع رشيد رضا بين الحقيقتين اللتين كانت سبب الخلاف بين المعتزلة والأشعرية، ورجح كل فريق منهم جانبا منها . كمت أشرت في التمهيد لهذا الفصل .؟ يقول رشيد رضا جوابا على هذا السؤال: "وجملة القول أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه يخلق بقدر ونظام وحكمة وسنن، لا أنفا ولا جزافا ولا عبثا وأنه حكيم في خلقه وأمره ... وأنه خلق الإنسان قادرا مريدا فاعلا بالاختيار ... وأن أفعاله تستند إليه ويوصف بها لأنها تقوم به وتصدر عنه باختياره، لا لأنه محلها، وتنسب إلى مشيئة الله من حيث انه هو الخالق له بهذه الصفات، والمعطي له هذا التصرف والاختيار ... " ٣. ويقول: "ومعنى خلقه تعالى للأشياء بقدر وتقديره لكل شيء: أنه خلقها بنظام جعل فيها الأسباب على قدر المسببات عن علم وحكمة ولم يخلق شيئا جزافا ولا أنفا كما يزعم منكرو القدر ... " ٤. والحق أن

(١) شبهات الرافضة حول الصحابة رضي الله عنهم وردها ٢/١٢٦

الشيخ رشيد قد تعثر في هذا الموطن الصعب. إن المعتزلة لم ينكروا الأسباب ولم ينكروا أن القدرة التي يقوم بها الإنسان بأعماله هي من الله تعالى، إنهم يرون أن الإنسان يعمل بقدرة من الله سبحانه ٥، ولكن الخلاف في خلق الله تعالى لأفعال العباد الاختيارية على الحقيقة مع أنها واقعة منهم بالبداهة: وأهل السنة يقولون: "إن كل ما في الوجود مخلوق له تعالى، خلقه بمشيئته وقدرته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي

---

١ تفسير المنار (٤/ ١٩٥)

٢ سورة التكوير، الآية (٢٩)

٣ تفسير المنار (٨/ ٥٦)

٤ المصدر نفسه (٨/ ٢٨٦)

٥ انظر: زهدي حسن: المعتزلة (ص: ٩٢ ـ ٩٥)." (١)

٢١٥. "وكلام السلف والأئمة، ومن نقل مذهبهم، في هذا الأصل كثير، يوجد في كتب التفسير والأصول ... " (١) .

ومن خلال هذا العرض المفصل لأقوال الطوائف في هذه المسألة يتبين أن الخلاف فيها ليس مع الأشاعرة فقط، كما أن القائلين بها ليسوا أهل السنة فقط، وإنما وافقهم عليها – ولو بشكل مجمل – كثير من أتباع الطوائف المختلفة.

ومنشأ الخلاف في هذه المسألة من جهتين:

الجهة الأولى: المضافات إلى الله وأنواعها، وقد ذكر شيخ الإسلام أن المضافات إلى الله في الكتاب والسنة ثلاثة أقسام:

أحدها: إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل علم الله، وقدرة الله سواء كان إضافة اسمية مثل استخيرك بعلمك، أو بصيغة الفعل مثل ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ (البقرة: من الآية١٨٧) ، أو الخبر الذي هو جملة أسمية مثل: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ (البقرة: من الآية٢٨٢) .

الثاني: إضافة المخلوقات، مثل: بيت الله، ناقة الله، رسول الله.

الثالث: ما فيه معنى الصفة والفعل، مثل قوله: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (النساء: من الآية١٦٤)

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة تامر محمد محمود متولي ص/٦٠١

وقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ (يس:٨٢) وقوله: ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾ (البقرة: من الآية٩٠) وغيرها.

فالقسم الأول: لم يختلف أهل السنة والجماعة في إنه قديم غير مخلوق، وقد خالفهم بعض أهل الكلام في ثبوت الصفات لا في أحكامها.

والقسم الثاني: لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق.

أما القسم الثالث: وهو ما فيه معنى الصفة والفعل - فالناس فيه على قولين:

---

(١) انظر: درء التعارض (٢/١٨-٢٠) .." (١)

٢١٦. "بحسب ما معه، كما يثبت له من العقاب بحساب ما عليه" (١) ، وقالوا إنه يجتمع عند الإنسان طاعة ومعصية وإيمان وكفر أصغر، وإسلام ونفاق عملي، كما تجتمع له الولاية والعدواة بحسب ما معه من الطاعات والمعاصي. فهو في الدنيا - إذا فعل كبيرة - مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخر تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. مع أنه لا بد من الوعيد المجمل لأهل الكبائر، فيدخل بعضهم النار لكن لا يخلدون فيها (٢) .

وهذا تحليل دقيق جدا لمنشأ الخلاف كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، ولا شك أن النصوص متواترة في إثبات أنه قد يجتمع عند الإنسان إيمان ونفاق، وآثار الصحابة والتابعين دلت على ذلك، بل أجمع السلف على ذلك. ومن العجيب أن الأشعري حكى في بعض كتبه الإجماع على أنه لا يجتمع في العبد إيمان ونفاق، وتابع على ذلك أصحابه، يقول شيخ الإسلام: "والأصل الذي أوقعهم في هذا اعتقادهم أنه لا يجتمع في الإنسان بعض الإيمان وبعض الكفر، أو ما هو إيمان وما هو كفر، واعتقدوا أن هذا متفق عليه بين المسلمين، كما ذكر ذلك أبو الحسن وغيره، فلأجل اعتقادهم في هذا الإجماع وقعوا فيما هو مخالف للإجماع الحقيقي، إجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة" (٣) . والنصوص الدالة على مذهب السلف وأنه يجتمع عند الإنسان طاعة ومعصية وإيمان ونفاق صريحة جدا (٤) .

٢- أن من قال قولا في الإيمان، ثم لم يلتزم لوازمه الباطلة بقي بين أمرين، إما مناقضة قوله، أو التزام القول الباطل المجمع عليه.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٢٠٢/٣

(١) شرح الأصفهانية (ص:١٤٤) ت مخلوف.

(٢) انظر: في تفصيل ما سبق المصدر السابق (ص:١٣٧-١٣٨، ١٤٣-١٤٤) ت مخلوف، الفرقان بين الحق والباطل - مجموع الفتاوى - (٤٨/١٣-٥٠) ، وشرح حديث: إنما الأعمال بالنيات - مجموع الفتاوى ٢٧٠/١٨-٢٧١، ٢٧٦) ، والإيمان (ص:٢٠٩-٢١٠، ٣٧٦) ط المكتب الإسلامي، والإيمان الأوسط - مجموع الفتاوى - (٥١٠/٧-٥٢٠) ، وفيه مناقشة مفصلة لهذه المسألة.

(٣) الإيمان (ص:٣٨٧) ط المكتب الإسلامي.

(٤) انظر: المصدر السابق (ص:٣٣٧-٣٨٧) ط المكتب الإسلامي، والإيمان الأوسط - مجموع الفتاوى - (٢١٥/٧-٥٢٢) ، والاستقامة (٤٣٠/١) ، ومجموع الفتاوى (١٧٣/١١-١٧٥، ٢٩٥/١٩-٢٩٦).." (١)

٢١٧. "الفصل الرابع: الرد على من زعم أنه لا منافاة بين العلمانية وبين الدين

ما أكثر المغالطات التي توجه إلى خلط المفاهيم، إما على جهل بالحقائق، وإما عن معرفة وطوية مبيتة شريرة.

ومن العجيب حقا أن يتبجح منشئوا العلمانية بأنها حرب على الأديان، وتذويب للمجتمعات في بوتقة اللادينية، ثم يأتي بعد ذلك من يحاول تغطية هذا المفهوم الواضح فيدعي التوافق بينهما، بحجة أن العلمانية والدين يجتمعان في الحث على نبذ التأخر -حسب مفهومهم، وعلى الحث على العلم والاكتشافات والتجارب، والدعوة إلى الحرية، أو أن العلمانية تخدم جوانب إنسانية، بينما الدين يخدم جوانب إلهية ... إلخ.

ترهاتهم، ولنا أن نقول للمغالطين: إن العلمانية لم تظهر في الأساس إلا بسبب الخلافات الشديدة بين دينهم وبين علمانيتهم، وإلا فما الذي أذكى الخصومة بين الدين والعلمانية عندهم؟

نعم، إن الدين الصحيح يدعو إلى نبذ التأخر والأخذ بالعلم ومعرفة الاكتشافات والبحث والتجارب، ويدعو إلى الحرية، لكنه لا يجعل تلك الأمور بديلا عن الخضوع للتعاليم الربانية، أو الاستغناء عنها

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٣٥٣/٣

وإحلال المخترعات محل الإله –عز وجل، بل يحكم على كل من يعتقد ذلك بالإلحاد ومحاربة الدين علنا، وهو ما سلكته العلمانية بالنسبة لنبذها للدين.." (١)

٢١٨. "الباب التاسع عشر: الاشتراكية

مدخل

...

الباب التاسع عشر: الإشتراكية

- تمهيد:

قامت الاشتراكية في القرن التاسع عشر الميلادي في البداية بسبب النزاع المرير بين العمال وأصحاب العمل في طلب العمال زيادة أجورهم وامتناع أصحاب العمل، في الوقت الذي كان أصحاب العمل يستغلون العمال أسوأ استغلال دون رحمة بهم، ثم ظهرت الآلات الصناعية الحديثة، فإذا بأصحاب العمل يفضلونها على الأيدي العاملة لوفرة إنتاجها وقلة ما تحتاج إليه من العمال لتشغيلها، فاستغنى أصحاب العمل عن كثير من العمال فنشأت البطالة ومشاكلها العددية، ومن هنا نشأت فكرة التوجه بالمطالبة بإصلاح هذه الأحوال الاقتصادية المضطربة والحد من التنافس بين الناس في الاستئثار بالمال وجمعه الذي يسبب الصراع بينهم، وكان هذا في الوقت الذي أفلس فيه الدين النصراني عن حل أي مشكلة من هذا النوع، بل كان عاملا قويا في ظهور اللادينية والمذاهب المنحرفة المختلفة التي قامت من أول يوم على محاربة كل الأوضاع السيئة التي كانت قائمة، واستبدالها بأنظمة جديدة تكفل للناس حقوقهم وحرية معيشتهم، وكان من بين تلك الأفكار ظاهرة القول بالاشتراكية ومحاربة الملكية الفردية، وما جاء بعدها من أهوال الشيوعية.

والواقع أن الاشتراكية أقبح مذهب عرفته البشرية وأشدها شرا على الإطلاق، فقد ذهب ضحية تطبيقها مئات الملايين قتلا وجوعا وتشريدا في أوروبا البعيدة عن أراضي المسلمين وعن عقائدهم وتاريخ حضارتهم، أيدتها اليهودية العالمية، وبذلت كل ما استطاعته لتأييدها وتقوية نفوذ أتباعها لما عرفوه من عواقبها الوخيمة على الجوييم، وتم لهم ذلك وانتشر." (٢)

---

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها د. غالب بن علي عواجي ٦٨٧/٢

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها د. غالب بن علي عواجي ١٠٢٢/٢

٢١٩. "٤٩٦ الفصل الأول: معاني أسماء الماسونية.

٥٠٠ الفصل الثاني: التعريف بالماسونية.

٥٠١ الفصل الثالث: الماسونية والأديان.

٥٠٤ الفصل الرابع: الماسونية ونظام الجمهوريات والأحزاب.

٥٠٦ الفصل الخامس: السرية في الماسونية.

٥٠٧ تعقيب.

٥٠٨ الفصل السادس: متى ظهرت الماسونية وكيف نشأت؟

٥١٤ الفصل السابع: سبب الخلاف في وقت ظهور الماسونية.

٥١٦ الفصل الثامن: حقيقة الماسونية وصلتها باليهودية.

٥٢٠ الفصل التاسع: الدخول في الماسونية.

٥٢٤ الفصل العاشر: هل توجد شروط على الداخل في الماسونية؟

٥٢٦ الفصل الحادي عشر: القسم الماسوني.

٥٢٩ الفصل الثاني عشر: الدرجات في الماسونية.

٥٣٢ الفصل الثالث عشر: الرموز الماسونية وأسرارها وأقسامها.

٥٣٧ ملاحظات على أسرار الماسونية.

٥٣٩ الفصل الرابع عشر: كيف فضح سر الماسونية؟

٥٤١ الفصل الخامس عشر: فرق الماسونية.

٥٤٣ الفصل السادس عشر: مراحل ظهور الماسونية.

٥٤٦ الفصل السابع عشر: وسائل انتشار الماسونية.

٥٥٧ الفصل الثامن عشر: أماكن انتشار الماسونية.." (١)

٢٢٠. "﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ .

فلا نحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿هذا بلاغ للناس﴾ ١.

وقال الله تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ ٢.

وقال الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ٣ ٤.

---

(١) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها د. غالب بن علي عواجي ١٣٤٤/٢

وأظنه نقل عن شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي٥.

وليس سبب الخلاف بين الشيخ وخصومه هو تقسيم التوحيد إلى نوعين وبيان الفرق بينهما كما يذهب إليه الدكتور العثيمين٦، وإنما الخلاف بينه وبين خصومه، هو أنه يقول: "ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه: ﴿فلا تدعو مع الله أحدا﴾ (الجن: ١٨) ، وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قل إني لا أملك لكم ضرا ولا

---

١ سورة إبراهيم الآية (٥٢) .

٢ سورة العنكبوت الآية (٥١) .

٣ سورة الحشر الآية (٧) .

٤ شرح ملا علي بن سلطان محمد القاري الحنفي المتوفى ١٠١٤ على الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص ٩-١٠.

٥ انظر: شرح الطحاوية ص ٨٨-٨٩.

٦ الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره للدكتور عبد الله العثيمين ص ١٠٨- ١١٠.." (١)

٢٢١. "كل منهما من معنى؛ لأن الإجمال سبب الخلاف.

ويدور موضوع الكتاب حول الكلام على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق والرد على الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق، والكلام حول أفعال العباد وبيان أنها مخلوقة، وإظهار القول الفصل في تلفظ العبد، وتلاوته للقرآن الكريم هل هي مخلوقة أم لا.

ولقد سار البخاري -رحمه الله- في كتابه هذا على المنهج التالي:

١- سوق الأحاديث والآثار بأسانيدها مع بيان وجه دلالة الحديث، أو الآية على ما يستنبطه من عقائد.

٢- ذكر أقوال الفرق الضالة، ورد عليها بأدلة الكتاب والسنة.

٣- الجواب عما تشابه على أهل البدع، وذلك بعرض الآية على نظيرها، أو الاستدلال باللغة، أو النقل عن السلف.

٤- بيان تاريخ الفرق، ورأي السلف في أساطينها وكبرائها.

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٣٠٨/١

ثالثا: محتويات الكتاب:

يمكن التعرف على محتويات الكتاب من خلال عرض مختصر لأهم مباحثه، وهي على النحو التالي:

١- عقيدة السلف في القرآن، والكلام على عقيدة الجهمية، وحكم من قال: إن القرآن مخلوق.

٢- ذكر بعض معتقدات الجهمية والمعتزلة، ونقل ما يدل على إنكار السلف عليهم.

٣- الكلام على خلق أفعال العباد.." (١)

٢٢٢. "٩ - أخرج ابن ماجة من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة، إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي» (١).

المسألة الثانية: أقوال العلماء في رؤيته - صلى الله عليه وسلم - في المنام

دلت الأحاديث السابقة على أن رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام حق، وأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل به عليه الصلاة والسلام، ولكن يبقى السؤال هل كل من ادعى أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام تكون رؤياه حقا؟

الجواب: أن في هذه المسألة خلافا بين العلماء.

تحرير محل النزاع:

اتفق العلماء على أن من رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - على صورته التي ثبتت في السنة أن تلك الرؤيا حق، لأن الشيطان لا يتمثل به، واختلفوا فيمن رآه على غير صورته هل رؤياه حق أو لا؟

وسبب الخلاف بينهم هو: هل للشيطان أن يتمثل في غير صورة النبي ويدعي أنه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو لا؟ أو بمعنى هل يمكن أن يرى النبي - صلى الله عليه وسلم - على غير صورته؟

اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن رؤيته عليه الصلاة والسلام في المنام صحيحة سواء كانت على صفته المعروفة أو غيرها.

وبهذا قال الإمام النووي (٢) رحمه الله، وأبو العباس القرطبي رحمه الله حيث

---

(١) طريق الهداية مبادىء ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة محمد يسري إبراهيم ص/٤٢٠

(١) سنن ابن ماجة (٢/ ١٢٨٤).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/ ٢٥).." (١)

٢٢٣. "وأن مؤمنيهم اختلف في دخولهم الجنة ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين. والظاهر دخولهم الجنة كما بينا، والعلم عند الله تعالى. اهـ. منه بلفظه.] (١) .

- إذا كان الجن من نار فكيف تحرقه النار؟

قال صاحب التتمة - رحمه الله -: [وقوله تعالى: ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ ، وهي الشهب من النار، والشهب النار، كما في قوله: ﴿أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون﴾ ، والرجوم والشهب هي التي ترمى بها الشياطين عند استراق السمع، كما في قوله تعالى: ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ .

وقوله: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ .

وهنا سؤال، وهو إذا كان الجن من نار، كما في قوله: ﴿وخلق الجآن من مارج من نار﴾ ، فكيف تحرقه النار؟

فأجاب عنه الفخر الرازي بقوله: إن النار يكون بعضها أقوى من بعض، فالأقوى يؤثر على الأضعف، ومما يشهد لما ذهب إليه قوله تعالى بعده ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ والسعير: أشد النار.

ومعلوم أن النار طبقات بعضها أشد من بعض، وهذا أمر ملموس، فقد تكون الآلة مصنوعة من حديد وتسلط عليها آلة من حديد أيضا، أقوى منها فتكسرها.

كما قيل: لا يقل الحديد إلا الحديد، فلا يمنع كون أصله من نار ألا

---

(١) - ٧/٤٠١: ٤٠٧، الأحقاف / ٣١، وانظر أيضا (٧/٧٥٦ - ٧٥٧) (الرحمن / ٤٦) .." (٢)

٢٢٤. "وطلحة والزبير وعائشة وأبو موسى وعمرو بن العاص ومعاوية، وأمثالهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين سهل العتيبي ص/٣٥٦

(٢) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ٢/٤١٠

فالحكم على هؤلاء بالكفر هو أصل عقيدة الخوارج، وحادثة التحكيم هي التي أثارت ذلك كما سبق.
وهذه هي البداية المهمة في تاريخهم، وفي تاريخ نشأة الإرجاء وانبثاقه من أصولهم، كما ألمحنا.
فمنذ أن خرجت "المحكمة الأولى" على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وهي تجاهر بتكفيره، وظل الإجماع بينهم منعقدا على ذلك، وانطلاقا منه تم الاتفاق على اغتيال رؤساء المختلفين في الفتنة، وهو ما فعله ابن ملجم وأخفق فيه صاحباه.
لكن هذه البدعة الشنيعة، ترعرعت وتطورت واتخذت فيما بعد مجالا تطبيقيا وتفصيليا أوسع من مجرد اعتقاد كفر الصحابة المختلفين، ومن هنا كان طبيعيا أن يظهر الخلاف بينهم تبعا لمنهجهم السابق إيضاحه.
وكان من أعظم أسباب تطور الفكرة واتساع مجالها، نجاحهم في حكم بعض الأقاليم في زمن الخلاف بين ابن الزبير والأمويين، حيث أسسوا لهم "دار إسلام وهجرة" – بزعمهم – ومن هنا ظهرت دواعي الأحكام الفرعية والتطبيقية التي تتخذ عندهم – كما أسلفنا – منزلة الأصول والعقائد.
ولهذا فسوف نتتبع تطور العقائد والخلافات، من خلال العرض التاريخي للأحداث المسببة لها، وبذلك نصل إلى معرفة أشمل وأعمق، لا سيما عن الاتجاهات الثلاثة، وخاصة "الاتجاه التوسطي".
ويبدأ تاريخ الخلاف بينهم بما أحدثه "نافع بن الأزرق الحنفي"، زعيم الخوارج الأزارقة حول الحكم على "الدار" وعلى معاملات أهلها، وهي القضية التي أصبحت أصلا من أصول الخوارج المنهجية قديما وحديثا، إذ سائر الأحكام عندهم مترتبة عليها.
وكان سبب الخلاف الذي أحدثه نافع، أن امرأة من الخوارج عربية تزوجت أحد الخوارج من الموالي، فأنكر أهلها عليها ذلك، فأخبرت زوجها، وخيرته بين اللحاق بمعسكر نافع للدخول في دار الإسلام، أو الاختفاء، أو الطلاق، فخلى سبيلها، وأخذها أهلها فزوجوها ابن عم لها لم يكن على رأيها.." (١)

٢٢٥. "الرأي مخدوع في القول كما وصفوه بأنه كان على جانب كبير من الغفلة"١.
ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم حيث اتفقا على خلع الرجلين فخلعهما أبو موسى واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية كل هذه الصفات الذميمة يحاول المغرضون إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الآلاف من المسلمين

(١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي سفر الحوالي ص/٢٠٧

وكل ذي لب يعلم أن المسلمين لا يسندون الفصل في هذا الأمر إلى أبي موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما إلا لعلمهم بما هما عليه من الفضل، وأنهما من خيار الأمة المحمدية ومن أكثرهم ثقة وورعا وأمانة فكيف يصف الغافلون هذين الرجلين بما وصفوهما به من المكيدة والخداع وضعف الرأي والغفلة، ولكن تلك الأوصاف هي أليق بمن تفوه بها من أهل الأهواء، وقد تجاهل أولئك الواصفون لأبي موسى وعمرو بما تقدم ذكره أمورا لو دققوا النظر فيها لاستحيوا من ذكر تلك الأوصاف وتلك الأمور هي:

الأمر الأول: أنهم تجاهلوا أن معاوية لم يكن خليفة ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه أو تثبيتها له.

الأمر الثاني:

أن سبب النزاع هو أخذ الثأر لعثمان رضي الله عنه من قتلته فلما طلب علي البيعة من معاوية "اعتل بأن عثمان قتل مظلوما وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته وأنه أقوى الناس على الطلب بذلك والتمس من علي أن يمكنه منهم ثم يبايع له بعد ذلك"٢ ومعنى هذا أن معاوية كان مسلما لعلي بالخلافة لأنه طلب منه بوصفه الخليفة تسليم القتلة، أو إقامة الحد عليهم باعتباره أمير المؤمنين، وكان

---

١. انظر تاريخ الطبري ٥/٧٠، الكامل ٣/٣٣٢-٣٣٣، مروج الذهب ٢/٦٨٤-٦٨٥.

٢. فتح الباري ١٢/٢٨٤.." (١)

٢٢٦. "أقول: هذه كتب أهل السنة التي ألفت في سبب الخلاف بين الأئمة وعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه.

إنهم اختلفوا في مسائل في الفروع، وانظروا كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لسيخ الإسلام ابن تيميه. وفصلا كاملا في: "كتاب أصول الأحكام " لابن حزم، وغيرهما مما ألف في هذا الشأن.

أما المعاصرون من الكتاب والدعاة، وأصحاب العواطف، فلم يرجعوا إلى كتب العلماء بالشريعة الإسلامية وأحكامها، وينظروا في الكتب التي ألفوها وبينوا فيها الأمور التي اختلف فيها علماء الأمة الإسلامية، علماء أئمة أهل السنة والجماعة، حتى يستنيروا بفهمهم لنصوص الكتاب والسنة وبعلمهم، ويعرفوا المسائل التي اختلف العلماء فيها، وسبب الخلاف فيها.

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٧٢٢/٢

وإنما دفعتهم عواطفهم إلى أن يلهجوا بهذه القاعدة التي جمعت تحت شعارها المتناقضات.
ومن الأدلة على ما أقول: هذا الكتاب والكاتب.
وإذا نظرنا إلى هذين السطرين اللذين جاء بهما في هذا التقديم للطبعة الثانية ص ٥، المخالفة لتقديم الطبعة الأولى.
فهو يقول فيها:
" ... مادام تجمعنا كلمة التوحيد، ووحدة الرسالة، والإيمان بالكتاب والسنة".
وأقول إن الباحث أو المؤلف: قد أورد في كتابه هذا من معتقدات هذه الطائفة ما ينقض قاعدته هذه- فالإيمان بالكتاب وهو القرآن، يؤمن أهل السنة والجماعة بأنه محفوظ لم يحرف ولم يبدل، بل ولا نقص منه حرف واحد، لقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: ٩.
والمؤلف أثبت عن هذه الطائفة القدامى منهم والمعاصرين قولهم: إن." (١)

٢٢٧. "أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ، فقلت له: إذا أرجع. ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخفى حالي عن الشيخ فقال لي أراك منقبضا؛ فما سبب انقباضك؟ فقلت سببه أنكم انتقلت من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه طعن في شيخي وطريقته. فقال لي: لا بأس عليك، أنا أيضا كنت تجانيا وخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلس انتقادا لها أو طعنا فيها. وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم إلى المناظرة، فإن ظهرت علي رجعت إلى الطريقة، وإن ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا. فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة.
مناظرة حول ادعاء الشيخ التجاني في أنه رأى النبي في اليقظة:
قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة لا مناما، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على

(١) عرض ونقد دراسة نقدية وتوجيهية لكتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ص/٥١٥

باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى." (١)

٢٢٨. "بالدراية، وما ذكره عن كل منهما صحيح، غير أنه سمى أحدهما تفسيرا والآخر تأويلا، وتفسير القرآن الكريم يجمع الاثنين.

وقد بين ابن تيمية سبب الخلاف في فهم المراد بالتأويل فقال: " أصل ذلك أن لفظ التأويل فيه اشتراك بين ما عناه في القرآن، وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف، وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن" (١) ثم بين أن معاني التأويل ثلاثة، فقال: " التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا، وهذا ـ والله أعلم ـ هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله، ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره: القول في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهل التأويل في هذه الآية، ونحو ذلك، ومراده التفسير.

والمعنى الثاني في لفظ السلف، وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقا، هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الشئ المخبر به (٢) .

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/٤٧٤

(١) ... دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ١ / ١٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ ـ ١١٠.." (١)

٢٢٩. "واعلم أن هذا هو أساس الافتراق بين السنة والشيعة، فالمشرع عندنا واحد، والمشرعون عندهم ثلاثة عشر، وخروجهم عن هذا الإجماع الذي أجمع عليه المسلمون من أن المشرع هو الله ورسوله لا غيرهما، جعلهم يختلفون مع سائر المسلمين في كثير من الأحكام والفروع الفقهية، فهذا منشأ الخلاف، ومن هنا يعالج، وليس الحل بأن نلجأ إلى حل الخلافات الفرعية، ما دام الأصل مختلفا فيه، والمنبع متنازعا عليه.

ثانيا: علمهم الغيب:

إن من المجمع عليه بين أهل الإسلام، أن الله استأثر بعلم الغيب، فلا يطلع على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسله المبلغين عنه، قال تعالى «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا» وقال «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله» وقال على لسان نبيه نوح «ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب» وعلى لسان محمد صلى الله عليه وآله «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير»

فهؤلاء أولوا العزم من الرسل يتبرؤون من دعوى علم الغيب، لكن الشيعة تزعم أن أئمتها تعلم الغيب، وبالغت في ذلك كأشد ما تكون المبالغة، ووضعت في ذلك من الأحاديث ما يتعب أقلام الكتبة، ويكل أنامل الحسبة.." (٢)

٢٣٠. "الفصل الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في ذكر القائلين بهذا القول.

المبحث الثاني: في ذكر أدلتهم وشبههم والرد عليهم.

المبحث الثالث: في بيان موقفهم من النصوص الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه.

---

(١) مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع علي السالوس ص/٣٣١

(٢) الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية حامد الإدريسي ٢٥/١

الفصل الرابع: في سبب الخلاف في هذه المسألة ونشأته وهل هو حقيقي أو لفظي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في ذكر سبب نشوء الخلاف في هذه المسألة.

المبحث الثاني: في الكلام على الخلاف في هذه المسألة هل هو عائد إلى الخلاف في تعريف الإيمان أو لا.

المبحث الثالث: في بيان هل الخلاف في هذه المسألة لفظي أو حقيقي.

أما الباب الثالث: فتحدثت فيه عن حكم الاستثناء في الإيمان.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول: بيان قول أهل السنة والجماعة في الاستثناء." (١)

٢٣١. "الفصل الرابع: في سبب الخلاف في هذه المسألة ونشأته هل هو حقيقي أو لفظي

*

...

الفصل الرابع:في سبب الخلاف في هذه المسألة ونشأته وهل هو حقيقي أو لفظي

بعد هذا العرض لأقوال الطوائف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، بقي مباحث متفرقة في هذه المسألة حول الخلاف فيها ونشأته وهل هو جوهري أو لفظي؟ فقد آثرت أن أعقد لها هنا فصلا مستقلا لأستوفي فيه بحثها حسب المقدور، مستعينا بالله.

وعداد هذه المسائل المبحوثة هنا ثلاث، أفردت لكل مسألة منها مبحثا مستقلا وهي كما يلي:

المبحث الأول: في ذكر سبب نشوء الخلاف في هذه المسألة ز

المبحث الثاني: في ذكر هل الخلاف في هذه المسألة عائد إلى تعريف الإيمان أو لا؟

المبحث الثالث: في الكلام عن الخلاف في هذه المسألة هل هو لفظي أو حقيقي؟." (٢)

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٢

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٢٥

٢٣٢. "الرب – جل وعلا (١) –.

ومنشأ الخلاف بين الكلابية ومن وافقهم وبين أهل السنة: في مسألة الخلق: هل هو المخلوق أم غيره؟ والفعل هل هو المفعول أم غيره؟

وقد ذكر الإمام البخاري (ت – ٢٥٦هـ) رحمه الله وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن نزاع الناس في أفعال الله اللازمة كالمجيء والإتيان والاستواء، والأفعال المتعدية كالخلق والإحسان والعدل ناشئ عن النزاع في هذه المسألة (٢) .

فالمأثور عن السلف أن الخلق غير المخلوق، وأن الفعل غير المفعول، فالفعل إنما هو إحداث الشيء، والمفعول هو الحدث، لقوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض﴾ [الأنعام:٧٣] فالسماوات والأرض مفعول، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول، فتخليق السماوات فعله؛ لأنه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل، وإنما تنسب السماء إليه لحال فعله، ففعله من ربوبيته حيث يقول: ﴿كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] .

والفعل صفة، والمفعول غيره، ويدل على هذا قول الله – تبارك وتعالى – ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ [الكهف: ٥١] ، ولم يرد بخلق السماوات نفسها، وقد ميز فعل السماوات عن السماوات، وكذلك فعل جملة الخلق.

قال البخاري (ت – ٢٥٦هـ) رحمه الله: (قال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفاعيلنا مخلوقة لقوله – تعالى –: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات

---

(١) انظر في عرض الأقوال عند ابن تيمية: رسالة في الصفات الاختيارية (ضمن جامع الرسائل ٢/٣ – ٤، ١٢) ، شرح حديث النزول ص٤٥٦ – ٤٥٧، الفرقان بين الحق والباطل ص٨٦، درء تعارض العقل والنقل ٢/١٤٧، وانظر في أقوال الناس على وجه التفصيل: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢٦٨، ودرء تعارض العقل والنقل ٢/١٨ – ٢٠.

(٢) انظر: خلق أفعال العباد للبخاري (ضمن عقائد السلف جمع النشار وطالبي ص٢٠٩ – ٢١٣) شرح حديث النزول لابن تيمية ص٤٠١.." (١)

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٢٤٨

٢٣٣. "وأما المقدمة الرابعة: وهي قولهم: الخلق الحادث يفتقر إلى خلق آخر: فقد منعهم من ذلك عامة الناس ممن يقول بحدوث الخلق من أهل الحديث والسلف وأهل الكلام والفلسفة والفقه والتصوف وغيرهم.

وقالوا: إذا خلق السماوات والأرض بخلق لم يلزم أن يحتاج ذلك الخلق إلى خلق آخر، ولكن ذلك الخلق يحصل بقدرته ومشيئته، وإن كان ذلك الخلق حادثا. ثم إنهم يسلمون أن المخلوقات محدثة منفصلة بدون حدوث (خلق) ، فإذا جاز هذا في الحادث المنفصل عن المحدث، فلأن يجوز حدوث الحادث المتصل به بدون (خلق) بطريق الأولى والأحرى.

وأما المقدمة الخامسة: وهي قولهم: إن ذلك يفضي إلى التسلسل، فيجاب عنهم بأن التسلسل هنا هو التسلسل في الآثار، وهذا قد اتفق السلف على جوازه، والبرهان إنما دل على امتناع التسلسل في المؤثرين، فإن هذا يعلم فساده بصريح المعقول، وهو مما اتفق العقلاء على امتناعه (١) .

وصلة مسألة الخلق هل هو المخلوق أم غيره؟ بالصفات الاختيارية هي في بدء خلق السماوات والأرض حين خلقها الله عز وجل ولم تكن قبل ذلك، وقد تجددت له صفة الخلق وهي ما يسميه المتكلمون (حلول الحوادث بالرب) ، فيقولون: إن الصفة (الخلق) هي مخلوق منفصل عن الله عز وجل لا يقوم بذات الرب، فالخلق هو المخلوق، والصفة مخلوقة، وقال بعضهم: إن الصفة قديمة بأعيانها لازمة لذات الرب كما تقدم بيانه (٢) .

ومن منشأ الخلاف - أيضا - بين أهل السنة ومخالفيهم في الصفات

---

(١) انظر للتفصيل: الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٢٣٠ - ٢٣١، شرح حديث النزول لابن تيمية ٤٠٣ - ٤١٣.

(٢) انظر: مناقشة المتكلمين حول مسألة (التجدد) في صفات الله عند ابن تيمية: رسالة في الصفات الاختيارية (ضمن جامع الرسائل ٢/ ١٧ - ١٨) ، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ١٢٢، ٢٣٨، ٣٩٥.." (١)

٢٣٤. "قال النووي (ت - ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه الحديث: (فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة، ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولفضل الصلاة فيها)

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٢٥١

. (١)

ونقل الحافظ ابن حجر (ت – ٨٥٢هـ) رحمه الله خلاف العلماء في حكم شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة كزيارة القبور وغيرها، فنقل عن أبي محمد الجويني (٢) حرمة شد الرحل إلى غيرها عملا بظاهر الحديث.

وقال بعض الشافعية بعدم الحرمة، ولم يقل أحد من العلماء المعتبرين بسنية السفر لزيارة القبور. (٣)

وذكر الشيخ مرعي الحنبلي (٤) رحمه الله منشأ الخلاف بين القولين، وهو من احتمالي صيغة الحديث (لا تشد الرحال) ، فهي ذات وجهين: نفي ونهي.

فمن لحظ معنى النفي فقط فقد فهم أن معنى الحديث هو: نفي فضيلة واستحباب السفر إلى غير المساجد الثلاثة، وبنى على ذلك جواز قصر الصلاة إن كان السفر مسافة قصر.

ومن لحظ معنى النهي، فالمعنى حينئذ يحتمل التحريم أو الكراهة للسفر إلى غير المساجد الثلاثة، وهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منهيا عنه، واحتمال التحريم هو الأصل في النهي (٥) .

---

(١) شرح النووي صحيح مسلم ١٠/١٠٦.

(٢) الجويني: عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، أبو محمد، عالم في اللغة والفقه والتفسير، سكن نيسابور، ت سنة ٤٣٨هـ.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢٥٠، طبقات الشافعية للسبكي ٥/٧٣.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر ٣/٦٥.

(٤) مرعي الحنبلي: مرعي بن يوسف بن أبي بكر أحمد بن أبي بكر الكرمي المقدسي، العالم العلامة المدقق المفسر، أحد أكبر علماء الحنابلة بمصر في وقته، من مصنفاته: دليل الطالب، وغاية المنتهى وغيرهما، ت سنة ١٠٣٣هـ.

انظر في ترجمته: الأعلام للزركلي ٨/٨٨، معجم المؤلفين لكحالة ١٢/٢١٨.

(٥) انظر: شفاء الصدور ص١٠٥.." (١)

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٣١٨

٢٣٥. "ولا جان﴾ ١؛ لأنه يشير إلى أن في الجنة جنا يطمثون النساء كالإنس"٢.

ثم قال -رحمه الله-: "إن آية الأحقاف نص فيها على الغفران والإجارة من العذاب، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة بنفي ولا إثبات، وآية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة؛ لأنه تعالى قال فيها: ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ "٣.

وقال -رحمه الله- أيضا: وحاصل هذه المسألة: أن الجن مكلفون على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين، وهو صريح قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ٤، وقوله تعالى: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون﴾ ٥، وقوله تعالى: ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ ٦، إلى غير ذلك من الإيات. وأن مؤمنيهم اختلف في دخولهم الجنة، ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين. والظاهر دخولهم الجنة كما بينا، والعلم عند الله"٧.

ولا ريب أن ما قاله الشيخ الأمين -رحمه الله- هو الحق في هذه المسألة لما نقله من النصوص الصريحة في دخول مؤمنهم الجنة. ويؤيده أيضا قوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملو﴾ ٨؛ فهو دليل على ثوابهم وعقابهم. وقال تعالى: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف

---

١ سورة الرحمن، الآية [٤٧] .

٢ دفع إيهام الاضطراب، الملحق بأضواء البيان ٢٦٣/١٠.

٣ سورة الرحمن، الآية [٥٦] .

٤ سورة هود، الآية [١١٩] .

٥ سورة الشعراء، الآيتان [٩٤-٩٥] .

٦ سورة الأعراف، الآية [٣٨] .

٧ دفع إيهام الاضطراب ٢٦٨/١٠. وانظر: أضواء البيان ٤٠١/٧، ٧٥٦، ٧٥٧.

٨ سورة الأحقاف، الآية [١٩] .." (١)

---

(١) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان ٣٦٠/١

٢٣٦. "عنه، وكرّم وجهه -مع أمه، بمقتضي قوله – تعالي-: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

غير أن هذا الأدب الراقي ما توافر لكثيرين، ممن لم يستقوا من معين النبوة وفيض المنهج الرباني القويم، فبينما كان علي – رضي الله عنها- يتحرك مبتعداً عن الدار، إذ به يسمع رجلين من شيعته من أهل الكوفة يرفعان عقيرتيهما، ليسمعهما من في الدار، فقال أولهما: جُزيت عنا أمنا عقوقاً! وقال الآخر: يا أمنا توبي لقد خطئت! فالتفت علي إلي القعقاع ابن عمرو، وأمره بأن ينزل عقوبة علي من تطاول علي زوج رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أم المؤمنين، الصدّيقة المطهرة، فقام القعقاع بضرب كل منهما مائة سوط.

○ أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- يردّ عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة: ثم تعافت عائشة – رضي الله عنها –، فجهز لها علي موكباً حافلا، ليعيدها وأتباعها إلي المدينة معززة مكرمة، وخرج معها ابن أختها عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – وقد تماثل للشفاء. وفي غرة رجب من سنة ست وثلاثين هجرية، خرج أمير المؤمنين وولداه الحسن والحسين- رضي الله عنهم – وأهل البصرة جميعاً، يودعون موكب أم المؤمنين وهم مترجلون إجلالاً لها، فنظرت عائشة- رضي الله عنها – من خلف ستر هودجها، وبدأت تخطب في القوم، بعد أن حمدت الله وصلت علي رسوله، ودعت لأهل البصرة، ودعوا لها ثم قالت: «يا بني لقد تعتّب بعضنا علي بعض استبطاء واستزادة . تريد أن سبب الخلاف بين الصحابة، هو أن البعض استبطأ الثأر من قتلة عثمان، والبعض استزاد المهلة حتى تتم البيعة . فلا يعتدن أحد منكم علي أحد بشيء بلغه من ذلك، – والله – إن علياً عندي علي معتبتي لمن الأخيار». فقال علي: «يا أيها الناس صدقت أمكم – والله – وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة» (١).

وهكذا كان اللقاء الأخير بين علي وعائشة – رضي الله عنهما وأرضاهما – لقاء ندياً يحمل طيب التآلف العلوي، الذي لا يعرفه ولا يدرك كنهه إلا من خلصت قلوبهم لله، وأما من تمتلئ نفوسهم حقداً علي الإسلام والمسلمين، فلا يمكنهم إدراك هذه الذرى الشامخة، وقد كان

---

(١) الطبري: ج٥ ص٥٨٢، تحت تجهيز علي عائشة من البصرة.." (١)

---

(١) أمنا عائشة ص/١٠٩

٢٣٧. "واستمر هذا النهج في الصدر الأول من السلف الصالح رحمهم الله..وهذا الاستمرار في ذلك الأسلوب من التعامل البسيط مع النصوص نجده في موقف الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله عندما سئل عن الاستواء في قوله تعالى:﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (طه/٥) فأجاب: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معلوم، والسؤال عنه بدعة.

ولكن التطورات اللاحقة التي دخلت فيها الأمة الإسلامية، من فتوح البلدان، وفتور الإيمان، وظهور الفرق، وترجمة الفكر اليوناني وغيره، وتشعب الشعوب، واختلاف الطبائع والعادات والأمراء، والموروثات القديمة لكثير من الداخلين في الإسلام حديثاً، كل ذلك ولد نقاشاً حاداً حول مواضيع شتى لم تكن مطروحة للبحث من قبل.

الخلافة ... منشأ الخلاف الأول:

نشأ خلاف حول الخلافة أول الأمر، فظهرت فرقة تزعم مناصرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى غالت في ذلك، فقام في وجههم الخوارج، وتوسط أناس بين هؤلاء وهؤلاء، وظهرت المرجئة والقدرية التي تزعم أن أفعالها كلها إنما هي بقضاء الله وقدره، كما ظهرت الجبرية.

قال عطاء بن يسار ومعبد الجهني (يلخصان فكرة القدرية للحسن البصري) هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله.

ولقد تصدى علماء الملة الإسلامية الأفذاذ من التابعين للرد على القدرية، وكثر التأليف في هذا المجال قبل نهاية القرن الهجري الأول. كما ينقل ذلك الدكتور محمد الزحيلي .كرسالة أبي الأسود الدؤلي المتوفعام (٦٩هـ) ويحي بن معمر المتوفى عام (٨٩هـ) وعبد الله بن إسحاق الحضرمي المتوفى عام (١١٧)هـ وغير هؤلاء.

خلافات في قضايا إيمانية:." (١)

---

(١) التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف ص/٣٧

٢٣٨. "و الفتنة العاشرة حدثت بين الحنابلة و الأشاعرة بدمشق ، أثارها الفقيه تقي الدين بن محمد الحصني الشافعي الأشعري (ت٨٢٩هـ) ، بتعصبه للأشعرية و كثرة حطه على الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فكان يُبالغ في ذلك علانية أمام طلابه بدمشق ، فأحدث فتنا مذهبية كثيرة بين الطائفتين لم أعثر على تفاصيلها(١).

و الفتنة الأخيرة-أي الحادية عشرة- هي أيضا حدثت بين الحنابلة و الأشاعرة بدمشق سنة ٨٣٥هجرية ، أثارها الشيخ علاء الدين البخاري عندما تعصب على الحنابلة ، و بالغ في الحط على شيخ الإسلام ابن تيمية و صرّح بتكفيره ، فأحدث بذلك فتنة كبيرة بين الطائفتين ، و تعصب جماعة من علماء دمشق لابن تيمية ، منهم الحافظ ابن ناصر الدين الذي صنف كتابا في فضل ابن تيمية و ثناء العلماء عليه ، و أرسله إلى القاهرة ، فوافق عليه غالب علماء مصر ، و خالفوا ما زعمه العلاء البخاري في تكفيره لابن تيمية و من سماه شيخ الإسلام ؛ ثم صدر مرسوم من السلطان أمر بعدم اعتراض أي أحد على مذهب غيره ، فهدأ الوضع و سكن الحال(٢).

و ختاما لما ذكرناه ، يتبين أن التعصب المذهبي بين الطوائف السنية أوصلها إلى المصادمات الدامية و الفتن الشنيعة ، بسبب الخلافات الفقهية و العقيدية القائمة على التعصب المذموم . فعبّرت تلك الفتن بوضوح على ما كانت تُكنه كل طائفة للأخرى من حقد و كراهية و حسد و تعصب . كما أنها دلّت على أنها لم تكن حوادث شاذة معزولة ، و إنما كانت حوادث جماعية كثيرة ، من ورائها جماعات مُنظمة و موجهة ذات أهداف محددة .

سابعا الفتن المذهبية بين أهل السنة و الكرّامية :

---

(١) ا بن حجر : إنباء الغمر ، ج ٢ ص: ٥٤٤ . و ابن العماد الحنبلي : شذرات ، ج ٩ ص : ٢٧٤ .

(٢) ابن العماد الحنبلي: نفس المصدر ، ج ٩ ص: ٣٠٧ .." (١)

٢٣٩. "حدثت فتن مذهبية بين أهل السنة و الطائفة الكرّامية المجسمة(١)ببلاد خُراسان ، بسبب الخلافات المذهبية و التعصب لها ، الأمر الذي أوصلهم إلى المنازعات و المصادمات ، أذكر منها فتنتين ، الأولى حدثت بنيسابور سنة ٤٨٩هجرية ، بين الشافعية و الحنفية من جهة و بين الكرامية

---

(١) التعصب المذهبي في التاريخ ص/٩١

من جهة أخرى ، فكان على رأس الشافعية أبو القاسم بن إمام الحرمين الجويني ، و على رأس الحنفية القاضي محمد بن احمد بن صاعد ، و على رأس الكرامية مقدمهم محمشاد ، فنعاون الشافعية و الحنفية على الكرامية ، و حدثت فتنة كبيرة مدمرة ، خُرّبت فيها مدارس الكرامية ، و قُتل فيها خلق كثير من الكرامية و غيرهم(٢). و هذه الفتنة أوجزها المؤرخ ابن الأثير ، و لم يذكر تفاصيلها و لا أسبابها ، و إن كان ظاهرها يُشير إلى أنها حدثت بسبب الخلافات المذهبية و التعصب لها .

---

(١) ينتسبون إلى المتكلم أبي عبد الله محمد بن كرّام السجستاني(ت قرن:٣هـ) ، و هم يعتقدون التجسيم و التشبيه في صفات الله تعالى . أنظر : عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق ، ص: ٢١٥ و ما بعدها .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ص: ٢٣ .." (١)

٢٤٠. "و هذه الفتنة أسبابها الظاهرة فقهية ، لكن خلفياتها المحركة لها هي أسباب أصولية عقيدية ، تعود إلى النزاع القائم بين الحنابلة و الأشاعرة بسبب الخلاف في مسائل الصفات و الإيمان و غيرها ، لذا وجدنا المؤرخيّن ابن الجوزي ،و ابن كثير يطلقان على الشافعية اسم الأشاعرة في هذه الفتنة(١). كما إن حدوث الاقتتال بينهما هو دليل آخر على إن الأسباب عميقة ، و لا تقتصر على مسألة فقهية فرعية مختلف فيها .

و الصواب في مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة ، هو أن رسول الله –عليه الصلاة و السلام– جهر و أسر ، و كان إسراره أكثر من جهره ، و مذهب جمهور الفقهاء عدم الجهر ؛ و قد صحّت في ذلك أحاديث كثيرة مروية في الصّحاح و المسانيد . و أما أحاديث الجهر بالبسملة فقد ضعّفها بعض المحققين(٢).

---

(١) ابن الجوزي: نفس المصدر، ج ٨ ص: ١٦٣.و ابن كثير: نفس المصدر، ج ١٢ ص: ٦٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد ، حققه شيعب الأرناؤوط ، و عبد القادر الأرناؤوط ، ط١٤ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦، ج ١ ص: ٢٧٢ . و بدر الدين الحنبلي:

---

(١) التعصب المذهبي في التاريخ ص/٩٢

مختصر فتاوى ابن تيمية ، حققه حامد الفقي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د ت ، ص: ٤٦ و ما بعدها . و ابن يوسف الزيلعي : نصب الراية ، ج ١ ص: ٣٥٥ . و الألباني: تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، ط٣ دار الراية ، السعودية ، ١٤٠٩هـ ص: ١٦٩ .." (١)

٢٤١. "و أما الأسباب التي أوصلته إلى التآمر على السنيين و خيانتهم ، فيبدو لي أن أهمها : العداء القديم القائم بين العباسيين و الشيعة العلويين بسبب الخلافة . و الثاني هو تعصبه المذهبي و حقده الدفين على السنيين و بغضه لهم ، خاصة بعد فتنة ٦٥٥ هجرية ، بين السنة و الشيعة التي جعلته يعزم على الانتقام لطائفته بالتعاون مع المغول ،و التآمر معهم على السنيين(١).

لكن هذه الفتنة ليست مسوغا و لا مبررا لما أقدم عليه ابن العلقمي و لا تعفيه من المسؤولية ، لأن الفتن بين الطائفتين ليست جديدة ، فهي سجال بينهما منذ عدة قرون ، تبادل فيها الطرفان النصر و الهزيمة . كما أن هذه الفتنة –أي فتنة ٦٥٦ هـ– يتحمل هو و طائفته مسؤوليتها ، لأنهم تسببوا فيها ، و ذلك أنه استغل نفوذه في الدولة –لطول مدة وزارته– في نشر الرفض و التعصب على أهل السنة ، الأمر الذي جعل السنيين يتصدون له و لطائفته بحزم(٢).

---

(١) الذهبي : السير ، ج ٢٣ ص: ١٨٠ ، ٣٦٢ .

(٢) نفسه ، ج ٢٣ ص: ٣٦٢ . و السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٨ ص: ٢٦٣ .." (٢)

٢٤٢. "وحول علاقة إيران بدول آسيا الوسطى أكدت الباحثة خديجة عرفة محمد، على أن أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر كانت فرصة ذهبية لإعطاء مبرر وغطاء شرعيين لتواجد الولايات المتحدة في المنطقة، وكان رفض إيران هذا التواجد واضحاً في أكثر من موقف، أهمها موقفها من التصريح الذي أدلى به مساعد وزير الخارجية الأمريكي في ٢٤ آب أغسطس ٢٠٠١ حول دعم واشنطن لأذربيجان في خلافها مع إيران حول نفط بحر قزوين، وكان لهذا أثره البالغ لاحتواء دول المنطقة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً منذ هذه الأحداث وحتى الآن. وحول العلاقات الإيرانية – الأفغانية أكدت الباحثة ولاء البحيري على أن أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١

---

(١) التعصب المذهبي في التاريخ ص/١٤٣

(٢) التعصب المذهبي في التاريخ ص/٢٤٨

قدمت فرصة ذهبية لا نظير لها كي تتمكن الحكومة الإيرانية عن طريق إدانتها الصريحة القاطعة لكل الأطراف المشتبه في ضلوعها في هذه الجريمة حتى يتم تهيئة الأجواء لترميم العلاقات مع أمريكا في وقت ملائم، وحول العلاقات الإيرانية بالاتحاد الأوروبي يرى الباحث أحمد طاهر أن هذه العلاقات اتسمت بالتوتر بشكل واضح بسبب الخلافات الجوهرية من وجهة نظر الجانبين إلا " أن إدراك الطرفين للأهمية المتبادلة لكل منهما دفع كل طرف إلى مزيد من الإهتمام بالطرف الآخر خصوصاً منذ عام ١٩٩٧ مع وصول الرئيس محمد خاتمي إلى السلطة والذي لقي ترحيباً أوربياً بسياساته الانفتاحية وعلاقاته الخارجية القائمة على التقارب وإزالة التوتر، وتسعى إيران كذلك للاستفادة من الدور الأوروبي اقتصادياً وعلى المستوى الدولي وتسعى إيران بجدية إلى ملء الفراغ الاستراتيجي في الخليج وآسيا الوسطى والقوقاز والاستعداد لاحتمالات المواجهة مع قوى كبرى وإقليمية خصوصاً في ضوء التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى من البوابة التركية، كما تسعى لتقويض أو تقليل الهيمنة الأمريكية على المنطقة، والعمل على بناء تحالفات قوية مع دول آسيا الوسطى والدول الخليجية ودول الشرق الأوسط.

---". (١)

٢٤٣. "رحمة الله بالأمة أن يسر ووسع عليها في دينها، ومن هذا التيسير جعل النصوص تقبل أوجهاً متعددة لتتناسب مع تعدد الأزمنة والأمكنة واختلاف الحالات، ولكي لا ينحصر الناس في مذهب واحد.

هذا وقد ألف الفقهاء كتباً كثيرة في بيان أسباب الخلاف الفقهي والتي يمكن أن نجملها فيما يلي:-

١ - عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

٢ - عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

٣ - اعتقاده أن الحكم منسوخ.

٤ - الاختلاف في بعض أصول وقواعد الفهم والاستنباط والترجيح.

هذه رؤوس وعناوين كبيرة لأسباب الخلاف بين الأئمة، وكل واحدة من هذه الأقسام تنقسم إلى أنواع مختلفة، والذي أرمي إليه هنا بيان أن سبب الخلاف لا يقتصر فقط على ثبوت النص من عدمه كما يظنه بعض تلاميذ الكتب، والذين ينظرون إلى الخلاف الفقهي نظرة استنكار واستغراب مما حدا ببعضهم للتهجم على علماء الإسلام وعظمائه الذين أنار الله بهم دياجير الجهل، ونتج عن وهمهم هذا

---

(١) التقرير الإستراتيجي الإيراني ص/١١

الدعوة إلى الرجوع المباشر للقرآن والسنة، والاستنباط منهما مباشرة دون الاهتداء والاقتداء بفهم علماء الإسلام، والدعوة إلى ما أسموه بفقه الكتاب والسنة محاولين إزالة ومحو نعمة ومنقبة لهذا الدين وهي المدارس الفقهية، والتراث الفقهي الضخم الذي لا يدانيه تراث.

إن هذا ولا شك تصرف خاطئ إذ جرهم هذا إلى الوقوع في أخطاء فادحة كان منها الوقوع في تكفير المسلمين، وقد ساعد على نشوء واستمرار هذه الأخطاء –إضافة إلى قطع الصلة بين النص وفهم علمائة– الدعوة إلى الفهم الظاهري للنصوص دون التعمق في فهمها فأصبحوا مثلاً يقرؤون النصوص التي تصف العاصي بالكفر فلا يرجعون لما قاله علماء الإسلام، لأنهم في نظرهم مخطؤون باختلافهم، فيعتمدون على أنفسهم في الفهم والذي يعتمدون فيه على قاعدة الظاهر والمتبادر للذهن وغيرها من التعلات التي لن يتعبوا كثيراً في البحث عنها.

هذا وقد عذر الأئمة بعضهم بعضاً في هذا الخلاف، واعتُذر لهم في مخالفة بعضهم لبعض أو مخالفة ما ثبت في السنة ومن هذه الاعتذارات " أن يكون احدهم لم يبلغه الحديث، أو بلغه من." (١)

٢٤٤. "الباب الأول

كتاب التوحيد

الشرح

فيه مسائل :

المسألة الأولى :

المصنف قال كتاب التوحيد ثم سرد الآيات ولم يقل باب ، في حين أن الذي بعده قال باب فضل التوحيد ، فأيهما الباب الأول هذا أم باب فضل التوحيد ؟ وهذا هو سبب الخلاف في عدد أبواب كتاب التوحيد ، هل هذا الذي معنا هنا هو مقدمة وما بعده هو الباب الأول أم هذا هو الباب الأول ، ولأقرب من صنيع المصنف أنه اعتبر هذا هو الباب الأول وباب فضل التوحيد هو الباب الثاني فقد قال في تاريخ نجد ص ٤٠٨ (في رسالة كتبها إلى بعض طلابه تكلم فيها عن تفاضل الناس في التوحيد والعلم فقال : إن هذه المسالة من أكثر ما يكون تكرارا عليكم وهى التي بُوّب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد) اهـ والباب الثاني هو الذي فيه ذكر التفاضل ، هذا الأمر الأول .

٢. أنه جعل لهذا الباب مسائل مثل غيره فعامله معاملة الأبواب الأخرى .

---

(١) التكفير حكمه وضوابطه والغلو فيه ص/٦٨

٣. أنه قال في مسائل الباب الثاني ، سعة فضل الله ، وفي مسائله ذكر كلمة فضل ثلاث مرات وهى تطابق ما قال في كلامه السابق .

٤. وأيضا الشيخ سليمان في التيسير ص٥٠ في الباب الثاني قال : (لما ذكر (يقصد المصنف) معني التوحيد (يقصد في الباب الذي قبل باب فضل التوحيد) ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب) اهـ وكلام الشيخ سليمان يُشعر أن قبل باب فضل التوحيد قبله باب أول .

المسألة الثانية : ما هو قَصْد المصنف من هذا الباب ؟

تكلم الحفيد سليمان في ص٥٠ من كتاب التيسير في قصد المصنف من هذا الباب فقال : (ولما ذكر المصنف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب) . اهـ

وعلى ذلك فالحفيد سليمان يرى أن الباب الأول بوّب لبيان معنى التوحيد، أما الحفيد الثاني والشيخ حمد فلم يذكرا ماذا قصد المصنف من هذا الباب حسب علمي ، لكن الذي يظهر لي أن المصنف لم يقصد هذا المعنى الذي اختاره الحفيد سليمان وذلك حينما تنظر لمسألتين :." (١)

٢٤٥. "وتعريف الشرك الأصغر كما ذكرنا أجمع عليه أئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى آخرهم ، وذهب بعض أهل العلم إلى أوسع من ذلك فجعلوا الشرك الأصغر : أن تجعل نصيباً لغير الله مالم يبلغ شرك العبادة وكل وسيلة من قول أو فعل تؤدي إلى الشرك الأصغر. فجعل كل وسيلة تؤدي للأكبر هي أصغر وهذا هو اختيار الشيخ السعدي رحمه الله في كتابه القول السديد قال(وأما الشرك الأصغر فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة وكالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك) .

والأقرب من التعاريف التعريف الأول لأنه هو الذي تدل عليه اللغة والنصوص . والله أعلم

ويظهر الخلاف بين التعريفين في المثال الآتي:

مثل الغلو في الصالحين كمدحهم مدحاً زائداً فيه غلو وهو الإطراء بألفاظ فيها غلو(وليس فيها ألفاظ شركية) فعلى التعريف الأول هذا المثال من باب البدع وعلى التعريف الثاني من الشرك الأصغر .

مثال آخر : عبادة الله عند القبور كمن دعا الله عند قبر رجل صالح أو ذبح لله عند قبر رجل صالح فعلى التعريف الأول هو من البدع وهو الذي اختاره أئمة الدعوة وهو قول الجمهور وعلى التعريف الثاني هو من الشرك الأصغر . والمثال الأخير بالذات سوف نذكره إن شاء الله في باب لا يذبح لله

---

(١) الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد ص/١٢

في مكان يذبح فيه لغير الله ،وفي باب من تبرك بشجر أو حجر وسوف نذكر هناك ما هو الراجح في هذا المثال بالذات هل يسمى بدعة أو شركاً أصغر ؟ ،

لكن يظهر لي والله أعلم أن أئمة الدعوة عندهم ثلاثة أشياء : شرك أكبر ، شرك أصغر كما ذكرنا سابقا وعندهم شئ آخر يُسمونه شوائب الشرك أو شعب الشرك فربما الخلاف فيم يُسمى شوائب الشرك فهل هو قسيم للشرك الأصغر أو قسم منه ربما هذا هو سبب الخلاف بين القولين ، وقد ذكرنا في باب تحقيق التوحيد ما يتعلق بشوائب وشعب الشرك ،

الآية الأولى :." (١)

٢٤٦. "ونتيجة لهذا التفرق لم يهدأ بال أهل الفساد من ترك الأمر على ما هو عليه، بل استغلوا كل مناسبة لتأجيج نار الفرقة والخلاف والنفخ في نار الفتنة والسوء فانتهزوا سانحة خروج طائفة من الصحابة من مكة إلى العراق، فأسرعوا بتهييج العواطف أن هؤلاء أرادوا الشر، وتفرقة صفوف الأمة.. ووقعت معركة الجمل.

معركة الجمل:

تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.

ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:

لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلاً في قتلهم من كلا الجيشين أفراداً، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سبباً في نشوب الحرب بين الصفين.

---

(١) الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد ص/٨٨

معركة صفين:

لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعاً وتطلعاً للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.." (١)

٢٤٧. "فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأساً، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل علياً على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.

كان معاوية يريد إنفاذ القصاص في قتلة خليفة المسلمين المغدور به عثمان، وقد أشيع عند أهل الشام أن الخليفة علياً امتنع عن معاقبة وملاحقة قتلة عثمان عند توليه خلافة المسلمين، وبدلاً من ذلك قاتل أهل الجمل، وترك أيضاً المدينة وسكن الكوفة وهي معقل قاتلي عثمان، وأن في جيشه من هو متهم في قتل خليفة المسلمين السابق.

وحرصاً من أمير المؤمنين على توضيح الأمر، وإبطال المزاعم المنشورة، ولمّ شتات المسلمين، أرسل كتاباً لمعاوية، مبيناً فيه إثبات أحقية خلافته كما ثبتت خلافة من قبله مع تبرؤه من دم عثمان رضي الله عنه، فقال: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباع سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ، ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك، والسلام)([١٠]).

فلما نشب القتال بين صفوف المسلمين، وسالت الدماء فيما بينهم، انتهت المعركة برفع جيش معاوية رضي الله عنه المصاحف، طالبين التحكيم فيما بينهم بما يرضي الله عز وجل فرضي خليفة المسلمين علي عليه السلام بهذا الطلب ورجع إلى الكوفة، ورجع معاوية رضي الله عنه إلى الشام بشروط اتفق عليها الطرفان.." (٢)

---

(١) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ٢/٢٩

(٢) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ٢/٣٠

٢٤٨. "روايات مضطربة، فكيف الخروج من هذه الروايات؟؟
للخروج منها جاءت الرواية الفاصلة التي تقطع الإشكال كله، عن أبي جعفر أنه قال: [[إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين]].
وللأسف وجدت هذه الرواية آذانا صاغية، وقبلت هذه الرواية، وهم كما يرون عن أبي الحسن أنه قال: [[الشيعة تربى بالأماني منذ ٢٠٠ سنة]]. [وهذا في الكافي (٣٩٦/١)]
*سبب الخلاف في مدة غياب المهدي:
لماذا اختلفت هذه المدد؟ مرة بسبب قتل الحسين، ومرة بسبب أنهم أذاعوا الستر، ومرة يكذبون ما رووا، فيقولون: كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، والسبب في ذلك كله: هو أن الوضع والكذب يكون بحسب المناسبات، ثم باختلاف الأشخاص: ((وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا))[النساء:٨٢].
قال النعماني أحد علماء الشيعة الكبار وهو يصف حال الشيعة في ذلك الوقت -وهو من علماء القرن الرابع الهجري- يصف حال الشيعة في وقت الاضطراب والتخبط في الرويات يقول: (إن الجمهور منهم يقول في الخلف: أين هو؟ وأنى يكون هذا؟ وإلى متى يغيب؟ وكم يعيش؟ هذا وله الآن نيف وثمانون سنة، فمنهم من يذهب إلى أنه ميت، ومنهم من ينكر ولادته ويجحد وجوده ... ... ويستهزئ بالمصدق به، ومنهم من يستبعد المدة ويستطيل الأمر). [الغيبة (ص:١٠٣)]
ثم قال: (أي حيرة أعظم من هذه الحيرة التي أخرجت من هذا الأمر الخلق الكثير والجم الغفير ولم يبق إلا النذر اليسير؟ وذلك لشك الناس). [تطور الفكر السياسي (ص:١٢٠)]
وقال ابن بابويه: (رجعت إلى نيسابور وأقمت فيها، فوجدت أكثر المختلفين عليّ من الشيعة، قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة). [قاله في: كمال الدين في المقدمة]." (١)
٢٤٩. "وما ألفنا هذا الكتاب، وما جمعنا فيه النصوص إلا للتنبيه على أنه لا ينبغي التصور بأن أهل السنة بلغوا من الجهل إلى حد أن تلعب بهم، وبعقولهم، وقلوبهم، وعقائدهم وليدة اليهود وربيبة المجوس. وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية، ناقمة على الإسلام، وحاقدة على المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملة هذا الدين، والتابعون لهم

---

(١) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ١٨٧/٢

بإحسان، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، ثم قد بينا فيه عقيدتهم في القرآن، أساس الإسلام، وأصله، ورسالة الله التي جاء بها محمد النبي –الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام– إلى الناس كافة، ببيان واضح، مستند، مفصل، لم أسبق إليه بفضل الله ومنه.

كما أوضحنا أن الكذب (باسم التقية) هو شعار الشيعة قاطبة، ويعدونه من أطيب الأعمال، وأعظم القربات إلى الله.

وورد تحت هذه المواضيع الثلاثة مباحث ومواضيع كثيرة أخرى مثل: عقيدتهم في الله، وفي رسول الله، وأصحاب رسول الله، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعقيدتهم في أئمتهم، ورأي الأئمة فيهم، والأسس لهذا المذهب، والأصول التي قام عليها، وسبب الخلاف بينهم وبين أهل السنة من المسلمين.

ونرى في ذلك المختصر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقتهم، وحقيقة معتقداتهم، وحتى للسذج من الشيعة الذين اغتروا بحب أهل البيت وولايتهم، إن أرادوا الحق والتبصر؛ لأن أكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم حيث أمر صناديدهم بكتمان المذهب كما هو المكذوب على جعفر الصادق أنه قال لأحد شيعته: [[يا سليمان! إنكم على دين، من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله]].([١٢])

وقد التزمنا في هذا الكتاب أن لا نذكر شيئاً عن الشيعة إلا من كتبهم، وبعباراتهم أنفسهم، مع ذكر الكتاب، والمجلد، والصفحة، والطبعة، بحول الله وقوته، وكل ما ذكرناه من كتب الشيعة في هذا الكتاب، هي الكتب المستندة المشهورة والموثوقة عندهم([١٣]).." (١)

٢٥٠. "اختلفوا فيه أيما اختلاف، وضلوا فيه أيما ضلال، وكفر بعضهم بعضاً غاية التكفير بسبب الخلاف في ذلكم المهدي المنتظر، فقالت فرقة من فرق الإمامية –ومنها الاثنا عشرية التي في إيران حالياً–: إن المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقالوا: إن محمد بن الحسن هذا دخل السرداب، وسيخرج ليعيد العدل والقسط إلى البلاد وعلى العباد، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وسينتصر من كل من آذى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيعيد ويحيي الذين ظلموا آل بيت رسول الله، فيمزق شملهم ويفرق جمعهم.

ويقف على سردابه الإيرانيون الآن، يلطمون الخدود ويشقون الجيوب، رجالاً ونساءً وأطفالاً قائلين: يا محمد! يا مهدي! اخرج فقد ملئت الأرض ظلماً وجوراً، ويبكون وتسيل الدموع على خدودهم انتظاراً لهذا المهدي المنتظر، وفي الحقيقة أنه شخصية لا وجود لها من الأصل، لأن أبا هذه الشخصية

---

(١) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ١٤٩/٣

المزعومة كان عقيماً، لا يولد له ولد، وأثبت ذلك العلويون الذين ينتهي نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهم يسطرون أنسابهم أباً عن جدٍ إلى رسول الله، فسطروا في الحسن هذا أنه لم يولد له، ولكن لكي تبقى الإمامة ادعوا أن أمه -أم محمد - ولدت ولداً وأخبأته عن الناس، فاختفى في السرداب، وكانت الأموال تجمع له، فيأخذها الذين على أبواب السرداب، فاختلفوا فيما بينهم، فجاء رجل اسمه محمد بن نصير وأراد أن يكون هو محمد بن الحسن ليتقاضى الأموال، فرفضوا ذلك رفضاً شديداً، فانفصل هو بفرقة سماها النصيرة لرفضهم أن يكون هو الخليفة، وأن يكون هو البواب على السرداب، قالوا: وكان على السرداب رجل زيات، له دكان، فكان على الأموال التي تأتي للسرداب، فانشق هو عليهم وأنشأ فرقة أخرى تسمى النصيرة، وأصبح له أتباع ألهوه كما ألهت فرق الشيعة غيره.." (١)

٢٥١. "** الرافضة يعادون المسلمين ويوالون أعداءهم ** ... ٥٤٣
** وقفات هادئة مع أشرطة قصص من التاريخ ** ... ٥٤٥
** منهج أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة ** ... ٥٤٦
** أعداء الله وتشويههم لتاريخ المسلمين ** ... ٥٤٩
** خدعة التقريب بين السنة والشيعة وتورط الداعين إليها ** ... ٥٥٤
** شروط وضوابط الإمساك عما بين الصحابة ** ... ٥٥٨
** مآخذ على طارق السويدان في أشرطته المتحدثة عن الصحابة ** ... ٥٥٩
الباب الرابع- المهدي المنتظر ... ٥٦٨
نسخ عقيدة الإمام المعصوم وعودته عند الشيعة الجعفرية الرافضة ... ٥٦٨
المبحث الأول/ في عصمة أئمة الشيعة الرافضة وأدلتها والرد عليها ... ٥٦٩
المبحث الثاني/ في ولاية الفقيه وأدلتها ... ٥٨٢
الخاتمة ... ٥٨٩
المهدي المنتظر.. الحقيقة والخرافة ... ٥٩١
من هو المهدي المنتظر؟ ... ٥٩١
*عقيدة الشيعة في المهدي: ... ٥٩٣

---

(١) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ١٨١/٣

*أدلة الشيعة على وجود المهدي: ... ٥٩٣

*اختلاف الشيعة في المهدي: ... ٥٩٤

*بطلان وجود ولد للحسن العسكري: ... ٥٩٨

المهدي المنتظر عند الشيعة ... ٥٩٩

*اختلاف الشيعة في اسم المهدي: ... ٥٩٩

*اختلافهم في أم المهدي: ... ٥٩٩

*اختلافهم في تاريخ ولادة المهدي: ... ٦٠٠

*أشهر الروايات في ولادة المهدي: ... ٦٠١

*تضارب الروايات في مدة غيبة المهدي: ... ٦٠٢

*سبب الخلاف في مدة غياب المهدي: ... ٦٠٤

*ممن ادعى نيابة المهدي؟ ... ٦٠٨

*أدلة تدل على كذب من ادعى نيابة المهدي: ... ٦٠٨

*روايات مولد المهدي حديثياً وهي ست عشرة رواية: ... ٦١٣

*قصة المهدي مع الأسود الضارية: ... ٦١٣

الباب الخامس -تزييف التقريب ... ٦٢٦

التبشير بالتشيع ... ٦٢٦

تنبيهات مهمة ... ٦٢٧

وحدة المصدر في التلقِّي والتمذهب ... ٦٢٨

دعوة التقريب ... ٦٣٠

تاريخها: ... ٦٣٠

مراحل دعوة التقريب ... ٦٣١

وسائل نشر الرفض والتشيع: ... ٦٤٦

الطريق لوحدة المسلمين والتحذير من البدعة الكبرى: التقريب بين الحق والباطل ... ٦٥٠

حقيقة وحجم الصراع بين الأجنحة الثلاثة ... ٦٥٧

أضواء على الخطة السرية دراسة في الأسلوب الجديد لتصدير الثورة الإيرانية ... ٦٦٧

تصدير الثورة في مفهومها الجديد !!! ... ٦٧٢." (١)

٢٥٢. "فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمرهم وحاضرت في وسائل عديدة مختلفة والكلام ذو شجون وألوان والحديث ذو جوانب وأطراف وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه ومبناه وحول الفرق التي حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت وتفرقت وذهب بعضها بعيداً في التفرق والاختلاف كما قرب البعض منها ومن بين الفرق التي ذهبت إلى الشأو البعيد واختلفت مع الأمة اختلافاً جذرياً وفي الأصول والأساس الشيعة فكثر الكلام وكثرت الأسئلة ثم الأجوبة عليها وكانت كتبي الثلاثة عن هذه النحلة في متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحاضرين في تلك المجالس ولذلك كان البحث جدياً والأسئلة في صميم الموضوع . والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التي كشفت النقاب عنها وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التي طرأت عليها والفرق التي تفرعت عنها واقتناع الاخوة بما ذكرته في كتبي من عقائد القوم والاكتفاء بها والاحتياج الشديد إلى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم والتغيرات التي وقعت حتى جعلتهم يبعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة وكان ينتهي الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فورياً في ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التي انبثقت من التشيع فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا ومصمم على ما أظهروا الاحتياج إليه فلم أصل إلى بلادي في السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت في هذه الموضوع مؤجلاً كتابتي في الإسماعيلية مع شدة حرصي على إكمالها وإتمامها . ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولكل شيء أجل .

... فصرفت فيه جدي وجهدي ولم أعمل شيئاً في هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب و التسويد والتبييض في هذا .." (٢)

٢٥٣. "وما ألفنا هذا الكتاب، وما جمعنا فيه النصوص إلا للتنبيه علي أنه لا ينبغي التصور بأن أهل السنة بلغوا من الجهل إلى حد حتى تلعب بهم، وبعقولهم، وقلوبهم، وعقائدهم وليدة اليهود وربيبة المجوس.

(١) الرد على أصول الرافضة مفهرسا ١٥/٤

(٢) الشيعة والتشيع .. فرق وتاريخ ص/٣

وقد أثبتنا في مختصرنا هذا أن الشيعة ليست إلا لعبة يهودية، ناقمة على الإسلام، وحاقدة على المسلمين، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حملة هذا الدين، والتابعين لهم بإحسان، ومن سلك مسلكهم إلى يوم الدين، ثم وقد بينا فيه عقيدتهم في القرآن، أساس الإسلام، وأصله، ورسالة الله التي جاء بها محمد النبي، الصادق، المصدوق عليه السلام، إلى الناس كافة، ببيان واضح، مستند، مفصل، لم أسبق عليه بفضل الله ومنّه.

كما أوضحنا أن الكذب (باسم التقية) هو شعار الشيعة قاطبة، ويعدونه من أطيب الأعمال، وأعظم القربات إلى الله.

وورد تحت هذه المواضيع الثلاثة مباحث ومواضيع كثيرة أخرى مثل عقيدتهم في الله، وفي رسول الله، وأصحاب رسول الله، وأزواجه، أمهات المؤمنين، وعقيدتهم في أئمتهم، ورأي الأئمة فيهم، والأسس لهذا المذهب، والأصول التي قام عليها، وسبب الخلاف بينهم وبين السنة من المسلمين.

ونرى في ذلك المختصر كفاية لمن أراد أن يعرف حقيقتهم، وحقيقة معتقداتهم، وحتى للسذج من الشيعة الذين اغتروا بحب أهل البيت وولايتهم، إن أرادوا الحق والتبصر، لأن أكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم حيث أمر صناديدهم بكتمان المذهب كما هو المكذوب على جعفر الصادق أنه قال لأحد شيعته: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله ["الكافي في الأصول" للكليني وسيأتي بيانه مفصلاً في باب "الشيعة والكذب"].." (١)

٢٥٤. "فهذا سبب النزاع بين الأنبياء وبين قومهم، ولذلك قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وقد كانت أول كلمة يدعو الرسول إليها ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ولم يدعهم إلى اعتقاد أن الله الرب الخالق الرازق المحيي المميت لاستقرار ذلك في نفوسهم، ولو أرسل الله الرسل لتعليم قومهم وجود الله ووحدانيته في الخلق والرزق والإيجاد لم يحصل اختلاف بين الأنبياء وأقوامهم بتاتاً لاتفاقهم على ذلك بالضرورة الفطرية.

غير أن القرآن يلزم المشركين بما أقروا به من وحدانية الخالق كدليل على وحدانية المعبود سبحانه، بمعنى فإن اعتقدتم أن الله هو الخالق وأن ما سواه مخلوقون فلماذا لا تتوجهون إلى معبود واحد هو الخالق نفسه؟

وتأمل قوله تعالى ﴿ أمنّ خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات

---

(١) الشيعة والسنة ص/٨

بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله ﴾ فالله يذكر المشركين بما يعترفون به — من أنه خلق السماوات والأرض — ليصل بهم إلى ما ضلوا عنه وهو إفراده وحده بالعبادة والكفر بأصنام لا تنفع ولا تضر – ولهذا ختم الآية بقوله ﴿ إله مع الله ﴾ أي تعترفون أنه الخالق وحده وتشركون معه من لا يخلق شيئاً ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟!

وقوله ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ (فاطر٤) فهو يذكرهم بواحدنيته في الخلق ثم تنتهي الآية بتقرير وحدانيته في العبادة لا إله إلا هو.

إعراض عن الله وليس إنكاراً

إن الإلحاد الذي يعم الغرب إنما هو في الحقيقة إعراض عن الله تحدث الله عنه ﴿ وإذ أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ (فصلت٥١) ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ (الأحقاف٤٦) ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ (الأنبياء١) وهؤلاء ينسون إلحادهم إذا وقعوا في مأزق وشدة.." (١)

٢٥٥. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسالة واحدة إن ثبتت ثبتَت الطريقة كلها، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخْذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق حق وإن بَطُل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أو أبدأ أنا فقلت ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعليَّ الجواب فقال :

الأول : إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصِل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يُكلِّم أحدا يقظة بعد موته لكلَّم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت

---

(١) العقيدة الصحيحة شرط للنجاة ص/١٨

من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له : ___." (١)

٢٥٦. "حيدر : الروايات المبينة لما اقترفه معاوية وابنه ، تجاه أمير المؤمنين علي وابنه الحسين عليهما السلام ، لا تخفى على مسلم لبيب .

خالد : لنأخذ الأمر بروية ، وبتمحيص للأمور الشنيعة التي اقترفاها كما يُذكر عنهما وفق الآتي :

١ – معاوية كان أميراً على الشام منذ عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، ولم يُعزل من منصبه حتى خلافة علي رضي الله عنه .

٢ – هل ثبت بنقل صحيح أن معاوية كانت له مواقف سيئة أو أُنتقد عليها – قبل خلافة علي رضي الله عنه – وتطعن في إيمانه ؟

٣ – ما سبب الخلاف بين أمير المؤمنين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) ، أهو في ركن من أركان الإسلام أم في مسائل اجتهادية ؟

٤ – لو كان الخلاف بينهما في قضية لا يمكن لأمير المؤمنين التنازل ولا التراجع عنها ، فلِم فعل الحسن بن علي أمراً آخر غير ما صمم وقاتل عليه والده ؟

ويكون الحسن بهذا قد ترك أمراً عظيماً طواعيةً منه .

٥ – لَمَ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية كتابة الوحي (القرآن) الذي هو أعظم أمانة يؤتمن عليها ؟

حيدر : الإنسان يتغير ولربما يُبطن غير الذي يظهر إذا أحب الدنيا وركن إليها ، وهذا نجده واضحاً من قبل ابنه يزيد .

خالد : لندع الكلام الذي لا سند له غير الزعم ، فيجرنا من بعده إلى الفهم السيء ، فمعاوية رضي الله عنه قد لبث في حكم الشام فترة تزيد عن الثلاثين سنة ،

[١٢٤]

وأهل الشام كانوا أهل استقرار وحكمة وروية كحال أميرهم ، وليس مثل أهل الكوفة الذين قال فيهم

(١) المكتبة الشاملة – الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية ص/١٧

الحسن بن علي (الاحتجاج للطبرسي ٢/٢٩٠) : « أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي (متاعي) ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به أهلي ، خير من أن يقتلوني ، فتضيع به أهل بيتي وأهلي » .." (١)

٢٥٧. "٥ – العاطفة العمياء التي تقود المسلمين كبارهم وصغارهم ، بعيداً عن النظر إلى الحق والصواب بعقل متجرد عن الهوى .

حيدر : وما السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين ؟

خالد : الأمر بغاية الوضوح والإشراق :

١ – تحكيم الكتاب والسّنة النبوية الصحيحة ، وفق فهم مَن نزل في

[٢٠٠]

زمنهم القرآن وقيلت لهم الأحاديث .

٢ – تمييز الخبيث من الطيب في كل ما يَرِدُ علينا من روايات .

٣ – تمكين جانب العقيدة الصافية البعيدة عن الشرك والشوائب في قلوب الأبناء ، مع اجتناب كل ما يخدش هذا الركن من قول أو فعل أو اعتقاد .

٤ – العلم بأن أعداء الدين يريدون منا أن نتفرق ، وتذهب ريحنا ، فنكون لقمة سائغة لهم ، وباتحادنا نحمي ديننا وأعراضنا ومقدساتنا من الأعداء .

حيدر : أسال الله أن يجمعنا على طاعته وأن يوحد كلمة المسلمين .

خالد : آمين يا أرحم الراحمين .

[٢٠١]

وسائل التقارب

حيدر : وختاماً وبعد هذا الحوارالممتع ، أظن أن ملامح ووسائل التقارب بين الشيعة والسنة أصبحت ظاهرة ، وأن سبب الخلاف أصبح معلوماً ، فمن وجهة نظرك هل بالإمكان تحقيق التقارب في الواقع .

خالد : اتحاد صفوف المسلمين ، هدف عند كل مسلم غيور على دينه ، ويحب أن يعلو الإسلام في

---

(١) المناظرات وآداب الحوار ٤/٩٦

وجه كل حاقد ، ولا يمكن توحيد الصفوف إلا بتوحيد الذي في القلوب ، اعتقاداً وفعلاً وقولاً .
حيدر : الحمد لله أننا أهل قبلة واحدة ، وكل المسلمين يعرفون لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وأيضاً حب النبي وآله ملأ قلوبهم .." (١)

٢٥٨. "يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، وقال آخرون : بل ترجع لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبا في بعض حاجة له فقال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه) والحديث في الصحيح ، وسبب خلاف الصحابة هنا هو عدم بلوغ الدليل ومثال ذلك أيضا : اختلاف ابن عباس والمسور بن مخرمة في غسل المحرم لرأسة فقال المسور لا يجوز ذلك وقال ابن عباس بل هو جائز ، فأرسل ابن عباس عبدالله بن حنين — رحمه الله تعالى — إلى إبي أيوب الأنصاري — رضي الله عنه — قال: فوجدته يغتسل بين القرنين وهو يستر بثوب فسلمت عليه فقال : ما هذا ؟ فقلت أنا عبدالله بن حنين أرسلني إليك ابن عباس يسألك كيف كان رسول - صلى الله عليه وسلم - يغتسل وهو محرم ؟ قال : فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه ثم قال لإنسان يصب عليه الماء : أصبب فصبّ على رأسه فحرك رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر وقال : هكذا رأيت رسول - صلى الله عليه وسلم - يفعل . رواه الجماعة إلا الترمذي. وسبب الخلاف هنا بين المسور وابن عباس إنما هو لعدم العلم بالنص المثبت لذلك والله أعلم . ومن ذلك أن عمر — رضي الله عنه — وابن مسعود كانا يفتيان بأن المبتوتة لها السكنى والنفقة وخالفهم في ذلك بعض الصحابة حتى بلغهم حديث فاطمة بنت قيس وأن زوجها بت طلاقها فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا نفقة لها ولا سكنى) أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - فسبب الخلاف هنا عدم العلم بالدليل ومثال ذلك أيضا اختلاف الصحابة في دية الأصابع وكان عمر يرى اختلاف ديتها على حسب منافعها حتى بلغه النص القاضي بأن كل إصبع ديته خمس من الإبل فرجع عن قوله وقال بمقتضى النص ، والصور كثيرة فهذا بالنسبة للسبب الأول ، فإذا خالفك أحد فقل أنه لو بلغه النص لقال به لأنه." (٢)

---

(١) المناظرات وآداب الحوار ١٥٤/٤

(٢) المناظرات وآداب الحوار ٥٧/٦

٢٥٩. "محب للحق وجاد في طلبه فما أحلى هذه الكلمات النيرة الموجبة لبقاء الألفة والمحبة والاجتماع ، والتي هي من المواطئ التي نغيظ بها عدونا إبليس لعنه الله لأننا بذلك نسد عليه بابا من أبوابه ألا وهو التحريش بيننا كما في الحديث عن جابر في صحيح مسلم وكما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا التي هِيَ أَحْسَن إِنَّ الشَّيْطَان يَنزغ بَيْنَهُم ﴾ .

ومن الأسباب أيضا : أن يكون النص قد بلغه ولكنه لم يتحقق من جهة ثبوته أي أن الجهة التي وصله النص فيها ليست بمعتمدة عنده أو فيها وجه من أوجه الضعف وهذه الحالة تختلف عن التي قبلها فإن الأولى لم يبلغه النص أصلا ، وأما هذه فقد بلغه النص لكن القدح الآن في جهة الناقل للنص وهذا كثير جداً فإن بعض الأئمة قد يقبل راويا ويعد له بينما لا يقبله الآخر لوجود الجرح فيه ، فالأول يقول بمقتضى ما نقله ذلك الراوي لأنه من أهل الرواية المقبولة عنده ، والآخر لا يعمل بمقتضى ما نقله لأنه ليس من أهل الرواية عنده ،فالنص قد بلغ ولكن سبب الخلاف هو أن جهة ثبوته ضعيفة ، أي بلغه من جهة تحفها قرائن التضعيف ، من كونه لم يثق بناقله أو رأى أنه معارض لما هو أقوى منه ، ومثال ذلك أن فاطمة بنت قيس طلقها زوجها آخر ثلاث تطليقات ، فأرسل إليها وكيله شعيرا نفقة لها مدة العدة ولكنها سخطت الشعير وأبت أن تأخذه فارتفعا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبرها النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لا نفقة لها ولا سكنى وذلك لأنه أبانها ، ومن المعلوم أن المبانة ليس لها نفقة ولا سكنى إلا إذا كانت من أولات الأحمال إلا أن هذه السنة خفيت على عمر – رضي الله عنه – فكان يقول : لها النفقة والسكنى ، ولما بلغه حديث فاطمة رده باحتمال أنها يمكن أن تكون وهمت أو نسيت فقال : أنترك كتاب ربنا لقول امرأة لا ندري أذكرت أم نسيت ، أي أن أمير المؤمنين لم يطمئن إلى هذا الدليل لأنه تطرق إلى قلبه في هذا جهة من جهات." (١)

٢٦٠. "ومن الأسباب أيضاً: أن يكون النص قد بلغه ولكنه فهم خلاف المراد، فالنص موجود لكن اختلف العلماء فيه لاختلافهم في فهم المراد، وهذا باب واسع فإن الأفهام تختلف ويمثل لذلك باختلاف العلماء في فهم قوله تعالى " أو لامستم النساء " فقال جماعة المراد به اللمس باليد وفرعوا على ذلك أن مس المرأة ناقض للوضوء بينما فهم آخرون أن المراد به الجماع والأول رأي ابن مسعود والثاني رأي ابن عباس – رضي الله عنهم – أجمعين، فسبب الخلاف هنا هو خلافهم في فهم المراد من الآية، ولسنا بصدد الترجيح بين الأقوال ولكن المراد بيان هذا السبب، فالذي خالفنا في آية أو

---

(١) المناظرات وآداب الحوار ٥٨/٦

حديث بعد بلوغه إليه نعتذر عنه بذلك ونقول: لعله فهم من النص شيئا حسب اجتهاده ونظره ، ولا نظن به أنه خالف عنادا للنص – حاشا وكلا – ولكن الأفهام تختلف والأنظار تتفاوت ومثال أخر : وهو أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْط الأبيَض مِنَ الخَيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ﴾ عمد عدي بن حاتم إلى عقالين ووضعهما عند وساده وصار يأكل حتى تبينا إذا النهار قد طلع فذكر ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بالصواب ولم يأمره بالقضاء مما يدل على أنه معذور فالصحابي هنا فهم من النص فهما مخالفا للمراد فإذا كان ذلك متصورا في الصحابة فمن بعدهم من باب أولى لأن الصحابة – رضي الله عنهم – أكمل أفهاما وأزكى عقولا وأعمق علما ومثال آخر : لما انتهى النبي – صلى الله عليه وسلم – من غزوة الأحزاب جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام وأمره بالتوجه إلى بني قريظة فخرج – صلى الله عليه وسلم – على أصحابه وقال لهم : (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) فاختلف الصحابة في فهم المراد ، فمنهم من صلى العصر في الطريق لما حضر وقتها ومنهم من أخرها عن وقتها ولم يصلها إلا في بني قريظة فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك فلم يعنف على أحد من الطائفتين ، فالأولون." (١)

٢٦١. "فهموا الحث على الإسراع فقط والآخرون فهموا الأمر على ظاهره وأنه لا توقع صلاة العصر إلا في بني قريظة ، فسبب الخلاف هو الاختلاف في فهم المراد ولم يذكر عنهم أن بعضهم هجر بعضا ولا تراشقوا بالسباب حاشاهم عن ذلك بل هم إخوة متوافقون متآلفون متحابون متوادون يعذر بعضهم بعضا فيما يسوغ فيه الخلاف كهذه القضية وغيرها والله أعلم.

ومن الأسباب أيضا:أن يكون الحديث قد بلغه ولكنه منسوخ ولم يعلم بالناسخ ، فيكون الحديث صحيحا ومفهوما الفهم الصحيح لكنه منسوخ وهذا المجتهد لا يعلم بالناسخ فيعمل بالمنسوخ وذلك لعدم علمه بالناسخ فحينئذٍ له العذر لأن الأصل عدم النسخ حتى يرد الناسخ من طريق صحيح ومثال ذلك ما وقع في عهده عليه الصلاة والسلام من أنه لما حولت القبلة إلى البيت الحرام كان بعض المساجد المجاورة للمدينة كمسجد قباء وغيره يصلون لبيت المقدس وهذا خلاف في الوجهة وسببه عدم العلم بالناسخ فلما علموا به توجهوا وهم في الصلاة إلى البيت الله الحرام ، فإذا كان ذلك حال المساجد المجاورة للمدينة فما بالك بحال أهل الأماكن البعيدة كأهل مكة واليمن ومن في الحبشة لا شك أن الخبر لم يصلهم إلا بعد مدة من الزمن ، وكانوا يصلون في هذه المدة إلى بيت المقدس وسبب

---

(١) المناظرات وآداب الحوار ٦٢/٦

ذلك عدم العلم بالناسخ فهم معذورون في ذلك لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها والشرائع لا تلزم إلا بالعلم . ومثال آخر : وهو أن بعض الصحابة لم يزل يفتي بأن من جامع فأكسل أي لم ينزل لا يجب عليه إلا الوضوء ، ولم يعلم بأن ذلك كان رخصة في أول الإسلام وأنه نسخ بقوله (إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل) وبقوله (إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل) وهما في الصحيح ، فسبب الخلاف هنا هو عدم العلم بالناسخ ، ومثال آخر : وهو أن ابن مسعود – رضي الله عنه – كان يرى التطبيق في الركوع ، وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بالأمر بوضع الأكف." (١)

٢٦٢. "على الركب وثبت حديث النسخ في الصحيحين إلا أن مسعود بقي على مقتضى الدليل المنسوخ فلما صلى مع علقمة والأسود ووضعا أيديهما على ركبهما نهاهما وأمرهما بالتطبيق ، لماذا ؟ لأنه لم يكن يعلم بالدليل الناسخ وإلا فإن الظن به – رضي الله عنه – أنه لو علم بذلك لما تعداه إلى غيره وهذا هو الظن بسائر أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والله أعلم .

ومن الأسباب أيضا : أن يكون العالم قد أخذ بحديث ضعيف أو يستدل استدلالاً ضعيفاً وهو كثير جداً بل هو غالب ما وقع بسببه الخلاف وأمثلة كثيرة جدا فمن ذلك خلافهم في صلاة التسابيح فقائل بالاستحباب وقائل بالبدعية وسبب الخلاف خلافهم في قبول حديثها الوارد والحق أنه ضعيف لا يحتج بمثله ، بل ذهب أبو العباس بن تيمية إلى أن حديثها كذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن ذلك : خلافهم في القهقهة هل هي ناقضة للوضوء ، فقيل نعم وقيل لا ، والحق أنها ليست بناقضة وسبب خلافهم هو ورود حديث في ذلك لكنه ساقط الإسناد ، ومن ذلك : خلافهم في حكم البسملة على الوضوء أعني قوله " ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه " والراجح أنها سنة . ومن ذلك : خلافهم في الوضوء بالماء المشمس فمنهم من أجازه وهم الأكثر ومنهم من منع منه ، وسبب خلافهم في ذلك حديث روي في ذلك لكنه حديث موضوع ، ومنه خلافهم في قراءة المأموم الفاتحة في الصلاة الجهرية ، فمنهم من أوجبها ومنهم من قال تكفيه قراءة إمامه وسبب خلافهم هو أنه روي في بعض أحاديث الفاتحة قوله " لعلكم تقرؤون خلفي قالوا نعم قال فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها " فمن صححها قال بالوجوب ومن ضعفها قال بإجزاء قراءة الإمام وعلى كل فالأمثلة كثيرة جدا وإنما المقصود الإشارة ولكن ينبغي علينا أيها الأحبة أن نعتقد في

(١) المناظرات وآداب الحوار ٦٣/٦

أهل العلم أنهم أخذوا بهذا الحديث ظنا منهم أنه مما يحتج به ، ولو أنه تبين لهم ضعفه لما أخذوا به والله يحفظنا وإياك .." (١)

٢٦٣. "التوصيات

بعد عرض فصول البحث، يَخْلُصُ الباحث إلى جملة من التوصيات التي يعرضها هنا على النحو الآتي:

أولاً: من الناحية الشرعية:

١. مصطلحا "حوار الحضارات" و"حوار الأديان" حادثان ولم يكونا معروفين لدى العلماء القدماء، ولهذا لمّا ظهرا إلى الوجود وقع الخلاف الشرعي في حكمهما، بسبب الخلاف في تحديد تصورهما وماهيتهما، حيث كان لفظ "الحوار" يختلط ضمنا بلفظ "تقارب الأديان"، وهو ما جعل كثيرا من العلماء يقفون موقف الرافض، أو المتحفظ على الأقل، من هذه الدعوة، حيث اعتبروها دعوة مصادمة للشريعة الإسلامية لما فيها من مظاهر تقديم التنازلات لغير المسلمين، مع أن عقيدة الإسلام قطعية. وبسبب هذا التداخل والغموض الذي شاب المصطلح نُشرت دراسات رافضة لكل شكل من أشكال الحوار، باعتباره أمرا مخالفا لشريعة الإسلام، كما نُشرت بالمقابل دراسات مجيزة للحوار والتقارب بإطلاق، دون أن يُحرر كلا الفريقين المعنى الحقيقي لهذه المصطلحات الحادثة، ليتم بناء الأحكام الشرعية الصحيحة عليها. وبناء على هذا، يوصي الباحث بضرورة تبني المجامع العلمية الشرعية المعتمدة لتعريف دقيق وواضح يرفع الالتباس ويبيّن الفرق بين هذه المصطلحات الحادثة، من أجل التوصل إلى معرفة الأحكام الشرعية الصحيحة المرتبطة بها، وما ينبني عليها.

٢. "حوار الحضارات" يتقاطع مع دعوات التقارب بين الأديان، في الشكل، بسبب اجتماع مختلف الحضارات وأتباع الديانات على طاولة الحوار لمباحثة القضايا المشتركة، لكنّ الحوار لا يعني بحال تقديم تنازلات فيما هو من صلب عقيدة الإسلام وشريعته، بقدر ما هو محاولة مدّ الجسور بين مختلف البشر الذين يجمعهم عالم واحد، من أجل فهم دقيق للمشاكل التي تعاني منها البشرية، والعمل على إيجاد حلول متوازنة لقضايا الأمم والحضارات المشتركة.

لذا يرى الباحث ضرورة التأكيد الشرعي على ثوابت العقيدة حال الحوار، وبيان أهم أهداف الحوار ومجالاته لتكون مرجعاً يهتدى به حال الحوار مع الآخرين.

٣. التواصل بين الحضارات أمر لا يُصادم الشريعة، بل يتماشى معها بشدة، لأن إحدى الغايات

---

(١) المناظرات وآداب الحوار ٦٤/٦

الإلهية في تنوع الأجناس والثقافات هي التعارف والتواصل، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال ابن كثير: ((فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبها على تساويهم في البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾؛ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌ يرجع إلى قبيلته)) (١).

فيوصي الباحث علماء الشريعة والمهتمين بجوانب الحوار أن ينشروا ثقافة الحوار الصحيح المبني على أسس شرعية وقواعد منضبطة.

٤. دعوات "حوار الحضارات" غالبا ما كانت تأتي بأوامر فوقية غربية، ولذلك تفقد كثيرا من مصداقيتها بسبب محاولة القوي فرض تصوراته للحياة على الضعيف، ولا تكون جلسات الحوار إلا تجمعات يفرض فيها القوي على الضعيف مزيدا من التنازلات، ولهذا يوصي الباحث بتبني الدول الإسلامية لمؤتمرات الحوار والعمل على وضع تصورات إستراتيجية من شأنها توجيه الحوار إلى معانيه الصحيحة، لا مجرد شكليات يريدها الغرب لفرض قناعاته.

٥. كذلك، يرى الباحث أن في اللقاءات التي تُعقد من أجل حوار الحضارات خيرٌ كثيرٌ، حيث تتوفر إمكانية استغلال هذه المنابر لدعوة الناس إلى

٦.

---

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٦/ ٢٠٨).." (١)

٢٦٤. "حيدر : الروايات المبينة لما اقترفه معاوية وابنه ، تجاه أمير المؤمنين علي وابنه الحسين عليهما السلام ، لا تخفى على مسلم لبيب .

خالد : لنأخذ الأمر بروية ، وبتمحيص للأمور الشنيعة التي اقترفاها كما يُذكر عنهما وفق الآتي :

١ - معاوية كان أميراً على الشام منذ عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، ولم يُعزل من منصبه حتى خلافة علي رضي الله عنه .

---

(١) حوار الحضارات (دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة)) ص/٤٦٨

٢ – هل ثبت بنقل صحيح أن معاوية كانت له مواقف سيئة أو أُنتقد عليها – قبل خلافة علي رضي الله عنه – وتطعن في إيمانه ؟

٣ – ما سبب الخلاف بين أمير المؤمنين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) ، أهو في ركن من أركان الإسلام أم في مسائل اجتهادية ؟

٤ – لو كان الخلاف بينهما في قضية لا يمكن لأمير المؤمنين التنازل ولا التراجع عنها ، فلِم فعل الحسن بن علي أمراً آخر غير ما صمم وقاتل عليه والده ؟

ويكون الحسن بهذا قد ترك أمراً عظيماً طواعيةً منه .

٥ – لمَ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية كتابة الوحي (القرآن) الذي هو أعظم أمانة يؤتمن عليها ؟

حيدر : الإنسان يتغير ولربما يُبطن غير الذي يظهر إذا أحب الدنيا وركن إليها ، وهذا نجده واضحاً من قبل ابنه يزيد .

خالد : لندع الكلام الذي لا سند له غير الزعم ، فيجرنا من بعده إلى الفهم السيء ، فمعاوية رضي الله عنه قد لبث في حكم الشام فترة تزيد عن الثلاثين سنة ،

[١٢٤]

وأهل الشام كانوا أهل استقرار وحكمة وروية كحال أميرهم ، وليس مثل أهل الكوفة الذين قال فيهم الحسن بن علي (الاحتجاج للطبرسي ٢/٢٩٠) : « أرى والله أن معاوية خير لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي (متاعي) ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وأمن به أهلي ، خير من أن يقتلوني ، فتضيع به أهل بيتي وأهلي » .." (١)

٢٦٥. "٥ – العاطفة العمياء التي تقود المسلمين كبارهم وصغارهم ، بعيداً عن النظر إلى الحق والصواب بعقل متجرد عن الهوى .

حيدر : وما السبيل إلى توحيد كلمة المسلمين ؟

خالد : الأمر بغاية الوضوح والإشراق :

ا – تحكيم الكتاب والسّنة النبوية الصحيحة ، وفق فهم مَن نزل في

---

(١) خالد و حيدر حوار هادىء و مثمر ص/٩٦

[٢٠٠]

زمنهم القرآن وقيلت لهم الأحاديث .

٢ – تمييز الخبيث من الطيب في كل ما يَرِدُ علينا من روايات .

٣ – تمكين جانب العقيدة الصافية البعيدة عن الشرك والشوائب في قلوب الأبناء ، مع اجتناب كل ما يخدش هذا الركن من قول أو فعل أو اعتقاد .

٤ – العلم بأن أعداء الدين يريدون منا أن نتفرق ، وتذهب ريحنا ، فنكون لقمة سائغة لهم ، وباتحادنا نحمي ديننا وأعراضنا ومقدساتنا من الأعداء .

حيدر : أسال الله أن يجمعنا على طاعته وأن يوحد كلمة المسلمين .

خالد : آمين يا أرحم الراحمين .

[٢٠١]

وسائل التقارب

حيدر : وختاماً وبعد هذا الحوارالممتع ، أظن أن ملامح ووسائل التقارب بين الشيعة والسنة أصبحت ظاهرة ، وأن سبب الخلاف أصبح معلوماً ، فمن وجهة نظرك هل بالإمكان تحقيق التقارب في الواقع .

خالد : اتحاد صفوف المسلمين ، هدف عند كل مسلم غيور على دينه ، ويجب أن يعلو الإسلام في وجه كل حاقد ، ولا يمكن توحيد الصفوف إلا بتوحيد الذي في القلوب ، اعتقاداً وفعلاً وقولاً .

حيدر : الحمد لله أننا أهل قبلة واحدة ، وكل المسلمين يعرفون لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وأيضاً حب النبي وآله ملأ قلوبهم .." (١)

٢٦٦. "قال: (أنتم تدعونني معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك فإن كنت وأنا السيد قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً الحق، الحق أقول لكم انه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله إن علمتم هذا فطوباكم أن عملتموه... الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من ارسله يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني) يوحنا ١٣: ١٤ إلى ٢٠.

أخي القارئ إن الأدلة والبراهين التي تثبت أن المسيح (عليه السلام) لم يساو نفسه بالله تعالى قط

---

(١) خالد و حيدر حوار هادىء و مثمر ص/١٥٤

كثيرة وتستلزم لاستعراضها العديد من الصفحات وباتت حتى الآن واضحة من تعاليمه (عليه السلام)، وإن وجد ما يشير إلى عقيدة التثليث والتساوي بين الله والمسيح إنما هو مدسوس بلا ريب، وقد بين الله تعالى منشأ الخلاف وواقع التحريض بعد المسيح بما يقارب الستة قرون عندما سأله للبيان في القرآن الكريم قائلاً...

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب(١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد(١١٧))

سورة المائدة ١١٦ و ١١٧ نعم هذا هو الواقع الذي أقره المسيح أثناء وجوده على الأرض وقد بينه الكتاب المقدس الحالي رغم تحريفه كما بينا آنفاً...

س: ٦ كيف جاهر المسيح بألوهيته كما سبق وأشرتم وما هو الدليل الكتابي على ذلك؟

الإجابة اللاهوتية: لقد كانت مجاهرة المسيح بألوهيته بارزة أمام الجميع، عندما أعلن نفسه أبناً لله، والمسيح

المنتظر والديان العادل الذي سيدين البشر يوماً ما على أعمالهم، ولن يفهم كيف أنه ابن الله وإنه مساوٍ لأبيه في الجوهر،

". (١)

٢٦٧. "فرد عليه أبو الطيب الطبري قائلا:

... إني لأبرأ مما تذكره ... عن ابن ملجم الملعون بهتانا

(ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة٥/٣٠٣).

وذكر أهل السنة بأنه من رؤوس الخوارج (سير أعلام النبلاء٤/٢١٤).

بل وصفوه بأنه من أهل الأهواء (التاريخ الكبير للبخاري٦/٤١٣) وقالوا: ليس في الأهواء ثقة مثل

---

(١) شاطىء الحق ص/٣٢

عمران.

وقد أوصى الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقتلهم. فكيف يكون ثقة بعد ذلك عندانا.

ولله الحكمة البالغة فقد كان هذا القتل ردا على الكذابين القائلين بأن الأئمة عندهم علم ما كان وما يكون.

هل البسملة من القرآن؟

• منشأ الخلاف هو هل يبدأ ترقيم الآيات من البسملة أم من أول آية في السورة؟ وليس الخلاف حول هل نترك البسملة في القرآن أم نزيلها؟ كيف يمكن ذلك والبسملة ثابتة في النسخة الأصل؟ فلم يشكك أحد في كونها ثابتة في الأصل. ولا دعا أحد إلى إزالتها من القرآن.

• والدليل على ذلك أن البسملة مثبتة في كل السور ما عدا سورة التوبة ولم يخالف أحد في ذلك.

• ويمكن للبسملة أن تثبت في القرآن ولا تكون آية منه مثلما أن الله أمرنا أن نستعيذ به من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن فهل تصير الاستعاذة آية أم لا؟

• هذه الشبهة أطلقها الرافضة الذين ثبت عندهم تصريح كبار أئمتهم بالإجماع الرافضي على وقوع التحريف في القرآن إلا من شذ كالمرتضى والصدوق والطبرسي لمصلحة سد باب الطعن على القرآن حتى لا يقال كيف يجوز أخذ القواعد والأحكام من كتاب محرف؟ (الأنوار النعمانية٢/٣٥٧).

• فسارعوا إلى القول بأن الخلاف حول البسملة يلزم منه التحريف للحاجة الماسة عندهم للحصول على أية ذريعة تشغل أهل السنة وتصرفهم عن اتهام تصريح علماء الرافضة بأن القرآن محرف.

• كبار علماء الرافضة لم يقولوا بأن القرآن محرف بناء على قضية البسملة. وإنما زعموا أن الصحابة حذفوا منه الآيات التي تنص على إمامة علي وأهل بيته.." (١)

٢٦٨. "ظهور علم الكلام والعلوم الفلسفية سبب الخلاف في باب الأسماء والصفات

الناظر في التاريخ العلمي عند المسلمين في المعرفة الإلهية، وبخاصة في مسألة الأسماء والصفات يجد أن فيها إشكالاً عريضاً، مع أن الحق فيها من جهة القرآن والحديث ومذهب السلف واضح تماماً؛ لكن لأنه دخل على المسلمين أسباب، فقد كانت أسباب البدعة التي نشأ عنها مذهب الخوارج في الغالب فتناً طرأت وتكاد تنتهي، بخلاف الفتنة التي ركِّبت عليها هذه المسائل عند المخالفين للسلف؛ فإنها

---

(١) شبهات شيعية والرد عليها ص/٤

أسباب علمية.

فقد ظهر عند المسلمين علم الكلام والعلوم الفلسفية، أما الفلسفة فكانت قبل الإسلام، ونقلت نقلاً إلى المسلمين، وأما العلم الكلامي فليس هناك علم اسمه علم الكلام قبل الإسلام، فهو علم وُلِّد عند طائفة من المسلمين وهو المشكِل، ولهذا تجدهم يحدون هذا العلم ويضبطونه بأنه الاستدلال على العقائد الإيمانية بالدلائل العقلية ..

وهذا حد باطل؛ لأن العقائد التي قررها المتكلمون مخالفة للعقائد المنصوص عليها في القرآن والحديث، وإن كانوا أحياناً -كما تقدم- قد يصيبون شيئاً من الحق، لكن لا يختصون بإصابته.

ولهذا كان هذا العلم من أسوأ العلوم التي انتشرت عند المسلمين بسبب الاشتغال بالفلسفة، وقد أدى هذا إلى ظهور المتكلمين المتفلسفة الذين وصلوا إلى منحى خطير في تقريرهم لمسائل الإسلام، وظهور التصور الفلسفي على يد ابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني والصدر القونوي وأمثال هؤلاء من غلاة المتصوفة الذين قرروا التصوف الفلسفي، والذي قابله التصوف النظري العقلي الذي ذكره ابن رشد وأمثاله.

[كما قد يقوله بعض الأغبياء].

هذا الوصف من المصنف لقائل هذه المقالة ليس من باب التهكم؛ بل لأن المقالة التي نقلها عنه مقالة متناقضة في العقل، أي: فيها تأخر عقلي، وإذا كان في المقالة تأخر عقلي فإن المعنى يناسب هذا الوصف.." (١)

٢٦٩. "أهل التخييل

[أهل التخييل].

أهل التخييل سموا بذلك لأنهم زعموا أن القرآن وخطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -وعموماً يرون ذلك مطرداً في الكتب السماوية والشرائع النبوية- تخييل للجمهور، وليست هي الحقائق العلمية في نفس الأمر، وهذا هو مذهب المتفلسفة، وقد انتسب إليه في الإسلام قوم من هؤلاء، وهؤلاء كان ظهورهم بعد ظهور المتكلمين وبعد انقراض القرون الثلاثة الفاضلة في الجملة، وإن كان أصلهم نبغ في آخر القرن الثالث، لكن انتشار هذا المذهب كمذهب معروف كان بعد القرون الثلاثة الفاضلة في المائة الرابعة وما بعدها.

---

(١) شرح الحموية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٧/٣

ومن أخص أئمة هؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب من الذين انتسبوا للإسلام أبو نصر الفارابي وابن سينا، وهم من المشارقة، وأبو الوليد بن رشد من المغاربة.

[وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف].

ومن سلك سبيلهم أي: تأثر بهم، من متكلم -كما هو شأن طائفة من غلاة المتكلمين الذين نقلوا المقالات الصريحة من الفلسفة واعتبروها، أو استدلوا بصريح كلام الفلاسفة، وإن كان المتكلمون في الجملة ولدوا كلامهم من كلام المتفلسفة، لكن منهم -أي: من غفلاتهم- من ينقل بالتصريح.

ومتصوف لأن نوعاً من الصوفية هم صوفية في الإطلاق، ولكنهم في نفس الأمر متفلسفة وهم الباطنية.

والباطنية صنفان: إما باطنية متشيعة، كما هو شأن الإسماعيلية والقرامطة وأمثالهم، ومن أئمتهم الذين صنفوا في هذا الباب على طريقة المتفلسفة أبو يعقوب السجستاني صاحب الأقاليد الملكوتية، وهو ممن يقول برفع النقيضين -كما يقرر المصنف في كتبه الكبار-.

متصوفة أو باطنية، وهم الذين شاعوا كثيراً، وهم الذين عرفوا عند العامة بأنهم متعبدة متصوفة، وهم في الحقيقة متفلسفة باطنية كـ ابن عربي وابن سبعين والتلمساني -الذين يسمونه العفيف، ويسميه كثير من علماء السنة الفاجر التلمساني - وابن الفارض وأمثال هؤلاء.

ومتفقه يشير إلى أبي الوليد بن رشد، وبعض المغاربة المتفلسفة الذين عنوا بدراسة مذهب مالك؛ فإن لـ أبي الوليد بن رشد كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد، صنفه في الفقه المقارن، وهو كتاب -في الجملة- ملخص من كتاب أبي عمر بن عبد البر التمهيد، والكتاب له اختصاص يسير، وليس فيه تحقيق كثير حتى فيما اختص به، وهو سبب الخلاف؛ فإن هذه ميزة في الكتاب، لكن في الغالب أن ما سماه سبب الخلاف في المسألة المعينة لا يكون في نفس الأمر هو السبب الموجب للخلاف، وإن كان في أكثر الموارد يكون سبباً يؤثر في الخلاف.

فإنه إذا ذكر المسألة قال: وسبب الخلاف أنه جاء ظاهر قوله تعالى مع قول النبي كذا، أو ورود حديثين بينهما في الظاهر تعارض، وهلم جرا ..

فهذه الأسباب التي عينها ابن رشد -وهي التي جعلت كثيراً من طلبة العلم يثنون على الكتاب- ليست -في الغالب- هي الموجبة للخلاف في نفس الأمر، أي: من جهة أن أصل الخلاف انبنى عليها بين قدماء الأئمة، وإن كان لها نفسها شيء من التأثير، حيث إن السبب -في الغالب- لا

يختص بمورد واحد، فهي شيء من السبب وليست هي السبب في نفس الأمر.

وثمرة هذا التفريق تظهر بهذا المثال: في مسألة مس الذكر أهو ناقض للوضوء أو ليس ناقضاً للوضوء؟

إذا قيل: إن سبب الخلاف هو التعارض بين حديث بسرة بنت صفوان وحديث طلق بن علي، ثم ضعف حديث طلق بن علي وقيل: إن الصواب من جهة الصحة هو حديث بسرة، ففي الغالب في النتيجة الفقهية أن يكون الخلاف انتهى إلى الرجحان، فإذا تحقق أن هذا هو السبب فإن الترجيح هنا سيكون مناسباً.

لكن إذا كان السبب عند الأئمة أخص من هذا أي: أن هذا الاستدلال الذي جعله ابن رشد سبباً إنما استدل به بعض أصحاب المذاهب، فهنا لا يكون الترجيح مناسباً، ومثال هذا: هل القصاص والقود يكون بالسيف وحده أو بما قتل به القاتل؟

قيل: إن في هذا تعارضاً بين ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: (لا قود إلا بالسيف) وما جاء في القرآن: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل:١٢٦] فإن رددت وقلت: هذا الحديث ضعيف ترجح عندك مباشرةً القول الثاني، لكن إذا فرضت أن سبب الخلاف ليس هو التعارض بين هذا الذي قيل فيه: إنه حديث مرفوع، وبين ظاهر القرآن لا يبقى أن الترجيح بالضرورة يلزم أن يكون مناسباً؛ ولهذا كان الإمام أحمد يعتبر هذا المذهب -الذي هو أن القود يكون بالسيف- بدلائل أخرى غير هذا الحديث.

[إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها].

كما هو طريقة المبشر بن فاتك، وهذا قول غلاة الملاحدة.

[وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم أولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة أو الأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ..

وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية].

لأن الباطنية على هذين الصنفين في الجملة.

[ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما

يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق].

وهذا مذهب الجمهور من المتفلسفة الذين انتسبوا للإسلام كـ ابن سينا وابن رشد وأمثالهما.

[ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل.

قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ..

فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقر بها].

وأما الأعمال أي: الأعمال الظاهرة.

منهم من يقر بها وغلاتهم من باطنية الصوفية وباطنية الشيعة يأولونها كما تأولوا نصوص المعاد ونصوص الصفات.

[ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر به العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة والإسماعيلية ونحوهم].

هذا هو الصنف الأول: أهل التخييل.

وهؤلاء ليس في شأنهم اشتباه، ولا ينبغي كثرة الاشتغال بالرد عليهم؛ لأنهم زنادقة في الجملة، وأصل مقالتهم مقالة منقولة نقلاً صريحاً عن الطوائف الفلسفية المتقدمة، ولهذا اتفق المسلمون –حتى أهل الكلام وجمهور طوائف المتصوفة وغير هؤلاء– على ذم هؤلاء، وبيان أنهم مارقون عن دين الإسلام.

وأما الشأن الذي وقع فيه الاشتباه: فهم أهل التأويل، وهم أهل الكلام، أو أهل التجهيل وهم طوائف من المنتسبين للسنة والسلف.." (١)

٢٧٠. "سبب الخلاف في حكم أهل المعاصي

ذكر الشارح أن هذه المسألة مبنية على قول من يقول: إن الإيمان يتفاوت، وإن هناك إيماناً كاملاً، وهناك إيماناً ناقصاً، وإن هناك كفراً دون كفر ونحو ذلك.

وهذه الآيات التي في سورة المائدة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ، وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧] بعض السلف أطلق عليهم هذا الكفر والفسق والظلم؛

---

(١) شرح الحموية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٣/١٠

وذلك لأنهم عاندوا، وعرفوا أنه حكم مغاير لحكم الله، وشرعوا مع الله، وجعلوا شرعهم أحسن من شرع الله، وتنقصوا حكم الله، وادعوا أنه ليس بمناسب وليس بصالح، فلأجل ذلك حكم عليهم بالكفر والظلم والفسق.

وآخرون قالوا: إذا فعل ذلك لهوى، ورأى أن الحكم الشرعي لا يناسب في بعض الأحيان، وأن الحكم بغيره قد يكون أنسب، فحكم بذلك متأولاً، فإنا لا نخرجه من الإسلام، بل نجعله دون هذا، فقالوا: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وهذا على طريقة من يجعل الكفر يتفاوت، ويجعله كفراً أكبر، وكفراً أصغر، وكفراً أوسط، وكذلك يجعلون الإيمان إيماناً كاملاً، وإيماناً متوسطاً، وإيماناً ناقصاً.

ونحن نقول: نعم؛ الإيمان يتفاوت؛ ولأجل ذلك تنقصه المعاصي، وتزيده الطاعات.

وأما الكفر فنقول: إن الكفر يبطل الأعمال كما ذكرنا أدلته، فلأجل ذلك الكافر ولو أدى أعمالاً في حياته لا تنفعه، إلا أننا إذا رأيناه يعمل الأعمال التي تختص بالإسلام عاملناه معاملة المسلم، فمن رأيناه مثلاً: يصلي، ويحافظ على الصلاة مع الجماعة؛ حكمنا بأنه مسلم؛ لأننا نحكم بالظاهر، ونكل أمر السرائر إلى الله تعالى، ولو كان في الباطن كافر فباطنه أمره إلى الله.

لكن إذا رأيناه مع الصلاة يعبد غير الله مثلاً أو يشرك، أو يحكم بغير الشرع، ويفضل حكم غير الشرع على حكم الشرع عاملناه بما يستحقه.

وبذلك يعرف أن باب تفاوت المؤمنين، وتفاوت الكفار يكون بحسب ما في القلوب من الإيمان أو من ضد الإيمان، وهذه مسألة لها أهميتها، يعرف الإنسان أن أهل الإيمان يتفاوتون، فإيمان قوي يحمل على كثرة الطاعات والعبادات، وإيمان ضعيف لا يزجر عن المحرمات ولا عن الآثام.." (١)

٢٧١. "واجب المسلم تجاه مسائل العقيدة

ينبغي للمسلم أن يهتم بأمر دينه؛ حتى يسلك طريق النجاة، ولا شك أن مبنى دينه على أمور العقيدة، التي إذا ثبتت ورسخت انبنت عليها صحة الأعمال، وأثيب عليها، وإذا فسدت العقيدة انبنى عليها وترتب عليها فساد الفروع والأعمال.

ولا شك أن من جملة العقيدة أسماء الإيمان والدين، وقد عرفنا جانباً كبيراً منها فيما يتعلق بالتكفير والتفسيق، وطريقة أهل السنة في ذلك، ومن خالفهم.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٧/٣٩

وسبب الخلاف في ذلك: أنه جاءت أحاديث كثيرة فيها الحكم بالكفر على بعض الأعمال التي هي من المعاصي، وتسمى تلك النصوص نصوص الوعيد، أو أحاديث الوعيد، وطريقة أهل السنة فيها أنهم يجروها على ظاهرها؛ ليكون أبلغ في الزجر، مع اعتقادهم أنها لا تخرج من الملة، وأن مرتكب الكبيرة ولو كان متوعداً بالكفر أو نحو ذلك، فإنه لا يصل إلى أن يستباح دمه وماله، وأن يحكم عليه بالخلود في النار، بل يقال: هذا من الذنوب التي جاء فيها هذا الوعيد، وأمرها إلى الله تعالى، وكل المعاصي التي دون الشرك فإنها تحت مشيئة الله، إن شاء غفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه. هذه طريقة أهل السنة.

وقد مر بنا بعض أحاديث الوعيد التي فيها شيء من الغلظة والشدة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد) فإن هذا فيه نفي الإيمان، فنحن لا نقول: إنه خرج من الإيمان كلياً، ولا أنه دخل في الكفر.

المعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

والخوارج يقولون: يخرج من الإيمان، ويدخل في الكفر.

ونحن نقول: إنه لا يخرج من الإيمان، ولكنه تحت مشيئة الله، ونقول: إنه فاسق بهذا الذنب، ولا يصل إلى أن يستباح دمه وماله وعرضه، ولكن ذنبه غليظ.

ومثله: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت) ومعلوم أن هاتين المعصيتين لا يكفر بهما.

ومثل قوله عليه الصلاة والسلام: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) ، ومعلوم أن قتاله لا يصل إلى حد أنه يخرج من الملة.

ومثله: قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية) ، والأحاديث الكثيرة التي فيها: (ليس منا) كقوله: (من غشنا فليس منا) .

وأحاديث البراءة كقوله: (من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة فإن محمداً بريء منه) وما أشبه ذلك مما فيه البراءة من هذا الفعل أو الفاعل.

نقول: إن هذه جاءت للزجر عن هذه المعاصي، ومعلوم أنه جاءت أحاديث تدل على إخراج المسلمين

الذين هم من أهل التوحيد من النار، إما بشفاعة الشافعين، وإما برحمة الله تعالى، فتلك الأحاديث تدل دلالة واضحة على أنه وإن عمل الكبائر ونحوها لا يصل إلى حد الكفر.

وفي حديث أبي ذر لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه ذرة من إيمان -يعني: أن عنده أصل الإيمان- فقال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق) فيدل على أنه لا يصل إلى حد الكفر بمثل هذه الذنوب.

ومع ذلك فإنه لا يجوز التساهل بهذه الذنوب؛ وذلك لأن التساهل بها والإدمان عليها يقسي القلب، ويصد عن الطاعة وفعل الحسنات، ويجرئ على كثرة السيئات، ويضعف الخوف من الله في القلب، وقد يسبب هذا الضعف ترك الواجبات، وارتكاب المحرمات، مما قد يكون سبباً في الطعن بالشريعة والعيب لها، والاعتراض على الله تعالى في تحريم هذا الشيء، أو إيجاب هذا الشيء، وذلك كفر؛ لأنه من الاعتراض على الله تعالى، ورد لأحكامه، والطعن في شيء من الشريعة بأنه غير مناسب، أو أنه جور أو نحو ذلك؛ تقوّل على الله، واعتراض عليه؛ فلأجل ذلك ينهى عن الإصرار على الذنوب حتى ولو كانت صغائر.

ويكثر في الأحاديث الزجر عن صغائر الذنوب وعن كبائرها، وتكثر الأدلة على الوعيد الشديد على بعض الذنوب، ويستشهد العلماء بأدلة فيها الهلاك والردى والعذاب لمن فعل هذه الذنوب، ولمن أصر عليها، وإذا عرف المسلم ذلك لم يتهاون بها ولو كانت لا تصل إلى الكفر؛ مخافة أنها مع التساهل ومع الاستمرار عليها تقسي قلبه، وتصده عن ذكر الله وعن معرفة الله.

والمسلم إذا تخلى عن السيئة حتى ولو صغيرة، وكرهها بقلبه، فبلا شك أنه سوف يحب الطاعات ويألفها، وتسهل عليه، ويحب الاستكثار منها، ولا شك أن الإقلاع عن السيئة والبعد عنها، وكثرة الحسنات، وكثرة الأعمال الصالحة مما يرفع الله تعالى به العبد درجات، ومما يقبل منه عبادته، ولا شك أن سبب ذلك معرفة عظم ثواب الله تعالى وأجره، حتى يكون بذلك مثابراً مكباً على الإكثار من الحسنات، وحتى يعرف عقاب الله وأليم عذابه على إصراره على الكبائر، ولو عذاب يوم أو عذاب ساعة أو نحو ذلك، فكيف بعذاب دهور متطاولة؟! كل ذلك مما يبعد الإنسان عن المعاصي، أي: معرفته بجزيل الثواب، ومعرفته بأليم العقاب.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٨/٣٩

٢٧٢. "فإذا قال لهم أُولَئِكَ المعطلة: أنتم شبهتم، قالوا: أنتم عطلتم، لذا قال السلف الصالح: المعطل عابد عدم، والمشبه عابد صنم، فالمعطل عابد عدم لأنه يقول: إن الله تَعَالَى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، وليس له يد، وليس له عين، وليس له أي صفة من الصفات، ولا يسمع ولا يبصر.

إذاً: فهذا معدوم غير موجود، فالمعطل عابد عدم، ولكن المشبه عابد صنم لأن الذي يقول يد الخالق كيد المخلوق، ووجهه كوجه المخلوق، وقدمه كقدم المخلوق، فإنما هو يعبد صنماً، لأن الأصنام نحتت لكي تعبد من دون الله، لكي يقَالَ: هذا هو الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والشاهد أن سبب الخلاف بينهما هو أن هذا أخذ حظاً مما ذكر به ونسي حظاً، وهذا أخذ حظاً مما ذكر به ونسي الحظ الآخر، فأغرى الله بينهما العداوة والبغضاء.

فتجد في كتب المعطلة أنهم يكفرون المشبهة، وفي كتب المشبهة يكفرون المعطلة، وفي كتب المرجئة يكفرون الخوارج، وفي كتب الخوارج يكفرون المرجئة، أغرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بينهم العداوة والبغضاء، وهذا من أعظم أسباب الاختلاف أن لا يؤخذ الكتاب كله ولا يتلقى العلم والدين كله من عند الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك الشهوات وحب الدنيا

ومن أسباب الاختلاف: "الشهوات وحب الدنيا" فإن حب الدنيا يفسد النية والإرادة، وإذا فسدت الإرادة ودخل الدخن إِلَى القلب، فإن الأعمال تفسد، ويترتب عَلَى فساد الأعمال فساد في الاعتقاد، وأسباب ذلك تبدأ بسيطة لكنها فيما بعد تظهر وتبدو، حتى تكون منهجاً من المناهج.." (١)

٢٧٣. "وبالمقابل جاءتالمشبهة ونسوا حظاً مما ذكروا به، وتركوا الآيات التي جاءت في تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأثبتوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصفات كما يليق بالمخلوق -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- مشابهين في ذلك لليهودعندما قالوا: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى -كما هو مذكور في التوراة- خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع والعياذ بالله!

فجعلوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتعب ويلغب، كما يلغب ابن آدم إذا عمل عملاً ما، ولذلك نفى الله

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٤٤

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك فقَالَ: وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ [ق:٣٨] أي: لم يمسنا التعب ولا النصب ولا اللغب، وردّ عليهم، فجاء هَؤُلاءِ المشبهة، وأخذوا من اليهودالتشبيه وزادوا عليهم فَقَالُوا: له يد كيدنا، فجعلوا صفات الله عَزَّ وَجَلَّ مثل صفات المخلوق.

فإذا قال لهم أُولَئِكَ المعطلة: أنتم شبهتم، قالوا: أنتم عطلتم، لذا قال السلف الصالح: المعطل عابد عدم، والمشبه عابد صنم، فالمعطل عابد عدم لأنه يقول: إن الله تَعَالَى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، وليس له يد، وليس له عين، وليس له أي صفة من الصفات، ولا يسمع ولا يبصر.

إذاً: فهذا معدوم غير موجود، فالمعطل عابد عدم، ولكن المشبه عابد صنم لأن الذي يقول يد الخالق كيد المخلوق، ووجهه كوجه المخلوق، وقدمه كقدم المخلوق، فإنما هو يعبد صنماً، لأن الأصنام نحتت لكي تعبد من دون الله، لكي يقَالَ: هذا هو الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والشاهد أن سبب الخلاف بينهما هو أن هذا أخذ حظاً مما ذكر به ونسي حظاً، وهذا أخذ حظاً مما ذكر به ونسي الحظ الآخر، فأغرى الله بينهما العداوة والبغضاء.." (١)

٢٧٤. "يقول المصنف: [وفي بعض الأحاديث أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع] أي: لا ينقص ذلك منه شيئاً، وهكذا حال الجنة فإن نعيمها لا ينفد أبداً كحال هذه الدنيا التي ينفد ما فيها من الخير وإن كَانَ كثيراً، أما الجنة فإن أكلها دائم وظلها، لا ينفد شيء من نعيمها ولا ينتهي، وأنه ينبت في حالٍ من المسك -أي ينبت المسك فيه- والرضراض في لغة العرب هي: الحصى الصغيرة، وهي من اللؤلؤ يجري هذا النهر فوقها، [وأنه يثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، ولا تنفد خزائنه، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يّس:٨٢] .

ثُمَّ قَالَ: [وقد ورد في أحاديث أن لكل نبي حوضاً وأن حوض نبينا مُحَمَّد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظمها وأحلاها وأكثرها] .

وقد سبق أن ذكرنا أن الاختلاف واقع في الحوض هل هو خاص بالنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أم ثابت لغيره؟

سبب الخلاف

إن سبب الخلاف يرجع إِلَى الخلاف في ثبوت الأحاديث، وإن كَانَ الأظهر -على قاعدة المحدثين-

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٧١

أن الحوض خاص به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن حديث (إن لكل نبي حوضاً) قال فيهاالتِّرْمِذِيّ إن المرسل أصح، أي: أنه ورد مرسلاً صحيحاً، ورفع هذا الحديث لا يصح.

وأيضاً الرواية الأخرى فيها ضعف ذكر هذا الأرنؤوط فقَالَ: أخرجه التِّرْمِذِيّ: في صفة القيامة، باب ما جَاءَ في صفة الحوض من حديث سمرة بن جندب قَالَ: قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وأني أرجو أن أكون أكثرهم وارداً) يقول: قال التِّرْمِذِيّ ورد مرسلاً والمرسل أصح هذا الذي في التِّرْمِذِيّ، ثُمَّ يقول: (وذكر الهيثمي في المجمع قَالَ: ورواه الطبراني وفيه مروان بن جعفر السمري وثقهابن أبي حاتم، وقالالأزدي: يتكلمون فيه، وبقية رجاله ثقات) .." (١)

٢٧٥. "الأسئلة

س١/ ما الفرق بين القدر والقضاء؟

ج/ يأتي إن شاء الله.

س٢/ يجعل الله سرّه في أضعف خلقه، إذا رأى مثلا شخصا ضعيفا؟

ج/ هذا المقصود به حكمته في الخلق، لا بأس به.

س٣/ هل يدخل الغيب تحت القدر؟

ج/ نعم كل مُغَيَّب فهو مقدر.

س٤/ هل يصح قول (ما ليس بشيء فإنَّ الله لا يعلمه) ؟

ج/ ما معنى (ما ليس بشيء فإنَّ الله لا يعلمه) ؟ والله على كل شيء قدير والذي ليس بشيء فإنَّ الله سبحانه وتعالى غير قادر عليه لأنه ليس بشيء كالجمع بين النقيضين؟

هذا الكلام غير منضبط لا من جهة كلام المناطقة ولا من جهة أيضا التعريف، فلا تُطْلَقْ عليه العبارة لأنها غير منضبطة؛ لأنه يقول ما ليس بشيء يعني الذي ليس بشيء، وما دام قال الذي فإنه شيء.

س٥/ قبل إرادة الله الخلق للشيء وعلمه به، ماذا يسبقه، هل يسبقه جهل به؟

ج/ أستغفر الله وأتوب إليه، الله سبحانه علمه أول، وعلمه مرتبط بإرادته وحكمته - عز وجل - فلا يسبق علمه جهل - جل جلاله - وتقدست أسماؤه.

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٨٠٣

س ٦/ نرجو أن تملوا علينا الأبيات الميمية في القضاء والقدر؟

ج/ الميمية هي أو التائية؟ تائية شيخ الإسلام القدرية هذه مشهورة ينبغي لطالب العلم أن يحفظ منها أو أن يحفظها؛ لأنها فيها ذكر كثير من مسائل القدر.

[.....] (١)

هذيك في التعليل مو في القضاء والقدر؛ في ترك تعليل أفعال الله – عز وجل – أو الخوض في ذلك، نأتيها إن شاء الله تعالى.

هذه أبيات ذكرها ابن الوزير في كتابه إيثار الخلق على الحق دون نسبة، هي أبيات جميلة مهمة في مسألة تعليل الأفعال ومطلعها يقول فيها:

تَسَلَّ عن الوفاق فربنا قد حكى بين الملائكة الخصاما

كذا الخَضِرُ المكرّم والوجيه الـ ـمكلّم إذ ألم به لماما

تكدَّر صفو جمعهما مرارا فعجّل صاحب السرّ الصَّرَاما

ففارقه الكليم كليم قلب وقد ثَنَّى على الخضر الملاما

وماسبب الخلاف سوى اختلاف ال علوم هناك بعضا أو تماما

فكان من اللوازم أن يكون الإله مخالفا فيها الأناما

فلا تجهل لها قدْرا وخُذها شكورًا للذي يحيي العظاما

هذه قصة عظيمة قصة الخضر مع موسى فيها من الفوائد ما لا يحصى.

نكتفي بهذا القدر ونلتقي إن شاء الله تعالى بخير وعافية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

(١) مداخلة من أحد الطلبة." (١)

٢٧٦. "ثبوت الخلافة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثبتت الخلافة لعلي بن أبي طالب بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام فهي ثبتت له بمبايعة أكثر الناس ممن تنعقد بهم البيعة إذن علي ما اجتمع الناس عليه ثبتت له الخلافة بمبايعة أكثر أهل الحل والعقد، وأما معاوية وأهل الشام فامتنعوا لا؛ لأنهم يطلبون الخلافة؛ لا لأن معاوية يطلب الخلافة، بل يطالب بقتلة عثمان يطالب بدم عثمان.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٢٣٢

ويقول: الخلاف بينه وبين علي يقول: اقتص من قتلة عثمان، وأنا أبايعك أنا أتوقف حتى ينتصر للشهيد المظلوم وهو عثمان – رضي الله عنه – ويقول: إنه أقرب الناس إليه، وعلي – رضي الله عنه – لا يمانع ولكنه لا يستطيع في ذلك الوقت بسبب الفتنة، وهؤلاء الذين قتلوا عثمان اندسوا في العسكر ولا يعرفون وهؤلاء لهم قبائل تنتصر لهم.

والمسألة فيها فوضى واضطراب ولا يستطيع، فعليّ – رضي الله عنه – يقول: بعدما تهدأ الأحوال نستطيع نأخذ قتلة عثمان، ومعاوية قال: لا أنا أريد الآن وحصل الخلاف فامتنع معاوية وأهل الشام ثم بعد ذلك الخلاف زاد حتى حصلت الحروب المعروفة بين الصحابة عن اجتهاد كل مجتهد ومن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر.

إذن ثبتت الخلافة لعلي بمبايعته أكثر الصحابة وامتنع من مبايعته معاوية وأهل الشام فهي ثبتت بمبايعة أكثر الناس ممن تنعقد بهم البيعة، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقال الرافضة: ثبتت الخلافة لعلي بالنص الجلي أو بالنص الخفي سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية هو –كما سمعتم– الاجتهاد ومعاوية وأهل الشام يطالبون بدم عثمان ومعاوية يقول: أنا أقرب الناس إليه، وعلي – رضي الله عنه – يرى أنه ثبتت له البيعة، وأنه يجب عليه أن يخضع معاوية وأهل الشام حتى يبايعوا فحصل النزاع ثم حصل القتال عن اجتهاد كل منهم متأول.

الخلفاء الراشدون من هم؟ أربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ولأبي بكر وعمر مزية على عثمان وعلي، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين ولم يأمرنا بالاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر فقال: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) والاقتداء أخص من الاتباع إذ إن هناك فرقا بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم.

ويروى عن أبي حنيفة تقديم عليٍّ على عثمان في الفضيلة لا في الخلافة، قول لأبي حنيفة أن تقديم عليّ في الفضيلة لا في الخلافة، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان على عليّ، ظاهر مذهبه تقديم عثمان على عليّ، وعلى هذا عامة أهل السنة ويؤيده قول عبد الرحمن بن عوف، وقول أيوب السبختياني مَن لم يقدم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار يعني احتقرهم؛ لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على بيعة عثمان وتقديمه في الخلافة.

وثبت عن ابن عمر –وهو في الصحيحين– (قال: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي:

أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكر) نعم. أَعِدْ

ونثبت الخلافة بعد رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– أولا لأبي بكر الصديق – رضي الله عنه – تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثم لعثمان – رضي الله عنه – ثم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهما الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون.

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة كما ذكر المؤلف –رحمه الله– الخلافة ثبتت أولا لأبي بكر ثم لعمر ثم عثمان ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون باتفاق أهل السنة والجماعة. نعم.." (١)

٢٧٧. "القول الراجح في زيارة النساء للقبور

٢٧٨. سبق أن اللعن من الله جل وعلا: الطرد والإبعاد، فالملعون هو المبعد عن الخير وعن الرحمة، وأن الله جل وعلا يلعن من يشاء كما أنه يرحم من يشاء، ولكن الملعون من حقت عليه اللعنة واستحقها، وسبق أيضاً أنه إذا جاء لعن فاعل فعل من الأفعال فإن هذا الفعل يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يلعن فاعل فعل يكون فعله خلاف الأولى، بل لكونه فعل فعلاً هو معصية وكبيرة من الكبائر فعلى هذه القاعدة يقال: إن زائرات القبور من النساء ملعونات، وأن زيارة القبور منهن كبيرة من الكبائر، ولا فرق بين زيارة قبر أو زيارة قبور، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة: فمنهم من قال: إنه لا يجوز للنساء زيارة القبور مطلقاً، بل ولا يجوز اتباع الجنائز لهن، أما اتباع الجنائز فجاء في الحديث الصحيح أنه قال: (ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تؤذين الميت، وتفتن الحي) أو نحو ذلك وهذا يدل على أنه لا يجوز، فإذاً: النساء ممنوعات من اتباع الجنائز، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من صلى على جنازة فله قيراط، ومن صلى عليها واتبعها فله قيراطان) فهنا (من) لفظ عام بالاتفاق، يدخل فيه الرجال والنساء، ولكن جاء دليل خاص أخرج النساء من ذلك، فخرجن من هذا العموم بدليل خاص.

٢٧٩. أما الزيارة للنساء فجاء فيه اللعن، ولكن سبب الخلاف أنه جاء ما يدل على الجواز، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن فلما قيل لها: (ألم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، نهى ثم رخص، ولو حضرته عند موته ما زرته) فهذا في الواقع ليس فيه حجة ولا دليل فيه؛ لأن ظاهره كما احتجت بأن النهي جاء أولاً ثم جاء بعده الإذن

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٣٦٩

العام، ولم يحتج عليها القائل بأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى النساء خاصة، فكأنها ما بلغها هذا، فلا يكون في ذلك حجة.

٢٨٠. أما المرأة التي جاءت قصتها في الصحيح أنه مر صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: (اتقي الله، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بما أصبت به، فقيل لها: هذا رسول الله، فندمت وجاءت إلى بيته، فلم تجد عنده بواباً فقالت: يا رسول الله! أصبر، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى) فهذا الحديث صحيح، ولكن ما يعرف تاريخه، وإذا كان الأمر هكذا فلا يؤخذ بالشيء العام باتفاق العلماء بل يقدم الخاص على العام.

٢٨١. ومعلوم أن العلة إذا عرفت فإن الحكم يناط بها، فالنساء قلوبهن أرق من قلوب الرجال، وهن أضعف عقولاً، وصبرهن أقل، فربما يقعن في زيارتهن في الأمور الممنوعة، والنفع الذي يكون فيها هو كونهن يتعظن، وإذا كانت الأمور المحذورة أو الممنوعة أكثر مما يرجى منه النفع فلا يجوز أن يؤذن لهن، ولا يجيز الشارع في مثل هذا، أما مجرد الاستغفار فيمكنهن أن يستغفرن وهن في بيوتهن.

٢٨٢. أما ما جاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم عائشة كيف تقول إذا زارت القبور، فهذا لا يدل على جواز الزيارة، ولكن إذا مرت المرأة في طريقها على القبور فيجوز لها أن تقول هذا الدعاء وهي سائرة في الطريق، وهذا غير ممنوع، فالذي يظهر أنه علمها هذا من أجل أنها إذا مرت على قبور في طريقها وهي سائرة أن تقول هذا الدعاء، فيبقى النهي على بابه، وهذا هو الراجح، فلا يجوز للنساء أن يزرن القبور، بل زيارتهن محرمة، وإذا جاء عن العلماء أنها مكروهة فإن هذه الكراهة تحمل على كراهة التحريم، ولا فرق بين زيارة القبور في المقابر، أو زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لا فرق بين هذا وهذا، فإذا منع النساء من زيارة قبور الناس فهن ممنوعات أيضاً من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٨٣. قال الشارح: [قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعن زوارات القبور) وذكر حديث ابن عباس ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب، ومثل هذا حجة بلا ريب.

٢٨٤. وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي ؛ فإنه جعل الحسن إذا تعددت طرقه، ولم يكن فيه متهم، ولم يكن شاذاً أي: مخالفاً لما ثبت بنقل الثقات.

٢٨٥. وهذا الحديث تعددت طرقه، وليس فيها متهم، ولا خالفه أحد من الثقات، هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب، وذاك عن آخر ؟ فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف.

٢٨٦. والذين رخصوا في الزيارة، اعتمدوا على ما روي عن عائشة رضي الله عنها: (أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وقالت: لو شهدتك ما زرتك)، وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال، إذ لو كان كذلك لاستحبت زيارته، سواء شهدته أم لا.

٢٨٧. قلت: فعلى هذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة.

٢٨٨. وهذا السياق لحديث عائشة رواه الترمذي من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثرم له عن عبد الله بن أبي مليكة أيضاً: (أن عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت لها: يا أم المؤمنين! أليس نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها).

٢٨٩. فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله عن هذا وقال: ولا حجة في حديث عائشة ، فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهي الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة.

٢٩٠. يبين ذلك قولها: (قد أمر بزيارتها) فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة.

٢٩١. ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور، لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: لما زرتك.

٢٩٢. واللعن صريح في التحريم، والخطاب بالإذن في قوله: (فزوروها) لم يتناول النساء، فلم يدخلن في الحكم الناسخ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي و أحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه.

٢٩٣. فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؟ إذ قد يكون قوله: (لعن الله زوارات القبور) بعد إذنه للرجال في الزيارة؛ يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنها محكم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وكذلك الآخر.

٢٩٤. والصحيح: أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه: أحدها: أن قوله صلى الله عليه وسلم: (فزوروها) صيغة تذكير وإنما يتناول النساء أيضاً على سبيل التغليب.

٢٩٥. لكن هذا فيه قولان: قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل.

٢٩٦. وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق.

٢٩٧. وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لاستحب لهن زيارة القبور، وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور.

٢٩٨. ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم علل الإذن للرجال بأن ذلك (يذكر الموت، ويرقق القلب، وتدمع العين) هكذا في مسند أحمد ، ومعلوم أن المرأة إذا فُتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضعف وقلة الصبر، وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسبباً للأمور المحرمة، فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة: أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علق الحكم بمظنتها فيحرم هذا الباب؛ سداً للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة، وكما حرم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك، وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها.

٢٩٩. ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك، ويحتج بقوله صلى الله عليه وسلم: (ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت) وقوله صلى الله عليه وسلم لـ فاطمة : (أما إنك لو بلغت معهم الكدى لم تدخلي الجنة) ويؤيده ما ثبت في الصحيحين: (من أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز)، ومعلوم أن قوله صلى الله عليه وسلم: (من صلى على جنازة فله قيراط، ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان) هو أدل على العموم من صيغة التذكير، فإن لفظ (من) يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وقد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي صلى الله عليه وسلم لهن عن اتباع الجنائز، فإذا لم يدخلن في هذا العموم فكذلك في ذلك بطريق الأولى.

٣٠٠. انتهى ملخصاً].." (١)

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للغنيمان ٣/٦٥

٣٠١. "لعب الزعيم الشيعي محمد باقر الصدر دورًا بارزًا في استنفار الحوزة العلمية لدعم أول حركة سياسية شيعية برزت في العراق، ووضعت إستراتيجياتها وتكتيكاتها على أساس تحقيق الهدف النهائي، وهو تسلم السلطة، وإقامة حكم إسلامي في مواجهة المد الشيوعي في العراق إثر انقلاب عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨. وبفضل الأفكار التي صاغها الصدر، تبوأ الحزب مركزًا متقدمًا في العمل السياسي والتنظيمي الشيعي قبل أن يصاب بنكسات جدية، بسبب حملات القمع والتصفية الجسدية التي طالته من السلطة التي شملت اغتيال الصدر عام ١٩٨٠؛ إضافة إلى الاختبار الوطني والقومي الصعب الذي كان على حزب شيعي عراقي أن يمر به أمام الانتصار الكاسح للثورة الإسلامية في إيران التي هي مشروع إيراني مهما كانت طبيعة الشيعة.(٨)

وأدت حملات القمع التي تعرض لها الحزب وقياداته إلى اجتثاث معظم قواعد الحزب، وهروب قياداته الباقية إلى الخارج، بالإضافة إلى حالة الخصومة التي دخل فيها الحزب مع منطلقات الثورة الإيرانية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى حدوث مجموعة من الانشقاقات في داخله –خلال الثمانينيات والتسعينيات– بسبب الخلاف حول مفاهيم ولاية الفقيه، والشورى، والدولة الإسلامية، وأيضًا حول حدود العلاقة مع إيران وهوية الحزب العراقية.(٩)

المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

يعتبر المجلس أكبر المنظمات التي تطرح نفسها كممثلة للأغلبية الشيعية في العراق، إلى جانب بعض الأحزاب والتنظيمات الأصغر حجمًا؛ وتأسس عام ١٩٨٠ على يد محمد باقر الحكيم، بعد فترة قصيرة من فراره إلى إيران؛ حيث تتمتع عائلته بنفوذ واسع في المؤسسة الشيعية، ولدى عشائر وسط وجنوب العراق؛ ويمتلك الحزب ميلشيا عسكرية.." (١)

٣٠٢. "وإلى جانب هذه التنظيمات فقد ظهرت خارج العراق مجموعات إسلامية شيعية أصغر؛ مثل حركة المجاهدين العراقيين، وجمعية العلماء المجاهدين، وحركة جند الإمام، والحركة الإسلامية، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الشيعية العلمانية، وفي مقدمتهم أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي الذي تكون عام ١٩٩٢ من أحزاب ومنظمات سياسية عراقية؛ ويعتبر أقرب حلفاء واشنطن من العراقيين؛ وكذا إياد علاوي الذي يترأس حركة الوفاق الوطني العراقي.(١٣)

تابع في نفس الملف:

---

(١) شيعة العراق .. عراك في عراك ص/٣

المرجعية.. سبب الخلافات بين الشيعة

حامد محمود**

٢٠٠٤/٠٦/٠١

مراجع الشيعة.. عامل تفتيت وليس توحيد

يُعَدُّ الخلاف سمة أساسية صبغت علاقة التنظيمات الشيعية السياسية، منذ نشأتها وتبلور اتجاهاتها السياسية في العراق الحديث؛ فالخلافات ليست وليدة اليوم أو لحظة سقوط صدام؛ وإنما هي متجذرة في البنية التنظيمية والعقائدية لهذه التنظيمات والتيارات التي لم يوجد بينها سوى هدف واحد، وهو السعي لإسقاط صدام بحيث يمكن القول: إنه لو أتيح لإحداها الاستيلاء على السلطة بمفردها لفعلت بالآخرين ما فعله صدام بمعارضيه.

فبالإضافة إلى الخلاف بين المجلس الأعلى للثورة ومنظمة العمل

الإسلامي –كما أوضحنا من قبل– فإن هناك خلافًا جذريًّا متعمقًا بين الحزب والمجلس الأعلى للثورة بالرغم من أن الحكيم كان أحد مؤسسي حزب الدعوة عام ١٩٥٨ مع الصدر؛ حيث يمتد أصل الخلاف بينهما إلى المرجعية الدينية للشيعة، حيث يعتز شيعة العراق بأن مرجعيتهم الدينية هي لإمام النجف الأشرف، ويمثلهم في هذا بعض قيادات حزب الدعوة؛ أما المجلس وزعماؤه فقد خضعوا لمؤثرات إيرانية قوية، سواء من ناحية المرجعية أو التوجه السياسي؛ حيث يبدو في أفكاره أقرب للنظرية السياسية للشيعة في إيران من مثيلتها لشيعة العراق.(١٤)." (١)

٣٠٣. "أما الاتجاه الرابع: فهو تيار الصدر الذي أثبت قدرة تعبوية هائلة منذ سقوط النظام، تمثلت بالسيطرة على أكبر تجمع شيعي في العراق، وهو من مدينة الثورة (صدام)؛ وهي حي عشوائي يقطنه مليونا شيعي شرق بغداد، وأطلق عليها مدينة الصدر. كما أثبت التيار الذي يقوده الزعيم الشاب قدرة تعبوية ملحوظة في باقي المدن والأحياء الشيعية، وإنشاء ميليشيات خاصة به أدارت الأمن بعد انهيار السلطة، مما يدل على طموحات واضحة لدى هذا التيار الذي يفتقر بدوره للخبرة السياسية، غير أنه يستند إلى تراث فقهي وفكر شيعي سياسي غني خلفه له والده الصدر، بالإضافة إلى كونه يمثل القومية العراقية العربية في مواجهة التنظيمات والمرجعيات ذات الأصول والرابطات الإيرانية.(٢٨)

---

(١) شيعة العراق .. عراك في عراك ص/٥

تابع في نفس الملف:

ﷺشيعة العراق.. عراك في عراك

ﷺالخارطة السياسية الشيعية

ﷺالمرجعية سبب الخلافات

ﷺالشيعة بين الصدر وآل الحكيم

ﷺأمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

** محلل سياسي مصري

١٤ – ١٥ – ١٦ – إبراهيم نوار، مصدر سبق ذكره.

١٧ – حسن فحص، فصائل المعارضة العراقية وخلافات حول الحصص في اجتماع في لندن، الحياة ٢٠٠٣/١/١٣.

١٨ – انظر تصريحات للحكيم، الحياة ٢٠٠٣/٤/١.

١٩ – الحياة ٢٠٠٣/١/١٣.

٢٠ – الشرق الأوسط، الحياة ٢٠٠٣/٤/٣.

٢١ – صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

٢٢ – انظر تصريحات الخوئي، الحياة ٢٠٠٣/٤/٤، وكذلك صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

٢٣ – الحياة ٢٠٠٣/٣/٧.

٢٤ – الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٢٤.

٢٥ – الحياة ٢٠٠٣/٤/٤.

٢٦ – ٢٧ – ٢٨ – صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

http://www.islamonline.net/Arabic/politics/2004/05/article16d.shtml - top#top

شيعة العراق.. عراك في عراك

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

مقتدى الصدر." (١)

٣٠٤. "وقد حاول الحكيم أن يجعل من عودته للعراق مماثلة لعودة الخوميني إلى طهران الذي هبطت طائرته في المطار، قادمة من باريس لتولي زمام الأمور بعد الثورة؛ حيث أجاب الحكيم على سؤال لدى عودته للعراق حول ما إذا كان سيصبح خوميني العراق، فلم يجب سوى بابتسامة؛ وقال: "إنه ليس سوى أحد جنود الثورة الإسلامية في العراق"(٤١)، إلا أنه بدأ يستعد لذلك؛ حيث أراد ترك رئاسة المجلس إلى أخيه عبد العزيز الحكيم ليتفرغ هو لشئون المرجعية السياسية؛ ولعل ذلك هو ما دفع بأنصار مقتدى الصدر إلى التهكم عليه، وانتقاده لمحاولته ممارسة دور الزعامة على الشيعة.

ومما سبق يمكن القول بأنه لا تعارض بين النظرية السياسية لمقتدى الصدر وتياره، وكذا لرئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، سواء في رئاسة محمد باقر الحكيم الذي اغتيل في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٣، أو رئاسة شقيقه عبد العزيز الحكيم؛ حيث يرى كلاهما ضرورة إقامة دولة إسلامية بالعراق على النمط الإيراني. إلا أن تيار الصدر يرى أنه الأحق بتولي الحكم وتطبيق النموذج الإسلامي؛ لأنه ظل بالعراق وقاوم بطش صدام، ويستند لقاعدة شيعية ضخمة يفتقر إليها أي تنظيم آخر، خاصة مع المكانة التي يحظى بها الصدر في أوساط العراقيين، بينما يرتبط المجلس وقادته من آل الحكيم بشبكة علاقات، خاصة مع إيران وأمريكا ودول الخليج، غير أنه يفتقد إلى قاعدة شعبية كبيرة لدى العراقيين الذين ينظرون إليهم على أنهم عملاء أو خونة متعاونون مع الاحتلال.

تابع في نفس الملف:

شيعة العراق.. عراك في عراك

الخارطة السياسية الشيعية

المرجعية سبب الخلافات

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

أمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

---

(١) شيعة العراق .. عراك في عراك ص/١٢

** محلل سياسي مصري

٢٩ – التقرير الإستراتيجي الخليجي ٢٠٠٣، دار الخليج للصحافة والنشر، الشارقة، ص ١٣٦.

٣٠ – الحياة، الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٢٤، ٢٠٠٣/٥/١.

٣١ – ٣٢ – الحياة ٢٠٠٣/٤/٢٤.

٣٣ – الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٥/١١.." (١)

٣٠٥. "ﷺالخارطة السياسية الشيعية

ﷺالمرجعية سبب الخلافات

ﷺالشيعة بين الصدر وآل الحكيم

ﷺأمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

** محلل سياسي مصري

٤٢– ٤٣– محمد شعير العراق تحت نيران الأباتشي، الأهرام ٢٠٠٤/٤/١٠.

*كان الحكيم قد حذر قبل الغزو الأمريكي للعراق من مواجهة قوات الأمريكيين للمقاومة المسلحة في حالة بقائها في العراق واعتبارها حربًا ضد الإسلام، الحياة ٢٠٠٣/٤/٤

٤٤ – الأهرام ٢٠٠٤/٤/١٠.

٤٥ – الأسبوع ٢٠٠٤/٤/١٢.

٤٦ – الأهرام ٢٠٠٤/٢/٢٩.

٤٧ – الأسبوع ٢٠٠٤/٤/١٢.

٤٨ – الأهرام ٢٠٠٤/٤/١٠.

**كان اتفاق سابق قد أبرم بين القوات الأمريكية والمراجع الشيعية عند دخولها لجنوب العراق نص على عدم تجاوز القوات العسكرية لدائرة قطرها ٣ كيلومترات من الأماكن المقدسة في مقابل عدم وجود مقاومة مسلحة.

لماذا لا يعلن "السيستاني" الجهاد المسلح؟*

السيد هاني فحص** ... ٢٠٠٤/٠١/٢٩

---

(١) شيعة العراق .. عراك في عراك ص/١٧

ليس متوقعا أن يتصاعد موقف المرجع الشيعي الأعلى السيد علي السيستاني إلى مستوى الإفتاء والحكم بالجهاد والمقاومة المسلحة ببساطة أو بسرعة، ذلك أن السيد الذي لا يقول بولاية الفقيه، لا يمارس دورا ولائيا في السياسة العراقية، محتفظا بموقعه الولائي المتفق عليه فقهيا في حدود الأمور الحسبية. وعلى فرضية مستبعدة في كون السيد السيستاني يفكر بالولاية على الشأن السياسي، فإنه من التعقل والعلم والحكمة وإدراك حساسية موقعه وعمومية هذا الموقع وحساسية الوضع العراقي، بحيث يأخذ في اعتباره أن هناك تعددا شيعيا لا يستطيع اختزاله، فضلا عن أن يكون يرى أو لا يرى مصلحة في هذا الاختزال.

تعدد الأدوار وتكاملها." (١)

٣٠٦. "وبعد كل هذا كان من الطبيعي أن تكون لدي فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها أو أعمالها، ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع الفرق الإسلامية الأخرى، والتي كانت بحد ذاتها تتناقض مع روح الإسلام والمنطق السليم، وهي كما أعتقد كانت ولم تزل وبالاً على المذهب الشيعي؛ حيث أدت إلى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم الإسلامي بل وفي العالم كله.

وأعتقد في الوقت نفسه أن سرد الأسباب لا يكفي لحل المعضلة فحسب؛ بل لا بد من تقديم حلول عملية أطلب من الشيعة في كل أرجاء الأرض أن يلتزموا بها إذا أرادوا خيري الدنيا والآخرة معاً، وقد وصلت إلى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى، وهي أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أن الإمام علياً أولى بالخلافة من غيره، لأنني أرى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين، تعتقد بأحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم، ولكن الوئام والأخوة والمحبة يسود بينها وبين أهل السنة والجماعة.

إذاً: السبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى ليس هو موضوع الخلافة، بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم، الأمر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الأخرى، ولو اكتفت الشيعة الإمامية بسلوك الزيدية لقلت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الإمامية وقعت في الخلفاء الراشدين تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت أدعو الله في آناء الليل وأطراف النهار أن يلهمني العلم والبصيرة، ويمنحني القوة والتوفيق لأداء رسالة التصحيح التي كنت أصبو إليها منذ سني الشباب، فكانت نتيجة تلك الدعوات

---

(١) شيعة العراق .. عراك في عراك ص/٢٤

الصالحات هي كتابي: (الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع) الذي أقدمه اليوم إلى الشيعة في كل زمان ومكان.." (١)

٣٠٧. "لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعاً وتطلعاً للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.

فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأساً، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل علياً على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.

كان معاوية يريد إنفاذ القصاص في قتلة خليفة المسلمين المغدور به عثمان، وقد أشيع عند أهل الشام أن الخليفة علياً امتنع عن معاقبة وملاحقة قتلة عثمان عند توليه خلافة المسلمين، وبدلاً من ذلك قاتل أهل الجمل، وترك أيضاً المدينة وسكن الكوفة وهي معقل قاتلي عثمان، وأن في جيشه من هو متهم في قتل خليفة المسلمين السابق.

وحرصاً من أمير المؤمنين على توضيح الأمر، وإبطال المزاعم المنشورة، ولمّ شتات المسلمين، أرسل كتاباً لمعاوية، مبيناً فيه إثبات أحقية خلافته كما ثبتت خلافة من قبله مع تبرؤه من دم عثمان رضي الله عنه، فقال: (إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباع سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى ، ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك، والسلام)(٦٣).." (٢)

٣٠٨. "تشير الروايات التاريخية إلى أنه لم يخرج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم ومن معهم من مكة إلى العراق مقاتلين، ولا داعين أو طامعين لنزع الخلافة من علي رضي الله عنه، بل خرجوا إرادة الإصلاح وحسم الخلاف، وتجميع المسلمين بتوحيد كلمتهم، والانتقام من قتلة خليفة

---

(١) صحوة الدكتور موسى الموسوي ص/٣

(٢) ما قاله الثقلان في أولياء الرحمن ص/٣٨

المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وإخراجهم من صفوف المسلمين في العراق، هذا ما ذكرته كتب التاريخ، ولم تكن معركة الجمل هي الأخيرة ولكن تبعتها بعد فترة معركة صفين.

ويمكن إجمال هذا الحدث الكبير في الآتي:

لما اقترب موعد الاتفاق بين جيش علي وجيش طلحة والزبير رضي الله عنهم على إخراج هؤلاء الخوارج من الجيش وقتلهم، وانزوى كل صف إلى معسكره، بعد هذا الأمر أبى أولئك الخوارج هذا التجمع المبارك والهدوء؛ لأنه اجتماع على قتلهم وقتالهم فسعوا في بث الفتنة بين الجيشين، وإشعال القتال بينهم بمؤامرة أخرى تكشف عن مكرهم وغدرهم، فدبروا المؤامرة ليلاً في قتلهم من كلا الجيشين أفراداً، حتى ظن كل من الجيشين غدر الآخر، وخفيت هذه المكيدة على الفريقين، فكانت سبباً في نشوب الحرب بين الصفين.

معركة صفين:

لم تكن معركة صفين مختلفة عن واقعة الجمل بأطرافها أو الغاية منها، لذا ذكر علماء التاريخ أن سبب الخلاف والقتال بين علي ومعاوية في صفين لم يكن بسبب أن لمعاوية طمعاً وتطلعاً للخلافة كما يدعي ويروج له الكثير من الكتاب.

فمعاوية لم يرفع إلى الخلافة رأساً، ولم يبايع له بها أحد من المسلمين، ولم يقاتل علياً على أنه خليفة، بل كان سبب الخلاف بين خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وأمير الشام معاوية أنه لم يمتثل بما أمره به خليفة المسلمين من عزله من ولاية الشام والإقرار له بالخلافة.." (١)

٣٠٩. "بدأت تتردد في وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة كلمة "الحجتية" وهي جماعة أو جمعية إيرانية شيعية تأسست قبل أكثر من ٥٠ عاماً، وسبب التركيز المتزايد على هذه الجماعة يعود إلى ما تشهده الساحة العراقية الآن من ازدياد القتل والاغتيالات وإشاعة الفوضى، وربَط البعض بين الوضع المأساوي الحالي في العراق، وبين الحجتية التي تعتقد أن عودة المهدي المنتظر عند الشيعة ستتحقق سريعاً بعد إشاعة الفوضى في الأرض.

كما ربط البعض بين الحجتية، وبين الرئيس الإيراني الحالي أحمدي نجاد، بسبب تصريحاته المتكررة عن عودة المهدي، وضرورة ترتيب الأوضاع في إيران استعداداً لعودته، معتبرين أن نجاد من المنتمين إلى

---

(١) ماقاله الثقلان في أولياء الرحمن ص/٤٠

الحجتية.

وهذا المقال محاولة للتعرف أكثر على هذه الجماعة، ومعرفة عقائدها، وتأسيسها، وانتشارها، وأهم شخصياتها، ووضعها الحالي، واصطدامها قديماً بفرقة البهائية بسبب النزاع حول شخصية المهدي المنتظر.

تأسيسها:

تأسست الحجتية سنة ١٩٥٣ على يد محمود الحلبي، واسمه الحقيقي محمود ذاكر زاده تولايي، وهو من شيوخ الشيعة الاثنى عشرية، وكان يتخذ من مدينة مشهد في خراسان مقراً له.

ويأتي اسم "الحجتية" نسبة إلى "الحجّة بن الحسن"، وهو أحد الأسماء الرمزية للمهدي المزعوم، أو الإمام الثاني عشر، الذي يدعي الشيعة أن اسمه "محمد بن الحسن العسكري".

أفكارها:

ويتمحور فكر هذه الجماعة حول شخصية المهدي المنتظر، إذ نفت أي ظهور للمهدي في الماضي، ودعت إلى انتظاره في المستقبل، وربطت قيامه بانتشار الفوضى والفساد في الأرض، إذ قالوا أن التعجيل بخروج الإمام الغائب يكون بإشاعة الفساد والظلم، والإكثار من القسوة، فبخروجه يملأ الأرض عدلاً، ولا يتحقق هذا إلاّ بإخلاء الأرض من أي ذرة خير وعدل، وتمكين الشر منها.." (١)

٣١٠. "قلنا: لقد سئم الجميع كثرة المشاريع التي يطرحها مقتدى، والتي تصل في كثير من الأحيان إلى التناقض، فتارة يشكل جيش المهدي، ويهدد به الأميركيين، ثم يعلن أنه جيش بدون سلاح، وتارة أخرى يهاجم الأميركان ويتوعدهم بحكومته الموهومة التي لا وجود لها على أرض الواقع، ثم يتودد إليهم ويقول أن الشر كله هو من صدام حسين.

أموال العتبات سبب النزاع

قالوا: ((موارد العتبات المقدسة في كربلاء هائلة، ويتحتم علينا شرعاً أن نستخدمها لشؤون العتبة، وهناك أفكار ودراسات لتطوير العتبات والأبنية التابعة لها)).

أحمد الصافي عضو اللجنة العليا لإدارة العتبات في كربلاء

النور العدد ١٥١ ديسمبر ٢٠٠٣

---

(١) مجلة الراصد-متخصصة في الفرق ص/٤

قلنا: لعل هذه الموارد الهائلة هي السبب التي جعل مقتدى الصدر وأنصاره يقتحمون ضريحي الحسين والعباسي في كربلاء بغية السيطرة عليهما، فالأموال الكثيرة التي تقدم للضريحين ويستولي عليها القائمون عليهما تغري مقتدى وأنصاره بعمل أي شيء حتى لو كان الطريق لذلك الاصطدام بالمرجعية ورجال الحوزة.

السلطة من أجل حفظ كيان الشيعة

قالوا: ((حفظ كيان الشيعة لا يتم إلا من خلال الوصول إلى السلطة)).

المرجع الشيعي محمد بحر العلوم

النور – العدد ١٥١ ديسمبر ٢٠٠٣

قلنا: كان بحر العلوم يتحدث في عام ٢٠٠١ خلال اجتماعات هدفت إلى تأسيس مجلس أعلى لشيعة العراق، وقضية السيطرة على السلطة عند الشيعة قضية جوهرية ذلك أنهم يعلمون أن السلطة والسيطرة والقمح هي أسرع الطرق لنشر مذهبهم، فالمذهب الشيعي لم ينتشر في إيران إلا بسياسة البطش التي مارسها الصفويون عندما حكموا إيران في بداية القرن السادس عشر الميلادي، أما إن ترك المذهب لقناعات الناس وتفكيرهم، فإن أصحاب العقول السليمة لن يختاروا التشيع والرفض على حساب المنهج الإسلامي الصافي المستمد من الكتاب الحكيم والسنة الصحيحة.

جولة الصحافة مقتدى الصدر يعلن تأسيس جمهورية زفتي

على الطريقة الصدّامية!

د. أحمد راسم النفيس." (١)

٣١١. "٢. جماعة الشيرازي، التي تنتسب إلى المرجع الشيعي محمد الشيرازي الذي بدأ ينشط في السبعينات بعد أن أبعد عن العراق إلى الكويت، ويعتبر الشيرازي الأب الروحي لمنظمة العمل الإسلامي في العراق، وكثير من مقلديه كانوا من مؤسسي جمعية الثقافة الاجتماعية الذين خرجوا من الجمعية بعد الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩.

ومركز الاستقطاب لهذه الجماعة يتمثل في مسجد الشيرازي في منطقة بنيد القار، وحسينية الرسول

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٣٣

الأعظم في منطقة الدّعية. وقد استخدمت جماعة الشيرازي أسلوب الأنشطة الثقافية والدينية في جذب الشباب الشيعي إلى صفوفهم، لكن الجماعة لم تستطع السيطرة على الشيعة في الكويت بسبب الخلافات بينها وبين جمعية الثقافة، وتشتت الشيعة في مناطق مختلفة بسبب التوسع العمراني، والهجوم الذي ووجه به الشيرازي من قبل المرجع الأعلى للشيعة آنذاك الخوئي، واعتباره غير أهل للمرجعية ولا الاجتهاد، وتكللت الأسباب بإبعاد الشيرازي من الكويت في بداية الثمانينات.

التواجد السياسي (١٩٦٢. ١٩٧٥)

في ١٩٦١/١٢/٣٠ تكوّن أول مجلس تأسيسي، وكانت مهمته الأساسية وضع دستور للبلاد، المعروف بدستور ١٩٦٢، وقد كفل قانون الانتخاب حق التصويت والترشيح لكافة الكويتيين بغض النظر عن الانتماء الطائفي، وقد مثل الشيعة في هذا المجلس نائبان.

و "لم تكن الكتلة البرلمانية الشيعية تمثل تكتلاً سياسياً متميزاً، كما لم تكن جزءاً من المعارضة السياسية داخل البرلمان، بل كانت جزءا أساسياً من المجموعة الموالية للسلطة السياسية.. ولم تتخذ الكتلة البرلمانية الشيعية موقفاً واضحاً من تزوير انتخابات مجلس الأمة الثاني عام ١٩٦٧، حيث شاركت في أعمال هذا المجلس المزور".." (١)

٣١٢. "وأوضحت المصادر التي تعمل على تغيير تلك المناهج وخاصة التاريخية والدينية منها أن المناهج الجديدة ستشير إلى أن الفرس ليسوا أعداء للعرب،وأنهم من أعمدة الإسلام، مذكرين بمناقبهم وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية، كما سيتم إلغاء الفقرات التي تشير إلى اضطلاع الفرس بعمليات التخطيط والاغتيال لعدد من الخلفاء الراشدين، ومن بينهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، والخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب. وتؤكد تلك المصادر أن من التغييرات التي ستطرأ على المناهج رفع كل الحوادث التاريخية التي تركز على الدور التآمري لأفراد من الفرس عبر التاريخ، بالإضافة إلى إدراج عدد من الشخصيات في مناهج التاريخ والتربية الإسلامية تكون ذات صبغة شيعية، منها إضافة تاريخ آل الصدر ضمن المناهج المستحدثة.

وتوقع عدد من خبراء التعليم في العراق أن تثير تلك الإضافات والتغييرات أزمة جديدة بين العراقيين، بسبب الخلاف الحاصل والتقاطع الكبير في وجهات النظر بين العراقيين حول الكثير من تلك الإضافات، وخاصة فيما يتعلق بإيران، ودور الفرس عبر التاريخ الإسلامي.

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٣٣

الدليمي: هناك مخطط لتدمير العراق وإحداث فتنة طائفية فيه

خالد الخواجا الرأي ٢٠٠٥/٨/٢٥

كشف المستشار الديني للرئيس العراقي جلال الطالباني ورئيس ديوان الوقف السني السابق الدكتور عدنان الدليمي عن «وجود مخطط لتدمير العراق (...) وأن هناك جهات تسعى إلى تأجيج الموقف وإحداث فتنة طائفية فيه»، دون أن يذكر اسمها.

سؤال: قتل ودمار وعمليات واغتيالات وغيرها من أعمال العنف المختلفة تشهدها الساحة العراقية ، ما حقيقة الأمر ،ومن يقوم بذلك؟." (١)

٣١٣. "وأثارت الصحافة المغربية بالموازاة مع هذا الجمع "خلافا مغربيا جزائريا حول الطريقة التيجانية" بل إن هناك من ذهب إلى حد اعتبار "الأمر يتعلق بحرب دينية بين المغرب والجزائر".

وكتبت يومية الصباح في عدد يوم الجمعة الماضي إن الجزائر "تبحث عن موقع داخل الحقل الديني المغربي ومنافسة إمارة المؤمنين في امتداداتها الدينية داخل عدد من الزوايا في الدول المجاورة."

وكانت الجزائر قد احتضنت في نوفمبر تشرين الثاني الماضي ملتقى دوليا للطريقة التيجانية في ولاية الأغواط. وولد احمد التيجاني مؤسس الطريقة في العام ١٧٣٧ ميلادية بقرية عين ماضي بالجزائر ثم انتقل الى العيش في المغرب. وأسس طريقته المتصوفة وتوفي في العام ١٨١٥ ميلادية ودفن بفاس. ويعيش المغرب والجزائر البلدان الجاران حساسيات سياسية بالأساس بسبب النزاع حول الصحراء الغربية بين المغرب وجبهة البوليساريو التي تدعمها الجزائر.

وتعهد البيان بالعمل على تجديد مثل هذه اللقاءات العالمية كل سنتين على ارض المملكة المغربية كما أكد على "اعتبار رسالة أمير المؤمنين محمد السادس وثيقة مرجعية جامعة لهذا اللقاء ونشرها على أوسع نطاق في جميع الزوايا أمام عشرات الملايين من المريدين في جميع أنحاء العالم، وذلك لتجسيد معاني الأخوة والتسامح والتضامن على أوسع نطاق."

وكان العاهل المغربي محمد السادس قد أثار في رسالة وجهها إلى المشاركين في بداية أشغال الملتقى دور

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٤٧

الملوك العلويين في "رعاية مشائخ الطريقة التيجانية، وترسيخ قيم الإسلام المثلى ومكارم الأخلاق العليا في أوساطهم الاجتماعية وبخاصة في بلدان الساحل والعمق الأفريقي."." (١)

٣١٤. "وحول علاقة إيران بدول آسيا الوسطى أكدت الباحثة خديجة عرفة محمد، على أن أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر كانت فرصة ذهبية لإعطاء مبرر وغطاء شرعيين لتواجد الولايات المتحدة في المنطقة، وكان رفض إيران هذا التواجد واضحاً في أكثر من موقف، أهمها موقفها من التصريح الذي أدلى به مساعد وزير الخارجية الأمريكي في ٢٤ آب أغسطس ٢٠٠١ حول دعم واشنطن لأذربيجان في خلافها مع إيران حول نفط بحر قزوين، وكان لهذا أثره البالغ لاحتواء دول المنطقة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً منذ هذه الأحداث وحتى الآن. وحول العلاقات الإيرانية – الأفغانية أكدت الباحثة ولاء البحيري على أن أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ قدمت فرصة ذهبية لا نظير لها كي تتمكن الحكومة الإيرانية عن طريق إدانتها الصريحة القاطعة لكل الأطراف المشتبه في ضلوعها في هذه الجريمة حتى يتم تهيئة الأجواء لترميم العلاقات مع أمريكا في وقت ملائم، وحول العلاقات الإيرانية بالاتحاد الأوروبي يرى الباحث أحمد طاهر أن هذه العلاقات اتسمت بالتوتر بشكل واضح بسبب الخلافات الجوهرية من وجهة نظر الجانبين إلا " أن إدراك الطرفين للأهمية المتبادلة لكل منهما دفع كل طرف إلى مزيد من الإهتمام بالطرف الآخر خصوصاً منذ عام ١٩٩٧ مع وصول الرئيس محمد خاتمي إلى السلطة والذي لقي ترحيباً أوربياً بسياساته الانفتاحية وعلاقاته الخارجية القائمة على التقارب وإزالة التوتر، وتسعى إيران كذلك للاستفادة من الدور الأوروبي اقتصادياً وعلى المستوى الدولي وتسعى إيران بجدية إلى ملء الفراغ الاستراتيجي في الخليج وآسيا الوسطى والقوقاز والاستعداد لاحتمالات المواجهة مع قوى كبرى وإقليمية خصوصاً في ضوء التغلغل الإسرائيلي في آسيا الوسطى من البوابة التركية، كما تسعى لتقويض أو تقليل الهيمنة الأمريكية على المنطقة، والعمل على بناء تحالفات قوية مع دول آسيا الوسطى والدول الخليجية ودول الشرق الأوسط.." (٢)

٣١٥. "العربية نت ٢٠٠٧/٣/٢٩

... يتم خلال الأيام القادمة في حي الزمالك الراقي بالقاهرة إعادة افتتاح دار التقريب بين السنة والشيعة التي أغلقها الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر بسبب الخلافات السياسية بين إيران

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٤٧

(٢) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٩٥

ومصر في ذلك الوقت. كما تعود إلى الصدور الأسبوع القادم مجلة "رسالة الإسلام" المتخصصة في المذهب الشيعي، بترخيص حكومي مصري.

... وقال حسان عبد الله حسان أحد المسؤولين عن دار التقريب لـ "العربية.نت" إن برنامج زيارة الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي لجامعة الأزهر الخميس ٢٩-٣-٢٠٠٦ ولقائه بالشيخ د.محمد سيد طنطاوي تضمن بحث سبل تفعيل الحوار بين المذاهب الإسلامية، وأن أحد آليات هذا التفعيل هو الاتفاق على إعادة افتتاح هذه الدار التي تأسست العام ١٩٤٨ في عهد الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق.

إصدار مجلة شيعية:

... وأضاف أنه تم الاتفاق أيضاً على إعادة إصدار مجلة "رسالة الإسلام" والمتخصصة في المذهب الشيعي بترخيص حكومي مصري وسوف يصدر العدد الأول منها الأسبوع القادم، وسيكون مضمون رسالته الإعلامية هو توضيح الفكر الشيعي الصحيح.

... وأوضح أنه تم أيضا الاتفاق على تفعيل دور لجنة التقريب بين المذاهب وأن تكون الدار هي مقر اجتماعاتها. وتتألف اللجنة من الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر السابق والدكتور محمد الدسوقي والمستشار أسامة عيسى نجل الشيخ عبد العزيز عيسى أحد مؤسسي دار التقريب.

... وسوف تضم اللجنة من الجانب الإيراني عبد الله اليمنى نجل الإمام القمنى والمقيم حاليا في القاهرة. ومن جانبه قال عبد الله القمنى لـ"العربية.نت" إن السعي نحو التقريب بين المذاهب الإسلامية قد بدأ يتسارع خلال هذه الفترة وذلك في محاولة لوقف نزيف الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة والتي زرع ثمارها الاحتلال الأمريكي للعراق، وأن زيارة خاتمي لجامعة الأزهر ولقائه بالدكتور طنطاوي تأتي تتويجاً لهذا التقارب.

التقريب بين السنة والشيعة:." (١)

٣١٦. "وكادت جلسة أمس أن تسجل جدلا منذ بدايتها، بعدما ذكر الناطق باسم كتلة المستقلين، عبد الله الدوسري، ان البلاد تشهد تزايدا في المسيرات و"عدم قانونية بعضها"، بيد انه أكد احترامه لحق حرية التعبير وفقا للدستور والقانون، قبل ان يطالب بإصدار بيان يحترم هيبة الدولة والقانون في هذه المسيرات.

---

(١) مجلة الراصد-متخصصة في الفرق ص/٩٥

لكن النائب الشيعي، الناطق باسم كتلة الوطنيين الديمقراطيين عبد النبي سلمان، انبرى له وطالبه بتأجيل مقترحه إلى نهاية الجلسة «بسبب الخلافات حوله وحساسيته».

وبعد مناقشة موضوعات مختلفة استمرت خمس ساعات، أعلن النائب الأول للبرلمان، الذي ترأس جلسة أمس، للأعضاء ان سبعة نواب «ينتمون إلى كتلتي الأصالة السلفية والإخوان المسلمين ومستقلين»، تقدموا باقتراح بصفة مستعجلة لاستصدار البيان.

وعلى الفور وقف سلمان الذي يعد احد أبرز الوجوه الشيعية في المجلس، وأعلن عدم موافقته على البيان، وشدّد على حق التظاهر السلمي، بعدما اعتبر مسيرة الوفاق حضارية، ولم تخرج على القانون، محذرا من «انعكاسات إغلاقها على سمعة البحرين الإقليمية والدولية».

ورأى أن يكون مجلس النواب أداة تهدئة وليس تصعيداً، مؤكدا الحاجة إلى العقلانية في التعاطي مع الشأن الداخلي، واصفاً تحرك الحكومة بأنه «مبالغ فيه»، وقال انها ليست بريئة من التصعيد. ودعا النواب إلى التأمل في البيانات لأنها «تشجع على الاحتقان».

واتفق الدكتور عبداللطيف الشيخ (الإخوان المسلمين) وأحد المطالبين بإصدار بيان، مع سلمان، في إصدار بيان متوازن، لكنه اعترض على طرح مضمون البيان للمناقشة.

لكن عضو الكتلة الإسلامية الشيعية، الشيخ عبدالله العالي، رفض عدم المناقشة، وأكد ان الاقتراح يتعلق بالمصلحة الوطنية «فكيف تتم الموافقة عليه من دون مناقشته». بيد ان زميله محمد آل عباس، خاطب النواب قائلا «لا يجوز أن نؤسس لأعراف وتقاليد تنال من حرية التعبير (...)، نحن مع سلمية ودستورية المسيرات».." (١)

٣١٧. "نسأل الله، سبحانه، أن يقرّب قلوبنا، ويوحّد صفوفنا، ويلهمنا حبّ بعضنا بعضاً، واحترامنا أفكار غيرنا، والوعي بكل مخاطر تحدق بنا.

﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَاءهُمُ البَيِّنَاتُ وَأولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

حسن الصفار :التقارب بين المذاهب، يتحطم فوق صخرة الخلل الثقافي والاجتماعي..!

حوار: فراس الجبريل مجلة فواصل العدد ١٦٣. ٢٠٠٥/٧/١

في هذه المقابلة مع الصفار أحد كبار شيعة السعودية نري نموذج واضح للإنتهازية السياسية ، فهو

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٩٧

ينكر أن يكون قد طعن في الصحابة مع أنه ثابت عليه ، لكنه لا ينكر حق الشيعة في هذا الطعن !!

كذلك هو يري ضرورة حصول طائفته على دور سياسي لكنه لا يطالب طائفته بإعطاء الآخرين حقوقهم ! كذلك هو يسعي للحصول على شرعية الوجود بسبب عدم انسجام الجامعة العربية ! أو بسبب الخلاف السلفي الصوفي !

راجع فاتحة القول لهذا العدد لمعرفة حقيقة القواسم المشتركة بين السنة والشيعة . الراصد

هناك فقهاء ورجال دين، غيورون على دينهم الإسلامي، ويسعون دوماً لوحدة الأمة، لمواجهة أخطار الخارج.. فهؤلاء تصالحوا مع أنفسهم، ونبذوا الخلافات بين المذاهب، ويحاولون دوماً إذابة جبال الثلج الذي يمنع التقارب بين السُنة والشيعة، ويشعل نيران الفتنة بين الأمة..

من بين هؤلاء التقينا سماحة الشيخ حسن الصفار، مفتي الشيعة ومرجعهم بالمملكة العربية السعودية،والذي أخذ على عاتقه القضاء على الخلافات والنزاعات بين السُنة والشيعة، واتساع رقعة الوعي بين المسلمين،بعيدا عن التشنج والعصبية التي قد تصل إلى حد التطرف.." (١)

٣١٨. "وقال الشيخ علي الأمين في حوار مع قناة «العربية»: لا شك أن أحداث في لبنان لها أبعاد خارجية وليس لها من أسباب داخلية. لأن اتفاق طائف قد أنصف الطوائف وحُلت المشكلة بين الطوائف وبدأت الدولة بالانطلاق ولكن الذي جرى تدخلات خارجية تريد تبقي لبنان ساحة لنفوذها من خلال السلاح من خارج الدولة؟

المذيعة: من تقصد؟ سمّ لي الدول؟

المفتي: أقصد بالدرجة الأولى طبعا حزب الله له ارتباطات بإيران.

المذيعة: يعني أنت تقصد إيران تريد أن تسيطر وهي تتدخل بشكل مباشر في لبنان؟

المفتي: طبعا هي تتدخل من طريق حزب الله وإلا مظاهر المشكلة في لبنان ليست داخلية على الإطلاق.

المذيعة: عندما نتحدث عن حزب الله دائما يقال إن هناك تنفيذًا لولاية الفقيه في لبنان هل هذا الأمر تراه صحيحًا أم هناك غلط فيما يقال؟

المفتي: لا شك أن حزب الله يعلن بأنه هو مرتبط بولاية الفقيه وأنه مطيع لأوامرها ومنفذ لتوجيهاتها

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/١١١

ليس في لبنان فحسب بل في كل المنطقة.

المذيعة: لكن الشيعة يرتبطون بالنجف في العراق والمعروف بأن الشيعة لا يعترفون بولاية الفقيه وأن القادة في حزب الله هم تخرجوا من النجف وليس من إيران؟

المفتي: عندما نتكلم عن حزب الله لا نتكلم عن الطائفة الشيعية. حزب الله هو حركة سياسية وجدت ضمن الطائفة الشيعية ولكنه لا يمثل وجهة نظر الطائفة الشيعية. الطائفة الشيعية كما قلت لك في بادىء الأمر هي لا تؤمن بمشروع ولاية الفقيه وإنما تؤمن بمشروع ولاية الدولة اللبنانية.. والطائفة الشيعية في عموم البلدان العربية لا تؤمن بوجود ولاية سياسية للفقيه أو الفقهاء عليها، وإنما الولاية لأوطانها وبلدانها وليست لولاية الفقيه عبر القارات..

ملف مؤتمر البهائية في مصر

انشقاقات بين أعضاء المجموعة المتزعمة لمؤتمر "البهائيين" بسبب الخلافات الفكرية." (١)

٣١٩. "فى حوار أخير لوزير الأوقاف الدكتور حمدى زقزوق، سئل: عن أن البعض يتحسب من أن هناك مدا شيعيا فى مصر؟ فأجاب: هذه القضية ليست مطروحة داخل وزارة الأوقاف على الإطلاق، وكون أن هناك مدا شيعيا من عدمه فهذا أمر مبالغ فيه تماما، ونحن ليست لدينا حساسية ضد الشيعة كشيعة وسبب الخلاف بين السنة والشيعة هو سياسيا وليس دينيا، وبالتالي نحن ضد الاستخدام السياسي للمذهب الشيعي. لعل وزير الأوقاف لم يكن يتوقع أن تصل الأمور إلى حد إهانة الصحابة والسيدة عائشة.. كما حدث منذ أيام.. ولكنه كان واضحا في موقفه الرافض للاستخدام السياسي للمذهب الشيعي.. وهو ما نؤكد عليه ونعضده.. ونراه المشكلة الحقيقية. لكن المشكلة الحقيقية هي أن المناخ الإقليمي يوفر عوامل عديدة تؤدى إلى خطر التشيع السياسي.. ومشكلة التشيع الديني.. وهو ما تستثمره إيران من خلال الحشد الإعلامي والسياسي الذي يساند توجهاتها في المنطقة.. وبالتالي فإن القضية التي يمكن أن تقوض كل هذا هي أن تجد حلا.. وأن تقوم بتحريك مؤشر في عملية السلام.. يؤدى إلى سحب البساط من تحت أقدام هذه الألعاب الإيرانية.

---

(١) مجلة الراصد-متخصصة في الفرق ص/١٤٨

إنها مرة أخرى، وربما المرة الألف، قضية فلسطين.. وحتى يحين الحل فإن الانتباه الاستراتيجي على المستويات السياسية والدينية والإعلامية يجب أن يكون في أقصى نقطة.." (١)

٣٢٠. "٢ ـ ما ذهب إليه النيسابوري والبغوي وغيرهما من قصر التفسير على الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها غير مسلم ، فالتفسير بمعناه المفهوم لا يتم بهذا وحده ، وإنما لابد من النظر والاستنباط حتى يتم التوضيح والإظهار والبيان ، أي التفسير ، فما ذكروه من أنه تأويل هو أيضا تفسير ، ومثله ما ذكره ابن الأثير .

٣ ـ كلام الراغب الأصفهاني لا يمنع اطلاق التأويل على التفسير .

٤ ـ كلام الشريف الجرجاني يشير إلى نوعى التفسير المعروفين ، وهما : التفسير المأثور أو النقلي ، وهو يتعلق بالرواية ، والتفسير العقلي ، وهو يتعلق بالدراية ، وما ذكره عن كل منهما صحيح ، غير أنه سمى أحدهما تفسيراً والآخر تأويلاً ، وتفسير القرآن الكريم يجمع الاثنين .

وقد بين ابن تيمية سبب الخلاف في فهم المراد بالتأويل فقال : " أصل ذلك أن لفظ التأويل فيه اشتراك بين ما عناه في القرآن ، وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف ، وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن"(١) ثم بين أن معاني التأويل ثلاثة ، فقال : " التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم : هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف ...

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان :

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا ، وهذا ـ والله أعلم ـ هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله ، ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره : القول في تأويل قوله كذا وكذا ، واختلف أهل التأويل في هذه الآية ، ونحو ذلك ، ومراده التفسير .

---

(١) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية ١ / ١٠٦ .." (٢)

---

(١) مجلة الراصد–متخصصة في الفرق ص/٢١٧

(٢) مع الاثني عشرية في الأصول والفروع٢ ص/٩

٣٢١. "لعب الزعيم الشيعي محمد باقر الصدر دورًا بارزًا في استنفار الحوزة العلمية لدعم أول حركة سياسية شيعية برزت في العراق، ووضعت إستراتيجياتها وتكتيكاتها على أساس تحقيق الهدف النهائي، وهو تسلم السلطة، وإقامة حكم إسلامي في مواجهة المد الشيوعي في العراق إثر انقلاب عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨. وبفضل الأفكار التي صاغها الصدر، تبوأ الحزب مركزًا متقدمًا في العمل السياسي والتنظيمي الشيعي قبل أن يصاب بنكسات جدية، بسبب حملات القمع والتصفية الجسدية التي طالته من السلطة التي شملت اغتيال الصدر عام ١٩٨٠؛ إضافة إلى الاختبار الوطني والقومي الصعب الذي كان على حزب شيعي عراقي أن يمر به أمام الانتصار الكاسح للثورة الإسلامية في إيران التي هي مشروع إيراني مهما كانت طبيعة الشيعة.(٨)

وأدت حملات القمع التي تعرض لها الحزب وقياداته إلى اجتثاث معظم قواعد الحزب، وهروب قياداته الباقية إلى الخارج، بالإضافة إلى حالة الخصومة التي دخل فيها الحزب مع منطلقات الثورة الإيرانية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى حدوث مجموعة من الانشقاقات في داخله –خلال الثمانينيات والتسعينيات– بسبب الخلاف حول مفاهيم ولاية الفقيه، والشورى، والدولة الإسلامية، وأيضًا حول حدود العلاقة مع إيران وهوية الحزب العراقية.(٩)

المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

يعتبر المجلس أكبر المنظمات التي تطرح نفسها كممثلة للأغلبية الشيعية في العراق، إلى جانب بعض الأحزاب والتنظيمات الأصغر حجمًا؛ وتأسس عام ١٩٨٠ على يد محمد باقر الحكيم، بعد فترة قصيرة من فراره إلى إيران؛ حيث تتمتع عائلته بنفوذ واسع في المؤسسة الشيعية، ولدى عشائر وسط وجنوب العراق؛ ويمتلك الحزب ميلشيا عسكرية.." (١)

٣٢٢. "وإلى جانب هذه التنظيمات فقد ظهرت خارج العراق مجموعات إسلامية شيعية أصغر؛ مثل حركة المجاهدين العراقيين، وجمعية العلماء المجاهدين، وحركة جند الإمام، والحركة الإسلامية، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الشيعية العلمانية، وفي مقدمتهم أحمد الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي الذي تكون عام ١٩٩٢ من أحزاب ومنظمات سياسية عراقية؛ ويعتبر أقرب حلفاء واشنطن من العراقيين؛ وكذا إياد علاوي الذي يترأس حركة الوفاق الوطني العراقي.(١٣)

تابع في نفس الملف:

---

(١) مقالات في التشيع ٣/٥٩

المرجعية.. سبب الخلافات بين الشيعة

حامد محمود**

٢٠٠٤/٠٦/٠١

مراجع الشيعة.. عامل تفتيت وليس توحيد

يُعَدُّ الخلاف سمة أساسية صبغت علاقة التنظيمات الشيعية السياسية، منذ نشأتها وتبلور اتجاهاتها السياسية في العراق الحديث؛ فالخلافات ليست وليدة اليوم أو لحظة سقوط صدام؛ وإنما هي متجذرة في البنية التنظيمية والعقائدية لهذه التنظيمات والتيارات التي لم يوجد بينها سوى هدف واحد، وهو السعي لإسقاط صدام بحيث يمكن القول: إنه لو أتيح لإحداها الاستيلاء على السلطة بمفردها لفعلت بالآخرين ما فعله صدام بمعارضيه.

فبالإضافة إلى الخلاف بين المجلس الأعلى للثورة ومنظمة العمل

الإسلامي -كما أوضحنا من قبل- فإن هناك خلافًا جذريًّا متعمقًا بين الحزب والمجلس الأعلى للثورة بالرغم من أن الحكيم كان أحد مؤسسي حزب الدعوة عام ١٩٥٨ مع الصدر؛ حيث يمتد أصل الخلاف بينهما إلى المرجعية الدينية للشيعة، حيث يعتز شيعة العراق بأن مرجعيتهم الدينية هي لإمام النجف الأشرف، ويمثلهم في هذا بعض قيادات حزب الدعوة؛ أما المجلس وزعماؤه فقد خضعوا لمؤثرات إيرانية قوية، سواء من ناحية المرجعية أو التوجه السياسي؛ حيث يبدو في أفكاره أقرب للنظرية السياسية للشيعة في إيران من مثيلتها لشيعة العراق.(١٤)." (١)

٣٢٣. "أما الاتجاه الرابع: فهو تيار الصدر الذي أثبت قدرة تعبوية هائلة منذ سقوط النظام، تمثلت بالسيطرة على أكبر تجمع شيعي في العراق، وهو من مدينة الثورة (صدام)؛ وهي حي عشوائي يقطنه مليونا شيعي شرق بغداد، وأطلق عليها مدينة الصدر. كما أثبت التيار الذي يقوده الزعيم الشاب قدرة تعبوية ملحوظة في باقي المدن والأحياء الشيعية، وإنشاء ميليشيات خاصة به أدارت الأمن بعد انهيار السلطة، مما يدل على طموحات واضحة لدى هذا التيار الذي يفتقر بدوره للخبرة السياسية، غير أنه يستند إلى تراث فقهي وفكر شيعي سياسي غني خلفه له والده الصدر، بالإضافة إلى كونه يمثل القومية العراقية العربية في مواجهة التنظيمات والمرجعيات ذات الأصول والرابطات الإيرانية.(٢٨)

---

(١) مقالات في التشيع ٥/٥٩

تابع في نفس الملف:

شيعة العراق.. عراك في عراك

الخارطة السياسية الشيعية

المرجعية سبب الخلافات

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

أمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

** محلل سياسي مصري

١٤ - ١٥ - ١٦ - إبراهيم نوار، مصدر سبق ذكره.

١٧ - حسن فحص، فصائل المعارضة العراقية وخلافات حول الحصص في اجتماع في لندن، الحياة ٢٠٠٣/١/١٣.

١٨ - انظر تصريحات للحكيم، الحياة ٢٠٠٣/٤/١.

١٩ - الحياة ٢٠٠٣/١/١٣.

٢٠ - الشرق الأوسط، الحياة ٢٠٠٣/٤/٣.

٢١ - صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

٢٢ - انظر تصريحات الخوئي، الحياة ٢٠٠٣/٤/٤، وكذلك صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

٢٣ - الحياة ٢٠٠٣/٣/٧.

٢٤ - الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٢٤.

٢٥ - الحياة ٢٠٠٣/٤/٤.

٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - صلاح النصراوي، مصدر سبق ذكره.

شيعة العراق.. عراك في عراك

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

حامد محمود**

٢٠٠٤/٠٦/٠١

مقتدى الصدر." (١)

٣٢٤. "وقد حاول الحكيم أن يجعل من عودته للعراق مماثلة لعودة الخوميني إلى طهران الذي هبطت طائرته في المطار، قادمة من باريس لتولي زمام الأمور بعد الثورة؛ حيث أجاب الحكيم على سؤال لدى عودته للعراق حول ما إذا كان سيصبح خوميني العراق، فلم يجب سوى بابتسامة؛ وقال: "إنه ليس سوى أحد جنود الثورة الإسلامية في العراق"(٤١)، إلا أنه بدأ يستعد لذلك؛ حيث أراد ترك رئاسة المجلس إلى أخيه عبد العزيز الحكيم ليتفرغ هو لشئون المرجعية السياسية؛ ولعل ذلك هو ما دفع بأنصار مقتدى الصدر إلى التهكم عليه، وانتقاده لمحاولته ممارسة دور الزعامة على الشيعة.

ومما سبق يمكن القول بأنه لا تعارض بين النظرية السياسية لمقتدى الصدر وتياره، وكذا لرئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، سواء في رئاسة محمد باقر الحكيم الذي اغتيل في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٣، أو رئاسة شقيقه عبد العزيز الحكيم؛ حيث يرى كلاهما ضرورة إقامة دولة إسلامية بالعراق على النمط الإيراني. إلا أن تيار الصدر يرى أنه الأحق بتولي الحكم وتطبيق النموذج الإسلامي؛ لأنه ظل بالعراق وقاوم بطش صدام، ويستند لقاعدة شيعية ضخمة يفتقر إليها أي تنظيم آخر، خاصة مع المكانة التي يحظى بها الصدر في أوساط العراقيين، بينما يرتبط المجلس وقادته من آل الحكيم بشبكة علاقات، خاصة مع إيران وأمريكا ودول الخليج، غير أنه يفتقد إلى قاعدة شعبية كبيرة لدى العراقيين الذين ينظرون إليهم على أنهم عملاء أو خونة متعاونون مع الاحتلال.

تابع في نفس الملف:

شيعة العراق.. عراك في عراك

الخارطة السياسية الشيعية

المرجعية سبب الخلافات

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

أمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

** محلل سياسي مصري

---

(١) مقالات في التشيع ١٢/٥٩

٢٩ – التقرير الإستراتيجي الخليجي ٢٠٠٣، دار الخليج للصحافة والنشر، الشارقة، ص ١٣٦.
٣٠ – الحياة، الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٤/٢٤، ٢٠٠٣/٥/١.
٣١ – ٣٢ – الحياة ٢٠٠٣/٤/٢٤.
٣٣ – الشرق الأوسط ٢٠٠٣/٥/١١.." (١)

٣٢٥. "وفي المقابل فإن السيستاني يخشى هو الآخر مواجهة خطر الإبعاد أو الترحيل، أو حتى القتل من جانب أنصار الصدر؛ وكان قد واجه خطر الترحيل أثناء الغزو الأمريكي في العام الماضي من جانب أنصار الصدر الذين حاصروه بسبب فتواه الشهيرة التي دعا فيها الشيعة العراقيين إلى عدم مواجهة قوات الغزو، لا سيما في ضوء تزايد قوة وسطوة تيار الصدر؛ وهو ما يشكل خطرًا على زعامته الروحية ومكانته، خاصة مع وجود مرجعية أخرى يستند عليها الصدر في اتجاهاته –وهو الشيخ محمد كاظم الحائري– الذي يمكن أن يصبح بديلا عن السيستاني في حال سيطرة الصدر على الوضع الداخلي.

ونهاية.. فإنه بالرغم من عدم استبعاد أي مفاجآت في عالم السياسة الشيعي –وفي القلب منه المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بينما يخرج عن إطاره الصدر وأتباعه حديثي الخبرة– سواء من تحالفات أو مؤامرات؛ فإنه يمكن القول بأن الصدر أصبح يمثل الرقم الصعب في المشهد العراقي الراهن، لا سيما في ضوء تزايد شعبيته. وكما أكد على ذلك عبد السلام الكبيسي –رئيس هيئة علماء السنة في العراق– الذي أشار إلى اتفاق الرأي بينه وبين الصدر في مواجهته مَن وصمهم بالعمالة القادمين من إيران الذين تحركهم أطماع النفوذ والسلطة.

ولعل الأيام القليلة المقبلة ستكشف عن حقائق جديدة في الوضع الشيعي الداخلي في العراق، خاصة في ضوء صمت المجلس الأعلى على انتهاك القوات الأمريكية لحرمته المدن المقدسة، وحالة الغموض التي تكتنف موقف السيستاني المرجعية العليا لشيعة العراق، بينما تدفع الأحداث الصدر والسنة إلى التوحد؛ وهو ما يشير إلى نهاية قريبة للمعادلة برمتها في العراق، وظهور معادلة أخرى جديدة تغير الوضع بشكل كلي.

تابع في نفس الملف:
شيعة العراق.. عراك في عراك

---

(١) مقالات في التشيع ١٧/٥٩

الخارطة السياسية الشيعية

المرجعية سبب الخلافات

الشيعة بين الصدر وآل الحكيم

أمريكا تضرب الصدر بمجلس الثورة

** محلل سياسي مصري." (١)

٣٢٦. "لما لم يظهر في الرواية السابقة ، جاءت الرواية عنه أيضاً أنه قال : يا ثابت إن الله كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما أن قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة [اشتد غضب الله . فأخر البداء المعروف عند الشيعة] . قال : فحدثناكم أنه سيخرج سنة ١٤٠ فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر ، فلم يجعل الله له بعد ذلك عندنا وقتا .

كيف يقولون هذا ؟ وخروج الحسين أصلا كان بأمر من الله له ؟ كما يدّعون وأن الحسين لا يموت إلا باختياره ، وإنه إنما خرج بأمر الله تبارك وتعالى له ، وإن الإمام عندهم لا يموت إلا بعلمه ، فجاءت الرواية التي تكذب كل ما سبق عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال : كذب الوقاتون إنا أهل البيت لا نوقّت .

طيب ... والمواقيت التي مرت !! ، لا شك أنها كذب إذن على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءت الرواية الثانية عن أبي عبد الله قال : من وقت لمهدينا وقتا فقد شارك الله تعالى في علمه ، البحار ٥٣ /٣

روايات مضطربة ..... كيف الخروج من هذه الروايات ؟؟؟؟

للخروج منها جاءت الرواية الفاصلة التي تقطع الإشكال كله ، عن أبي جعفر أنه قال : إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله تؤجروا مرتين .

وللأسف وجدت هذه الرواية آذانا صاغية ، وقبلت هذه الرواية ، وهم كما يرون عن أبي الحسن أنه قال : الشيعة تربى بالأماني منذ ٢٠٠ سنة ، وهذا في الكافي ١/ ٣٩٦

---

(١) مقالات في التشيع ٥٩/٢٣

سبب الخلاف ؟

لماذا اختلفت هذه المدد ؟ مرة بسبب قتل الحسين ، ومرة بسبب أنهم أذاعوا الستر ، ومرة يكذبون ما رووا ، فيقولون : كذب الوقاتون ، وهلك المستعجلون ، والسبب في ذلك كله هو أن الوضع والكذب يكون بحسب المناسبات ، ثم باختلاف الأشخاص ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .." (١)

٣٢٧. "(عن طلحة بن خراش قال:سمعت جابراً يقول:لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي:" يا جابر مالي أراك منكسراً "؟ فقلت:يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالاً وديناً. فقال:" أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ " قال:قلت:بلى يا رسول الله. قال:"ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكله كفاحاً، فقال:يا عبدي تمن علي أعطك. قال:يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل:إنه سبق مني (أنهم إليها لا يرجعون) " رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والحاكم وقال:صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي . وحسنه أيضاً الألباني في "ظلال الجنة".

وهو حديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلاً عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها) انتهى نقلاً من "تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي" (٢/٣٨-٣٩).

ويستفاد منه أيضاً أن جابر رضي الله عنه لم يكن يعلم عن النعيم الذي كان يتنعم به والده رضي الله عنه.

* *

ذكر بعض الأدلة التي تثبت عدم إمكانية رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة:

(من الأدلة على ذلك أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم ولم يظهر لهم، نذكر منها:

- انه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة رضي الله عنهما على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه

---

(١) من هو المهدي ص/١٣

إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة" رواه البخاري وغيره.." (١)

٣٢٨. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له:." (٢)

٣٢٩. "وبعد خمسة عشر يومًا لقيت ألفا هاشم فقلت له: هل أتممت الرسالة التي أمرك الشيخ بتأليفها؟ فقال: ما أكملتها بعد فأمهلني فانتظرت خمسة عشر يوما أخرى ولقيته فسألته فقال لي: الآن ما أتممتها، فحثثته على إتمامها برفق. فذهب إلى الأمير وقال له: نحن نعتقد أنك أمير هذا البلد وأنت الحام فيه وقد آذاني محمد تقي الدين الهلالي وصار يتحكم في ويأمرني وينهاني، فدعاني الأمير وقال لي: ما سبب الخلاف بينك وبين ألفا هاشم؟ فقلت له: ليس بيني وبينه خلاف وحكيت له

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية /١٠

(٢) موسوعة الرد على الصوفية /٢١

القصة من أولها إلى آخرها فقال: أنا آخذ الكتاب منه وأبعثه إلى الشيخ فقلت له: أنت لا تعرف ما يتضمنه الكتاب، وهل هو واف بالمطلوب أو غير واف وإنما كلفني الشيخ عبد الله بن حسن بقراءته قبل إرساله إليه لأني أعرف هذه الطريقة وأعرف ما يجب على التائب منها ما يقول لأني كنت متمسكا بها تسع سنين، وانصرفت من عنده ولم أطالب ألفا هاشم بعد ذلك بشيء ولم يؤلف شيئا.." (١)

٣٣٠. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له:." (٢)

٣٣١. "(من الأدلة على عدم إمكانية رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم – يقظة أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٢٢٤/٣٩

(٢) موسوعة الرد على الصوفية ١٨٥/٧٣

ولم يظهر لهم، نذكر منها:

- انه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي- صلى الله عليه وسلم - بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة رضي الله عنهما على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿ نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة ﴾ رواه البخاري وغيره.

- الخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يحقن هذه الدماء؟

- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جداً منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم .

- أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول:(ثلاث وددت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا) متفق عليه.فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له: لا تحزن حكمها كذا وكذا) اه .

* * * *

* ثانياً:." (١)

٣٣٢. "فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذين نزلت فيه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بعرفة يوم الجمعة(١).

الجواب:

في هذا اتباع لليهودي الذي ذكر طبعهم من كونهم يحتفلون بالوقائع والحوادث والذي يريد منا المستدل

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٢/٧٥

بهذا الدليل أن نتبعهم فيه، ولم يلق بالا إلى أن عمر رضي الله عنه رغم معرفته بزمان ومكان نزول الآية إلا أنه لم يكترث لقول اليهودي ولم يدفعه هذا لأن يحتفل بذلك اليوم ولا غيره، فيا ترى أمرنا باتباع بهدي الخلفاء الراشدين أم بمقولات اليهود، أم أن اليهودي كان أفقه من عمر وصحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم -!!!

إن الاحتفال بالمولد يشتمل على كثير من أعمال البر كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والصدقة، ومدح وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكر شمائله الشريفة وأخباره المنيفة، وكلُّ هذا مطلوب شرعاً ومندوب إليه.

وما كان يبعث ويساعد على المطلوب شرعاً فهو مطلوب، لذا قال تعالى مخبراً أنه هو وملائكته يصلون على النبي: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب ٥٦].

الجواب:

قد يحتوي المولد على ما هو مرغب فيه كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسماع بعض الفوائد العلمية وقراءة سيرته صلى الله عليه وسلم، وهذه كلها مرغب فيها بلا شك، ولهذا ليس الإشكال هنا بل في نقطة أخرى وهي تخصيص أسلوب ووقت وهيئة مخصوصة بحيث يصبح الذكر والصلاة على النبي مع غيرها بمثابة عمل واحد له صفته المخصوصة التي يتقرب بها على جهة التعبد، وهذا هو ما أخرج المولد من المشروعية إلى البدعية.

الفرع الثالث

سبب الخلاف والترجيح

أولا: سبب الخلاف:

من خلال ذكر أدلة الفريقين يظهر أن الخلاف في مسألة المولد تنبع من سببين:

الأول: هل الاحتفال بالمولد يسلك به مسلك العبادات أو العادات.

فالعبادات الأصل فيها التوقف والاتباع، بخلاف العادات .

---

(١) البخاري ٢٥/١ ومسلم ٢٣١٢/٤." (١)

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٦/٨٩

٣٣٣. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسالة واحدة إن ثبتت ثبتَت الطريقة كلها، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخْذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق حق وإن بَطُل ادعاؤه ذلك فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أو أبدأ أنا فقلت ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعليَّ الجواب فقال :

الأول : إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصِل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يُكلِّم أحدا يقظة بعد موته لكلَّم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي ألف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالداه وأولاده وأزواجه لا الحفدة فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له :." (١)

٣٣٤. "٣- ذكر أن الخلافات في العقيدة ضيقة وقال : (الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا إلى فتاوى ابن تيمية واقرءوا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري حتى نفهم أن هؤلاء جهلة) ا هـ .

والجواب أن يقال :

لا شك أنه ضل بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة كالمعتزلة والجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم ، وأيضا الأشاعرة ضلوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة وما عليه خيار هذه الأمة من أئمة الهدى من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان والأئمة المهتدين فيما تأولوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله ، وأبو الحسن الأشعري رحمه الله ليس من الأشاعرة . وإن انتسبوا إليه؛ لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السنة ، فمدح الأئمة له ليس مدحا لمذهب الأشاعرة .

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٧/٩٢

ولا يصح أن يرمى من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السنة بالجهل؛ لأن حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم ، أما من أخذ بالكتاب والسنة وقواعد الشرع المعتبرة وسار على طريق سلف الأمة وأنكر كل من تأول أسماء الله وصفاته أو شيئا منها على غير تأويلها فإنه لا يرمى بالجهل . .

قوامة الرجال

٤- قال : (إنما القوامة للرجل قوامة تكليف وليست قوامة تشريف)

والجواب أن يقال :

هذا خطأ ، والصواب أن يقال : إن قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وتشريف لقول الله جل وعلا : الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا

فأوضح سبحانه أنه جعل الرجال قوامين على النساء لأمرين : أحدهما : فضل جنس الرجال على جنس النساء ، والأمر الثاني : قيام الرجال بالإنفاق على النساء بما يدفعونه من المهور وغيرها من النفقات .

التفويض الصحيح للكيفية لا للمعاني." (١)

٣٣٥. "(من الأدلة على عدم إمكانية رؤية النبي - صلى الله عليه وسلم - يقظة أن أموراً عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين أظهرهم

ولم يظهر لهم، نذكر منها:

- انه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي- صلى الله عليه وسلم - بسبب الخلافة، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم.

- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة رضي الله عنهما على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿ نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركنا صدقة ﴾ رواه البخاري وغيره.

- الخلاف الشديد الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين من جهة أخرى، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل، فقتل فيها خلق كثير من

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٥٣/١٥٥

الصحابة والتابعين، فلماذا لم يظهر لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يحقن هذه الدماء؟
– الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مع الخوارج، وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.
– النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قتل خلق كثير جداً منهم عمار بن ياسر. فلماذا لم يظهر النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم .
– أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على جلالة قدره وعظمة شأنه كان يظهر الحزن على عدم معرفته ببعض المسائل الفقهية فيقول:(ثلاث وددت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا) متفق عليه.فلو كان يظهر لأحد بعد موته لظهر لعمر الفاروق وقال له: لا تحزن حكمها كذا وكذا) اهـ .
* * * *

* ثانياً:." (١)

٣٣٦. "قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٢/٢٢٢

وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له:." (١)

٣٣٧. "ومنذ أعوام قليلة كانت اللهجة في غاية الحدة وهو ما يظهر من هذا النموذج. يقول د. عثمان الرواف، في مقالة بعنوان: كيف نقرأ التوجهات الإيرانية في الخليج: ١ - بعض القيادات السياسية الإيرانية المتطرفة لم تزل تتمسك بمبدأ تصدير الثورة وتدعو بشكل علني إلى مواجهة وتحدي دول مجلس التعاون تمهيداً لإقامة أنظمة إسلامية ثورية متطرفة فيها. ٢ - وفئة أكبر من القيادات الإيرانية - كما ذكرنا سابقاً - تُحمّل دول مجلس التعاون مسئولية الهزائم التي ألحقها العراق بإيران خلال حرب الخليج الأولى. ٣ - ومجموعة من القيادات الإيرانية بما فيها بعض القيادات الرسمية غير المتطرفة تُحمّل دول مجلس التعاون أيضاً مسئولية وجود القوات الأمريكية في الخليج وترى في وجود هذه القوات تهديداً مباشراً للمصالح الإيرانية وتحجيماً لدور إيران العسكري في الخليج. ٤ - كما أن بعض هذه القيادات تعتبر دول مجلس التعاون مسئولة - بسبب سياساتها البترولية. عن مشاكل إيران الاقتصادية الحالية. ٥ - وبعض القيادات الإيرانية، وبالرغم من الثوب الديني الذي تلبسه والخطاب الإسلامي الذي تتبناه تحمل شيئاً من العداء لدول مجلس التعاون مدفوعة بالاعتبارات القومية الفارسية التي كانت مسئولة في السابق عن توتر علاقات إيران الشاه بدول المجلس بين الفترة والأخرى. ٦ - وأخيراً فإن بعض القيادات الإيرانية - ذات الأفق المذهبي الضيق - تحمل توجهات غير ودية أو توجهات معادية لدول مجلس التعاون بسبب الخلاف المذهبي القديم وتعتقد هذه القيادات - مخطئة - أن بإمكانها الاعتماد على تعاطف الشيعة من أبناء دول مجلس التعاون معها. وإذا تأملنا في الأسباب الستة المستعرضة للعداء الإيراني المحتمل والظاهر أحياناً نحو دول مجلس التعاون، وجدنا أن ثلاثة منها ترتبط بتوجهات أيديولوجية أومذهبية أو قومية تنبع من القيادات السياسية الإيرانية نفسها، والأسباب الثلاثة الأخرى - والخاصة بدعم دول المجلس." (٢)

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٨/٢٥٣

(٢) ويل للعرب مغزى التقارب الإيراني مع الغرب والعرب ص/٤٧

٣٣٨. "والمقصود هنا أن منشأ النزاع في (الأسماء والأحكام) في الإيمان والإسلام أنهم لما ظنوا أنه لا يتبعض، قال أولئك : فإذا فعل ذنبًا زال بعضه فيزول كله فيخلد في النار، فقالت الجهمية والمرجئة : قد علمنا أنه ليس يخلد في النار، وأنه ليس كافرًا مرتدًا، بل هو من المسلمين، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنًا تام الإيمان، ليس معه بعض الإيمان؛ لأن الإيمان عندهم لا يتبعض، فاحتاجوا أن يجعلوا الإيمان شيئًا واحدًا يشترك فيه جميع أهل القبلة، فقال فقهاء المرجئة : هو التصديق بالقلب والقول باللسان، فقالت الجهمية بعد تصديق اللسان قد لا يجب إذا كان الرجل أخرس أو كان مكرهًا فالذي لابد منه تصديق القلب، وقالت المرجئة : الرجل إذا أسلم كان مؤمنًا قبل أن يجب عليه شيء من الأفعال .

وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص، والصحابة قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قول أئمة السنة، وكان ابن المبارك يقول : هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ (ينقص) ، وعن مالك ـ في كونه لا ينقص ـ روايتان، والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع، ودلت النصوص على نقصه كقوله : (لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن) ونحو ذلك، لكن لم يعرف هذا اللفظ إلا في قوله في النساء : (ناقصات عقل ودين) ، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص .

وذلك أن أصل أهل السنة : أن الإيمان يتفاضل من وجهين : من جهة أمر الرب، ومن جهة فعل العبد .

أما الأول : فإنه ليس الإيمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الإيمان الذي أمر به كل شخص، فإن المسلمين في أول الأمر كانوا مأمورين بمقدار من الإيمان، ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك، وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقبلة، فكان من الإيمان في أول الأمر الإيمان بوجوب استقبال بيت المقدس، ثم

صار من الإيمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة، فقد تنوع الإيمان في الشريعة الواحدة .." (١)

٣٣٩. "وهذا المنهج والأسلوب نلمسه في كتابنا هذا في أكثر من موضع، فنراه لمّا ذكر أن اتباع غير سبيل المؤمنين بالهوى وبالظن وبالعادات المردودة مقت وبدعة، يدعو لنفسه فيقول: " اللهم اصرف قلوبنا إلى طاعتك "١.

ولّما ذكر ما أنعم الله به على هذه الأمة المحمدية من وضع الإصر والأغلال عنها، وإباحة طيبات كثيرة حرمت على أهل الكتاب يذيل كلامه بقوله: "فلله الحمد على دين الإِسلام الحنيفي، فإنه يسر، ورفق، ورحمة للعالمين"٢.

ولّما ذكر البدع وتنوعها تعوذ منها في قوله: "فبدع العقائد تتنوع أعاذك الله وإيانا منها" ٣.

ونحو ذلك في مواطن من الكتاب.

وهذا هو أسلوب الذهبي في كتبه ومؤلفاته، وهو قرينة قوية على صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الذهبي رحمة الله عليه، والله أعلم.

ثالثاً: موضوع الكتاب:

بدأ المؤلف كتابه ببيان أن البدعة مذمومة في الجملة، وأَنها تشريع في الدين لم يأذن به الله.

وبيَّن أنّ اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أصلٌ ونور وأنَّ مخالفته ضلال ووبال.

ثم أورد النصوص الداعية إلى اتباع السنة، والمحذرة من الابتداع.

ثم تكلم على تحديد مفهوم السنة والبدعة، ومنشأ النزاع في البدعة وأنه نشأ من جهة قوم ظنوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والتابعون أو لم يقولوه.

---

١ انظر: ص ١٠٩.

٢ انظر: ص ١٢٢.

٣ انظر: ص ١٢٦.." (٢)

---

(١) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٤٣٦

(٢) التمسك بالسنن والتحذير من البدع الذهبي، شمس الدين ص/٨٤

٣٤٠. "وفي السنن لسلمان١ مرفوعاً: "ما سكَت الله عنه فهو مما عفا عنه"٢.

حديث أبي ثعلبة٣ مرفوعاً: "وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"٤.

فكل ما سكت الشارع عنه هل يسمى حلالاً أو عفوا؟، فيه قولان للعلماء.

فالبدعة المذمومة، لابُدَّ أن تندرجَ في القسم المذموم محرمة كانت أو مكروهة.

كما أن السنة المحبوبة مندرجة في القسم المحمود.

[منشأ النزاع في تحديد مفهوم البدعة]

وإنما نشأ النزاع من جهة قوم ظَنُّوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتابعون، أو لم يقولوه.

١هو أبو عبد الله، سلمان الفارسي، ويقال: سلمان الخير، أصله من رام هرمز، وقيل: من أصبهان، أول مشاهده الخندق، مات سنة ٣٤ ويقال: بلغ ثلاثمائة سنة. ابن حجر: الإصابة ٢٢٣/٤.

٢ ت: كتاب اللباس، باب: ما جاء في لبس الفراء: ٢٢٠/٤ح١٧٢٦، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلاّ من هذا الوجه"، قال: وروى سفيان وغيره عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله: "وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظا".

وأخرجه الحاكم: المستدرك ١١٥/٤ وقال: "هذا حديث مفسر في الباب، وسيف بن هارون –راوي الحديث عن سليمان التيمي– لم يخرجاه"، وقال الذهبي: "ضعفه جماعة".

البيهقي: السنن ١٢/١٠.

٣ في الأصل (أبي نغيله) وهو تصحيف، وهو أبو ثعلبة الخشني.

٤ الحاكم المستدرك ١١٥/٤، وسكت عليه الذهبي.

البيهقي: السنن ١٢/١٠ موقوفاً على أبي ثعلبة الخشني، قال البيهقي: "وأنبأنيه شيخنا أبو عبد الله الحاكم في المستدرك، وأشار إلى رفعه الدارقطني / السنن، كتاب الرضاع: ١٨٣/٤-١٨٤ح٤٢.

وحسنه ابن رجب في: جامع العلوم والحكم١٥٠/٢.." (١)

---

(١) التمسك بالسنن والتحذير من البدع الذهبي، شمس الدين ص/٩٧

٣٤١. "يقوله أكثر الناس وهو قول الهاشمية والكلابية والنجارية والضرارية وكثير من الكرامية على ثلاثة أقوال وكثير من الكتب ليس فيها إلا القولان الأولان والصواب أنه ليس مركبا لامن هذا ولا من هذا كما قد بسط في موضعه

والمقصود هنا بيان منشأ النزاع في مسمى الجسم والنظار كلهم متفقون فيما أعلم على أن الجسم يشار إليه وأن اختلفوا في كونه مركبا من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة أولا من هذا ولا من هذا وقد تنازع العقلاء أيضا هل يمكن وجود موجود قائم بنفسه لا يشار إليه ولا يمكن أن يرى على ثلاثة أقوال فقيل لا يمكن ذلك بل هو ممتنع وقيل بل هو ممتنع في المحدثات الممكنة التي تقبل الوجود والعدم دون الواجب وقيل بل ذلك ممكن في الممكن والواجب وهذا قول بعض الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الملل ومثبتو ذلك يسمونها المجردات والمفارقات وأكثر العقلاء يقولون إنما وجود هذه في الأذهان لا في الأعيان وإنما يثبت من ذلك وجود نفس الإنسان التي تفارق بدنه وتتجرد عنه

فإذا عرف تنازع النظار في حقيقة الجسم فلا ريب أن الله سبحانه ليس مركبا من الأجزاء المنفردة ولا من المادة والصورة ولا يقبل سبحانه التفريق والاتصال ولا كان متفرقا فاجتمع بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فهذه المعاني المعقولة من التركيب كلها منتفية عن الله تعالى لكن المتفلسفة ومن وافقهم تزيد على ذلك وتقول إذا كان موصوفا بالصفات كان مركبا وإذا كانت له حقيقة ليست هي مجرد الوجود كان مركبا فيقول لهم المسلمون المثبتون للصفات النزاع ليس في لفظ المركب فإن هذا اللفظ إنما يدل على مركب ركبه غيره ومعلوم أن فلانا لا يقول أن الله تعالى مركب بهذا الاعتبار وقد يقال لفظ المركب على ما كانت أجزاؤه متفرقة فجمع إما جمع امتزاج وإما غير امتزاج كتركيب الأطعمة والأشربة." (١)

٣٤٢. "ص -٥٠٦- يقوله أكثر الناس وهو قول الهاشمية والكلابية والنجارية والضرارية؟ وكثير من الكرامية على ثلاثة أقوال وكثير من الكتب ليس فيها إلا القولان الأولان والصواب أنه ليس مركبا لامن هذا ولا من هذا كما قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا بيان منشأ النزاع في مسمى الجسم والنظار كلهم متفقون فيما أعلم على أن الجسم يشار إليه وأن اختلفوا في كونه مركبا من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة أولا من هذا ولا من هذا وقد تنازع العقلاء أيضا هل يمكن وجود موجود قائم بنفسه لا يشار إليه ولا يمكن أن يرى على ثلاثة أقوال

---

(١) بيان تلبيس الجهمية - ابن تيمية ٤٨٣/١

فقيل: لا يمكن ذلك بل هو ممتنع وقيل: بل هو ممتنع في المحدثات الممكنة التي تقبل الوجود والعدم دون الواجب وقيل: بل ذلك ممكن في الممكن والواجب وهذا قول بعض الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الملل ومثبتو ذلك يسمونها المجردات والمفارقات وأكثر العقلاء يقولون إنما وجود هذه في الأذهان لا في الأعيان وإنما يثبت من ذلك وجود نفس الإنسان التي تفارق بدنه وتتجرد عنه.

فإذا عرف تنازع النظار في حقيقة "الجسم" فلا ريب أن الله سبحانه ليس مركبا من الأجزاء المنفردة ولا من المادة والصورة ولا يقبل سبحانه التفريق والاتصال ولا كان متفرقا فاجتمع بل هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فهذه المعاني المعقولة من التركيب كلها منتفية عن الله تعالى لكن المتفلسفة ومن وافقهم تزيد على ذلك وتقول: إذا كان موصوفا بالصفات كان مركبا وإذا كانت له حقيقة ليست هي مجرد الوجود كان مركبا فيقول لهم المسلمون المثبتون للصفات النزاع ليس في لفظ "المركب" فإن هذا اللفظ إنما يدل على مركب ركبه غيره ومعلوم أن فلانا لا يقول أن الله تعالى مركب بهذا الاعتبار وقد يقال: لفظ "المركب" على ما كانت أجزاؤه متفرقة فجمع إما جمع امتزاج وإما غير امتزاج كتركيب الأطعمة والأشربة." (١)

٣٤٣. "ومثل هذا الكلام إذا أريد به النهي عن كل من الفعلين فإنه قد يعاد فيه حرف النفي كما تقول : لا تكفر ولا تسرق ولا تزن ومنه قوله تعالي ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩]

وأما إذا لم يعد حرف النفي فيكون لارتباط أحد الفعلين بالآخر مثل أن يكون أحدهما مستلزما للآخر كما قيل : لا تكفر بالله وتكذب أنبياءه ونحو ذلك

وما يكون اقترانهما ممكنا لا محذور فيه لكن النهي عن الجميع فهو قليل في الكلام ولذلك قل ما يكون فيه الفعل الثاني منصوبا والغالب علي الكلام جزم الفعلين

وهذا مما يبين أن الراجح في قوله : (وتلبسوا) أن تكون الواو واو العطف والفعل مجزوما ولم يعد حرف النفي لأن أحد الفعلين مرتبط بالآخر مستلزم له فالنهي عن الملزوم . وإن كان يتضمن النهي عن اللازم فقد يظن أنه ليس مقصودا للنهي وإنما هو واقع بطريق اللزوم العقلي

ولهذا تنازع الناس في الأمر بالشيء : هل يكون أمرا بلوازمه ؟ وهل يكون نهيا عن ضده ؟ مع اتفاقهم علي أن فعل المأمور لا يكون إلا مع فعل لوازمه وترك ضده ومنشأ النزاع : أن الآمر بالفعل قد لا

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٣/٤٩

يكون مقصوده اللوازم ولا ترك الضد ولهذا إذا عاقب المكلف لا يعاقبه إلا علي ترك المأمور فقط لا يعاقبه علي ترك لوازمه وفعل ضده

وهذه المسألة هي الملقبة بأن : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد غلط فيها بعض الناس فقسموا ذلك إلي ما لا يقدر المكلف عليه كالصحة في الأعضاء والعدد في الجمعة ونحو ذلك مما لا يكون قادرا علي تحصيله وإلي ما يقدر عليه كقطع المسافة إلي الحج وغسل جزء من الرأس في الوضوء وإمساك جزء من الليل في الصيام ونحو ذلك فقالوا : ما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب." (١)

٣٤٤. "وأولئك قالوا : يكون ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون فلزمهم أن يكون عاجزا مغلوبا وإن كانوا لا يكرمون عجزه فهؤلاء لم يجعلوا لله الملك وأولئك لم يجعلوا الحمد والله تعالى له الملك وله الحمد هؤلاء أرادوا إثبات إلهيته وأنه معبود محمود حكيم عادل فقصروا في ذلك ونقصوه موجب ربوبيته وقدرته ومشيئته وهؤلاء أثبتوا موجب ربوبيته وقدرته ومشيئته لكنهم نقصوا موجب إلهيته وحكمته ورحمته وحمده وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على منشأ النزاع في الوجوب كما نبهنا على النزاع في ترتيب الوجوب وأما الحصول فكثير من الناس يقول : المعرفة لا تحصل إلا بالعقل وقد يسرف هؤلاء حتى لا يثبتوا أشياء من صفات الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا إلا بالعقل وصرح هؤلاء بأنه لا يستدل بنصوص الرسل على شيء من صفات الله تعالى لا إثباتا ولا نفيا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ومن اتبعهم من متأخري الأشعرية ويجعلون أصول الدين هي : العقليات المحضة التي لا تعلم بالسمع ثم قد يعينون من الطرق العقلية ما هو باطل عقلا وشرعا كطريقة الأعراض وطريقة التركيب وطريقة الاختصاص وإلى هذه الثلاث تعود جميع أصول النفاة ويقابلهم آخرون فيقولون : المعرفة لا تحصل إلا بالسمع ولا تحصل بالعقل وربما قالوا : إنه لا يمكن حصولها بالعقل وقد بينا في غير هذا الموضع أن الأدلة العقلية والسمعية متلازمة كل منهم مستلزم صحة الآخر فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله وتوحيده وصفاته وصدق أنبيائه

ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي والعقليات لا تتضمن السمعي ثم افترقوا فمنهم من رجح السمعيات وطعن في العقليات ومنهم من عكس

---

(١) درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية ١٤١/١

وكلا الطائفتين مقصر في المعرفة بحقائق الأدلة السمعية والعقلية ثم تجد هؤلاء وهؤلاء في أتباع الأئمة : مالك و الشافعي و أحمد وغيرهم." (١)

٣٤٥. "

٣٤٦. والمقصود هنا التنبيه على منشأ النزاع في الوجوب كما نبهنا على النزاع في ترتيب الوجوب وأما الحصول فكثير من الناس يقول المعرفة لا تحصل إلا بالعقل وقد يسرف هؤلاء حتى لا يثبتوا أشياء من صفات الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا إلا بالعقل وصرح هؤلاء بأنه لا يستدل بنصوص الرسل على شيء من صفات الله تعالى لا إثباتا ولا نفيا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ومن اتبعهم من متأخري الأشعرية ويجعلون أصول الدين هي العقليات المحضة التي لا تعلم بالسمع ثم قد يعينون من الطرق العقلية ما هو باطل عقلا وشرعا كطريقة الأعراض وطريقة التركيب وطريقة الاختصاص وإلى هذه الثلاث تعود جميع أصول النفاة ويقابلهم آخرون فيقولون المعرفة لا تحصل إلا بالسمع ولا تحصل بالعقل وربما قالوا إنه لا يمكن حصولها بالعقل وقد بينا في غير هذا الموضع أن الأدلة العقلية والسمعية متلازمة كل منهما مستلزم صحة الآخر فالأدلة العقلية تستلزم صدق الرسل فيما أخبروا به والأدلة السمعية فيها بيان الأداة العقلية التي بها يعرف الله وتوحيده وصفاته وصدق أنبيائه

٣٤٧. ولكن من الناس من ظن أن السمعيات ليس فيها عقلي والعقليات

٣٤٨. ." (٢)

٣٤٩. "وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١] ، وقوله: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] ، وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] ، وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] ، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [الفجر: ٢٢]

ومن الأحاديث قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم في حديث الشفاعة: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله» (١) .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل – ابن تيمية ٩/٨٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل . موافق للمطبوع ٨/٢٤

وقوله عليه الصلاة والسلام: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» (٢)
.

والخلاف في الصفات الاختيارية هو في القسم الثالث الذي فيه معنى الصفة والفعل؛ لأن القسم الأول قد اتفق أهل السنة على إثباته وأنه قديم غير مخلوق، خلافاً للجهمية الذين نفوا الصفات جملة.

وأما القسم الثاني فلم يخالف أحد في مخلوقيته.

وأما القسم الثالث: فهو موضع الخلاف ومنشأ النزاع والناس فيه على أقوال:

أحدها: أن الجميع إضافته إضافة ملك، وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض، ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته، وهذا قول المعطلة نفاة الصفات.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٣٩٥ كتاب التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح، ومسلم في صحيحه ١/١٨٥ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) سبق تخريجه ص٢٣٨.." (١)

٣٥٠. "وهذا المنهج والأسلوب نلمسه في كتابنا هذا في أكثر من موضع، فنراه لمّا ذكر أن اتباع غير سبيل المؤمنين بالهوى وبالظن وبالعادات المردودة مقت وبدعة، يدعو لنفسه فيقول: " اللهم اصرف قلوبنا إلى طاعتك "١.

ولمّا ذكر ما أنعم الله به على هذه الأمة المحمدية من وضع الإصر والأغلال عنها، وإباحة طيبات كثيرة حرمت على أهل الكتاب يذيل كلامه بقوله: "فلله الحمد على دين الإسلام الحنيفي، فإنه يسر، ورفق، ورحمة للعالمين"٢.

ولمّا ذكر البدع وتنوعها تعوذ منها في قوله: "فبدع العقائد تتنوع أعاذك الله وإيانا منها" ٣.

ونحو ذلك في مواطن من الكتاب.

وهذا هو أسلوب الذهبي في كتبه ومؤلفاته، وهو قرينة قوية على صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الذهبي رحمة الله عليه، والله أعلم.

ثالثاً: موضوع الكتاب:

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٢٥٣

بدأ المؤلف كتابه ببيان أن البدعة مذمومة في الجملة، وأَنها تشريع في الدين لم يأذن به الله.
وبيَّن أنّ اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أصلٌ ونور وأنَّ مخالفته ضلال ووبال.
ثم أورد النصوص الداعية إلى اتباع السنة، والمحذرة من الابتداع.
ثم تكلم على تحديد مفهوم السنة والبدعة، ومنشأ النزاع في البدعة وأنه نشأ من جهة قوم ظنوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والتابعون أو لم يقولوه.

---

١ انظر: ص ١٠٩.

٢ انظر: ص ١٢٢.

٣ انظر: ص ١٢٦.

ثم بين أن طريقة أهل الأثر التفريق بين البدعة الشرعية، والبدعة اللغوية. ونقل كلام الإمام الشافعي في تقسيم البدعة.

ثم بيّن خطأ قول من قال إن البدعة هي: "ما نهي عنها لعينها، وما لم يرد فيه نهي لا يكون بدعة ولا سنة"، وبين ما يلزم هذا القول من تعطيل معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة".." (١)

٣٥١. "فالبدعة على هذا: ما لا يأمر الله به ولا رسوله، ولم يأذن فيه، ولا في أصله.

فعلى هذا: كُلّ ما نهى الله ورسوله عنه فهو من البدعة.

أما المباحُ المسكوتُ عنه فلا يُعَدُّ سنةً ولا بدعةً، بل هُما مِمَّا عفا الله عنه.

---

١ ليست في الأصل زدتها لاقتضاء السياق، واللفظة مأخوذة من قول المؤلف عند تفصيله القول في ذلك حيث قال: "كما أن السنة المحبوبة..." ص٩٧.

٢ وهو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، له تصانيف كثيرة، منها:كتاب: "الشريعة" و"الرؤية" وغيرهما، توفي بمكة سنة٣٦٠هـ .

٣ طبع بتحقيق الشيخ: محمد حامد الفقي.

وفي السنن لسلمان١ مرفوعاً: "ما سكَت الله عنه فهو مما عفا عنه"٢ .

---

(١) كتاب التمسك بالسنن للذهبي ص/١٧

حديث أبي ثعلبة٣ مرفوعاً: "وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"٤.
فكل ما سكت الشارع عنه هل يسمى حلالاً أو عفوا ؟، فيه قولان للعلماء.
فالبدعة المذمومة، لابُدَّ أن تندرجَ في القسم المذموم محرمة كانت أو مكروهة.
كما أن السنة المحبوبة مندرجة في القسم المحمود.
[منشأ النزاع في تحديد مفهوم البدعة]
وإنما نشأ النزاع من جهة قوم ظَنُّوا أن البدعة هي ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتابعون، أو لم يقولوه.

١هو أبو عبد الله، سلمان الفارسي، ويقال: سلمان الخير، أصله من رام هرمز، وقيل: من أصبهان، أول مشاهده الخندق، مات سنة ٣٤ ويقال: بلغ ثلاثمائة سنة. ابن حجر: الإصابة ٤/٢٢٣.
٢ ت: كتاب اللباس، باب: ما جاء في لبس الفراء: ٤/٢٢٠ح١٧٢٦، وقال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلاّ من هذا الوجه"، قال: وروى سفيان وغيره عن سليمان التميمي عن أبي عثمان عن سلمان قوله: "وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظا".." (١)

٣٥٢. "والخلاف في الصفات الاختيارية هو في القسم الثالث الذي فيه معنى الصفة والفعل؛ لأن القسم الأول قد اتفق أهل السنة على إثباته وأنه قديم غير مخلوق، خلافاً للجهمية الذين نفوا الصفات جملة.
وأما القسم الثاني فلم يخالف أحد في مخلوقيته.
وأما القسم الثالث: فهو موضع الخلاف ومنشأ النزاع والناس فيه على أقوال:
أحدها: أن الجميع إضافته إضافة ملك، وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض، ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته، وهذا قول المعطلة نفاة الصفات.
ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أول من ابتدع هذا القول في الإسلام الجهمية، وقد ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين(١١٨) .

---

(١) كتاب التمسك بالسنن للذهبي ص/٢٤

الثاني: أن كل ما يضاف إلى الله هو صفة لله وإن كان بائناً عنه، وقال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزلية وهي صفة لله، وأن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد المصاحف قديم أزلي، وهو صفة لله، وقال بهذا القول الحلولية.

الثالث: أن صفات الله وأفعاله الاختيارية من الغضب والرضى والمحبة والبغض والإرادة وغيرها: إما أن تكون قديمة قائمة بالرب بأعيانها عند من يجوز ذلك وهم الكلابية، وإما مخلوقاً منفصلاً عنه فهو يلحق بأحد القسمين السابقين، فيمتنع أن يقوم به نعت أو حال أو فعل، أو شيء ليس بقديم، ويسمون هذه المسألة (مسألة حلول الحوادث بذاته) (١١٩).

وقال بهذا المعتزلة وبعض الكلابية والأشعرية، وكثير من الحنبلية ومن اتبعهم من الفقهاء والصوفية وغيرهم.

الرابع: أن صفات الله وأفعاله الاختيارية قسم ثالث: فهي ليست من المخلوقات المنفصلة عن الله، وليست بمنزلة الذات والصفات القديمة الواجبة التي لا تتعلق بها مشيئته، لا بأنواعها، ولا بأعيانها، وهذا قول سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورين بالإمامة، وهو القول الصحيح.." (١)

٣٥٣. "مثبتية إنما يحدث أعراضا وصفات وإلا فالجواهر باقية ولكن اختلف تركيبها وينبني على ذلك الإستحالة فمثبتة الجوهر الفرد يقولون لا تستحيل حقيقة إلى حقيقة أخرى ولا تنقلب الأجناس بل الجواهر يغير الله عز وجل تركيبها وهي باقية والأكثرون يقولون باستحالة بعض الأجسام إلى بعض وانقلاب جنس إلى جنس وحقيقة إلى حقيقة كما تنقلب النطفة إلى علقة والعلقة إلى مضغة والمضغة عظاما وكما ينقلب الطين الذي خلق الله منه آدم لحما ودما وعظاما وكما تنقلب المادة التي تخلق منها الفاكهة ثمرا ونحو ذلك وهذا قول الفقهاء والأطباء وأكثر العقلاء وكذلك ينبني على هذا تماثل الأجسام فأولئك يقولون الأجسام مركبة من الجواهر وهي متماثلة فالأجسام متماثلة والأكثرون يقولون بل الأجسام مختلفة الحقائق وليست حقيقة التراب حقيقة النار ولا حقيقة النار حقيقة الهواء وهذه المسائل مسائل عقلية لبسطها موضع آخر والمقصود هنا بيان منشأ النزاع في مسمى الجسم والنظار كلهم متفقون فيما أعلم على أن الجسم يشار إليه وإن اختلفوا في كونه مركبا من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة أو لا من هذا ولا من هذا

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ١٠٦/١٧٨

٢

٥٣٣." (١)

٣٥٤. "فمحل العلم لا ينقسم لأن ما ينقسم لا يحل في منقسم وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين بعض ما في هذا الكلام من الغلط مع أن هذا عندهم هو البرهان القاطع الذي لا يمكن نقضه وقواهم على ذلك أن بعض من عارضهم كأبي حامد والرازي لم يجيبوا عنه بجواب شاف بل أبو حامد قد يوافقهم على ذلك ومنشأ النزاع إثبات ما لا ينقسم بالمعنى الذي أرادوه في الوجود الخارجي فيقال لهم لا نسلم أن في الوجود ما لا يتميز منه شيء عن شيء فإذا قالوا النقطة قيل لهم النقطة والخط والسطح الواحد والإثنان والثلاثة قد يراد بها هذه المقادير مجردة عن موصوفاتها وقد يراد بها ما اتصف بها من المقدرات في الخارج فإذا أريد الأول فلا وجود لها إلا في الأذهان لا في الأعيان فليس في الخارج عدد مجرد عن المعدود ولا مقدار مجرد عن المقدر لا نقطة ولا خط ولا سطح ولا واحد ولا اثنان ولا ثلاثة بل الموجودات

٢

٥٧٧." (٢)

٣٥٥. "اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث والسنة). (١)

وإلا فالأصل في هذه المسألة إنها ليست من مأثور صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا تابعيهم كما قال الإمام الطبري " وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا تابعي قضى ". (٢) فمن أين جاءت هذه المسألة الحادثة ومتى بدأت؟

أول من عرف عنه هذه المسألة أبو علي الحسين بن علي الكرابيسي فقيه معاصر للإمام أحمد كان مشتغلاً بالعلم وصحب الإمام الشافعي وهو أول من قال " لفظي بالقرآن مخلوق " فبلغ قوله الإمام أحمد فأنكره وقال: بدعة ثم قال الإمام أحمد: إنما بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها وتركوا الآثار.

---

(١) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٣١٥/١٨٣

(٢) مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها ٣٤٧/١٨٣

(٣)

وهذه المسألة دقيقة بين العلماء فهماً وقولاً ولذلك قال ابن قتيبة " وإنما اختلفوا في فرع لم يفهموه لغموضه ولطف معناه فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه. (٤)

ولما قال الكرابيسي لفظنا بالقرآن مخلوق أراد بعض أهل السنة أن يردوا عليه فقال ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة فردوا البدعة ببدعة.

ولبيان حقيقة هذه المسألة العظيمة وأن منشأ النزاع فيها الذي - كما يصفه ابن تيمية - لا يكاد ينضبط أنه يعود إلى أصلين:

أحدهما: أن أفعال العباد مخلوقة.

---

(١) الفتاوى ١٢/ ٣٣٣

(٢) شرح السنة للالكائي ٢/ ٣٥٥

(٣) السير ١٢/ ٨٢

(٤) الاختلاف في اللفظ ص ٥٧." (١)

٣٥٦. "ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فصل١. مَنْشَأُ النِّزَاعِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى هَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ أَمْ كَلَامُهُ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَلَامُهُ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ. ثُمَّ انْقَسَمَ هَؤُلَاءِ أَرْبَعَ فِرَقٍ. قَالَتْ فِرْقَةٌ: هُوَ فَيْضٌ فَاضَ مِنْهُ بِوَاسِطَةِ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ عَلَى نَفْسٍ شَرِيفَةٍ فَتَكَلَّمَتْ بِهِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ سِينَا وَأَتْبَاعُهُ وَيَنْسُبُونَهُ إلَى أَرِسطُو. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: بَلْ هُوَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى هُوَ بِهِ مُتَكَلِّمٌ وَهُوَ قَوْلُ الْكُلَّابِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. وَانْقَسَمَ هَؤُلَاءِ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ قَالَتْ هُوَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ فِي أَنْفُسِهَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَخَبَرٌ وَاسْتِخْبَارٌ، وَمَعْنًى جَامِعٌ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: بَلْ هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ بِالْعَيْنِ لَا يَنْقَسِمُ وَلَا يَتَبَعَّضُ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: كَلَامُهُ هُوَ هَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ خَلَقَهَا خَارِجَةً عَنْ ذَاتِهِ فَصَارَ بِهَا مُتَكَلِّمًا، وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ تَلَقَّاهُ عَنْهُمْ أَهْلُ الِاعْتِزَالِ فَنُسِبَ إلَيْهِمْ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ كَلَامًا قَائِمًا بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ كَمَا يَقُومُ بِهِ سَائِرُ أَفْعَالِهِ لَكِنَّهُ حَادِثُ النَّوْعِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ صَارَ مُتَكَلِّمًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا كَمَا قَالَهُ مَنْ لَمْ نَصِفْهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ صَارَ فَاعِلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا. فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ فِي الْفِعْلِ الْمُتَّصِلِ كَقَوْلِ أُولَئِكَ فِي الْفِعْلِ الْمُنْفَصِلِ،

---

(١) مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري يوسف الحوشان ص/٢٢٧

وَهَذَا قَوْلُ الْكَرَّامِيَّةِ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ، وَكَلَامُهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ النَّاسُ كُلُّهُ حَقُّهُ وَبَاطِلُهُ وَصِدْقُهُ وَكَذِبُهُ كَمَا يَقُولُهُ طَوَائِفُ الِاتِّحَادِيَّةِ. وَقَالَ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَيَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَلَمْ تَتَحَدَّدْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ بَلْ كَوْنُهُ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُوَ بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ لَيْسَ مُتَّحِدًا بِهِمْ وَلَا حَالًّا فِيهِمْ. وَاخْتَلَفَتِ الْفِرَقُ هَلْ يُسْمَعُ كَلَامُ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لَا يُسْمَعُ كَلَامُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا تُسْمَعُ حِكَايَتُهُ وَالْعِبَارَةُ عَنْهُ، وَهَذَا قَوْلُ الْكُلَّابِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. وَقَالَتْ بَقِيَّةُ الطَّوَائِفِ: بَلْ يُسْمَعُ كَلَامُهُ حَقِيقَةً. ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: يَسْمَعُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا قَوْلُ الِاتِّحَادِيَّةِ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: بَلْ لَا يُسْمَعُ إِلَّا مِنْ غَيْرِهِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللَّهِ مِنْهُ، فَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ. وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: يُسْمَعُ

---

١ مختصر الصواعق من "٢/ ٣٢٩".." (١)

٣٥٧. "ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فصل١. مَنْشَأُ النِّزَاعِ بَيْنَ الطَّوَائِفِ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى هَلْ يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ أَمْ كَلَامُهُ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَلَامُهُ بِغَيْرِ مَشِيئَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ. ثُمَّ انْقَسَمَ هَؤُلَاءِ أَرْبَعَ فِرَقٍ. قَالَتْ فِرْقَةٌ: هُوَ فَيْضٌ فَاضَ مِنْهُ بِوَاسِطَةِ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ عَلَى نَفْسٍ شَرِيفَةٍ فَتَكَلَّمَتْ بِهِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ سِينَا وَأَتْبَاعُهُ وَيَنْسُبُونَهُ إِلَى أَرِسْطُو. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: بَلْ هُوَ مَعْنًى قَائِمٌ بِذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى هُوَ بِهِ مُتَكَلِّمٌ وَهُوَ قَوْلُ الْكُلَّابِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. وَانْقَسَمَ هَؤُلَاءِ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ قَالَتْ هُوَ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ فِي أَنْفُسِهَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَخَبَرٌ وَاسْتِخْبَارٌ، وَمَعْنًى جَامِعٌ لِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: بَلْ هُوَ مَعْنًى وَاحِدٌ بِالْعَيْنِ لَا يَنْقَسِمُ وَلَا يَتَبَعَّضُ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: كَلَامُهُ هُوَ هَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ خَلَقَهَا خَارِجَةً عَنْ ذَاتِهِ فَصَارَ بِهَا مُتَكَلِّمًا، وَهَذَا قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ تَلَقَّاهُ عَنْهُمْ أَهْلُ الِاعْتِزَالِ فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ كَلَامًا قَائِمًا بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ كَمَا يَقُومُ بِهِ سَائِرُ أَفْعَالِهِ لَكِنَّهُ حَادِثُ النَّوْعِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ صَارَ مُتَكَلِّمًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا كَمَا قَالَهُ مَنْ لَمْ نَصِفْهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ صَارَ فَاعِلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا. فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ فِي الْفِعْلِ الْمُتَّصِلِ كَقَوْلِ أُولَئِكَ فِي الْفِعْلِ الْمُنْفَصِلِ، وَهَذَا قَوْلُ الْكَرَّامِيَّةِ. وَفِرْقَةٌ قَالَتْ: يَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ، وَكَلَامُهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ النَّاسُ كُلُّهُ حَقُّهُ وَبَاطِلُهُ وَصِدْقُهُ وَكَذِبُهُ كَمَا يَقُولُهُ طَوَائِفُ الِاتِّحَادِيَّةِ. وَقَالَ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ سُبْحَانَهُ

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول ١/ ٣٨٠

مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ وَيَتَكَلَّمُ بِمَشِيئَتِهِ وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهُ هَذِهِ الصِّفَةُ بَلْ كَوْنُهُ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُوَ بَائِنٌ عَنْ خَلْقِهِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ لَيْسَ مُتَّحِدًا بِهِمْ وَلَا حَالًّا فِيهِمْ. وَاخْتَلَفَتِ الْفِرَقُ هَلْ يُسْمَعُ كَلَامُ اللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟ فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: لَا يُسْمَعُ كَلَامُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا تُسْمَعُ حِكَايَتُهُ وَالْعِبَارَةُ عَنْهُ، وَهَذَا قَوْلُ الْكُلَّابِيَّةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ. وَقَالَتْ بَقِيَّةُ الطَّوَائِفِ: بَلْ يُسْمَعُ كَلَامُهُ حَقِيقَةً. ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: يَسْمَعُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا قَوْلُ الِاتِّحَادِيَّةِ. وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: بَلْ لَا يُسْمَعُ إِلَّا مِنْ غَيْرِهِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ اللَّهِ مِنْهُ، فَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ. وَقَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ: يُسْمَعُ

---

١ مختصر الصواعق من "٢/ ٣٢٩".." (١)

٣٥٨. "فمثبتة الجوهر الفرد يقولون لا تستحيل حقيقة إلى حقيقة أخرى ولا تنقلب الأجناس بل الجواهر يغير الله عز وجل تركيبها وهي باقية والأكثرون يقولون باستحالة بعض الأجسام إلى بعض وانقلاب جنس إلى جنس وحقيقة إلى حقيقة كما تنقلب النطفة إلى علقة والعلقة إلى مضغة والمضغة عظاما وكما ينقلب الطين الذي خلق الله منه آدم لحما ودما وعظاما وكما تنقلب المادة التي تخلق منها الفاكهة ثمرا ونحو ذلك وهذا قول الفقهاء والأطباء وأكثر العقلاء

وكذلك ينبنى على هذا تماثل الأجسام فأولئك يقولون الأجسام مركبة من الجواهر وهي متماثلة فالأجسام متماثلة والأكثرون يقولون بل الأجسام مختلفة الحقائق وليست حقيقة التراب حقيقة النار ولا حقيقة النار حقيقة الهواء وهذه المسائل مسائل عقلية لبسطها موضع آخر والمقصود هنا بيان منشأ النزاع في مسمى الجسم

والنظار كلهم متفقون فيما أعلم على أن الجسم يشار إليه وإن اختلفوا في كونه مركبا من الأجزاء المنفردة أو من المادة والصورة أو لا من هذا ولا من هذا

منهاج السنة النبوية [جزء ٢ - صفحة ٥٣٣]

وقد تنازع العقلاء أيضا هل يمكن وجود موجود قائم بنفسه لا يشار إليه ولا يمكن أن يرى على ثلاثة أقوال فقيل لا يمكن ذلك بل هو ممتنع وقيل بل هو ممتنع في المحدثات الممكنة التي تقبل الوجود والعدم

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٣٨٠/١

دون الواجب وقيل بل ذلك ممكن في الممكن والواجب وهذا قول بعض الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الملل ما علمت به قائلا من أهل الملل إلا من أخذه عن هؤلاء الفلاسفة

ومثبتو ذلك يسمونها المجردات والمفارقات وأكثر العقلاء يقولون إنما وجود هذه في الأذهان لا في الأعيان وإنما يثبت من ذلك وجود نفس الإنسان التي تفارق بدنه وتتجرد عنه

وأما الملائكة التي أخبرت بها الرسل فالمتفلسفة المنتسبون إلى المسلمين يقولون هي العقول والنفوس المجردات وهي الجواهر العقلية." (١)

٣٥٩. "ثم منهم من يدعى أنها لا تعلم الجزئيات وإنما تعلم الكليات كما يذكر ذلك عن ابن سينا وغيره وكان أعظم ما اعتمدوا عليه من المعلومات ما لا ينقسم فالعلم به لا ينقسم لأن العلم مطابق للمعلوم

منهاج السنة النبوية [جزء ٢ - صفحة ٥٧٦]

فمحل العلم لا ينقسم لأن ما ينقسم لا يحل في منقسم

وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين بعض ما في هذا الكلام من الغلط مع أن هذا عندهم هو البرهان القاطع الذي لا يمكن نقضه وقواهم على ذلك أن بعض من عارضهم كأبي حامد والرازي لم يجيبوا عنه بجواب شاف بل أبو حامد قد يوافقهم على ذلك

ومنشأ النزاع إثبات ما لا ينقسم بالمعنى الذي أرادوه في الوجود الخارجي

فيقال لهم

لا نسلم أن في الوجود ما لا يتميز منه شيء عن شيء

فإذا قالوا

النقطة

قيل لهم

النقطة والخط والسطح الواحد والإثنان والثلاثة قد يراد بها هذه المقادير مجردة عن موصوفاتها وقد يراد بها ما اتصف بها من المقدرات في الخارج

فإذا أريد الأول فلا وجود لها إلا في الأذهان لا في الأعيان فليس في الخارج عدد مجرد عن المعدود ولا

---

(١) منهاج السنة النبوية - ابن تيمية ٥٦/٤

مقدار مجرد عن المقدر لا نقطة ولا خط ولا سطح ولا واحد ولا اثنان ولا ثلاثة بل الموجودات

منهاج السنة النبوية [جزء ٢ - صفحة ٥٧٧]
المعدودات كالدرهم والحبة والإنسان والمقدرات كالأرض التي لها طول وعرض وعمق فما من سطح إلا وله حقيقة يتميز بها عن غيره من السطوح كما يتميز التراب عن الماء وكا يتميز سطوح كل جسم عن سطوح الآخر
وإن قالوا
ما لا ينقسم هي العقول المجردة التي تثبتها الفلاسفة كان دون إثبات هذه خرط القتادة فلا يتحقق منها إلا ما يقدر في الأذهان لا ما يوجد في الأعيان
والملائكة التي وصفتها الرسل وأمروا بالإيمان بها بينها وبين هذه المجردات من أنواع الفرقان ما لا يخفى إلا على العميان كما قد بسط في غير هذا المكان
وإن أرادوا بما لا ينقسم واجب الوجود وقالوا إنه واحد لا ينقسم ولا يتجزأ
قيل." (١)

٣٦٠. ١-"المبحث السابع: مذهب السالمية

ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث إنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى: لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا بل هي مقترنة الباء من السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفات الحياة والسمع والبصر وجمهور العقلاء قالوا إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل والعجب إنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها ثم ذكر رحمه الله تعالى: قول أتباع الرسل وأطال على ذلك ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن وساق فيه كثيرا من كلام البخاري رحمه الله تعالى: في (صحيحه) وفي كتاب (خلق أفعال العباد) لأنه من أحسن الأئمة توضيحا وتفصيلا في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة

---

(١) منهاج السنة النبوية - ابن تيمية ٨٢/٤

في شأنها ثم ذكر الكلام على حروف المعجم وساق فيه أقوال الأئمة ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك والواقفة ثم ذكر فصلا في الكتابة له في الرق وغيره ثم فصلا في السماع ثم فصلا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابن كلاب، وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما، وفي غضون هذه الفصول أبحاث نفيسة لا يستغنى عنها فلتراجع منه.

ثم قال رحمه الله تعالى: فصل منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى: هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين فقالت طائفة كلامه بغير مشيئته واختياره ثم انقسم هؤلاء أربع فرق قالت فرقة هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو وفرقة قالت بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى: هو به متكلم وهو قول الكلابية ومن تبعهم وانقسم هؤلاء فرقتين فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار ومعنى جامع لهذه الأربعة وفرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض وفرقة قالت كلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلما وهذا قول المعتزلة وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيئته كلاما قائما بذاته سبحانه كما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع وعندهم أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل وهذا قول الكرامية وفرقة قالت يتكلم بمشيئته وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه كما يقوله طوائف الاتحادية.

وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتحدد له هذه الصفة بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه ليس متحدا بهم ولا حالا فيهم واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة فقالت فرقة لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما تسمع حكايته والعبارة عنه وهذا قول الكلابية ومن تبعهم وقالت بقية الطوائف بل يسمع كلامه حقيقة ثم اختلفوا فقالت فرقة يسمعه كل أحد من الله تعالى: وهذا قول الاتحادية وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره وعندهم أن موسى لم يسمع كلام الله منه فهذا قول الجهمية والمعتزلة وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبريل وغيرهما وكما يكلم عبده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبياء في الموقف ويسمع من المبلغ عنه

كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغا عنه وكما سمع الصحابة القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق قيل إن أردت المسموع عن الله تعالى: فهو كلامه غير مخلوق وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت فرق أربعة فرقة قالت يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه وهم المعتزلة وفرقة قالت يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالمية والاقترانية وفرقة قالت يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرامية، وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله تعالى: متكلما بصوت إذا شاء والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان أصحاب الفيض والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد الحكمي – ١/ ٤٨٨". (١)

٣٦١. ٢-"المطلب الثاني: هل الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء حقيقي أم لفظي؟
ومنشأ النزاع في ذلك أن هؤلاء المرجئة، مع قولهم بإخراج العمل من الإيمان، ونفي الزيادة والنقصان عنه، ومنع الاستثناء فيه، إلا أنهم كانوا (مع سائر أهل السنة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة، كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك. وعلى أنه لابد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وتاركها مستحق للذم والعقاب) (١).

ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى أن الخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف في الاسم واللفظ دون الحكم، وذهب آخرون إلى أنه خلاف حقيقي في الاسم واللفظ والحكم.

تحقيق قول شيخ الإسلام في هذه المسألة:

عزا بعض الباحثين إلى شيخ الإسلام أنه ممن يرى النزاع بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء نزاعا لفظيا، على ما هو المتبادر من بعض كلامه.

والتحقيق في ذلك أن شيخ الإسلام له عبارات متنوعة في تناول هذه المسألة:

١ – فتارة يقول عن الخلاف في الأعمال هل هي من الإيمان وفي الاستثناء ونحو ذلك: إن عامته نزاع لفظي.

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية ٣٩٢/٣

٢ – وتارة يقول: هذه البدعة أخف البدع فإن كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم (٢).

٣ – وتارة يشير إلى أن ذلك من بدع الأقوال والأفعال لا العقائد. قال: (ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من (مرجئة الفقهاء) بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال، لا من بدع العقائد؛ فإن كثيرا من النزاع فيها لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب. فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لاسيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي: لفتنتهم يعنى المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة) وذكر آثارا في ذم المرجئة (٣).

وهذه المواضع الثلاثة لا تعارض بينها، فإن فيها إقرارا بأن هذا النزاع منه ما هو حقيقي، ومنه ما هو لفظي وهو الغالب والأكثر (٤).

٤ – وتارة يبين شيخ الإسلام أن الخلاف إنما يكون لفظيا مع من أقر بأن أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، بحيث إذا انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وهذا يذكره في مواضع، ومع هذا فقد غفل كثير من الباحثين عن الإشارة إليه.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (١٣/ ٣٨) وما بعدها.

(٢) انظر هذين الموضعين في: ((مجموع الفتاوى)) (١٣/ ٣٨) وما بعدها.

(٣) ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٣٩٤).

(٤) لكنه صرح في موضع بأن هذا النزاع كثير منه معنوي، قال: (ثم بعد ذلك تنازع الناس في اسم المؤمن والإيمان نزاعا كثيرا، منه لفظي، وكثير منه معنوي، فإن أئمة الفقهاء لم ينازعوا في شيء مما ذكرناه من الأحكام، وان كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض، ولكن تنازعوا في الأسماء، كتنازعهم في الإيمان هل يزيد وينقص، وهل يستثنى فيه أم لا، وهل الأعمال من الإيمان أم لا، وهل الفاسق الملي مؤمن كامل الإيمان أم لا؟). ((مجموع الفتاوى)) (٧/ ٥٠٤) وما بعدها. وهذا يمكن حمله على عموم النزاع الواقع بين (الناس) في مسألة الإيمان، فيدخل في ذلك خلاف الجهمية والخوارج والمعتزلة،

ولاشك أن النزاع حينئذ يكون أكثره معنويا.". (١)

٣٦٢. ٣-"الإمساك عما شجر بين علي ومعاوية مع اعتقاد أن كون الحق والصواب مع علي

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [ونعلم مع ذلك أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله معه، لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)، وفي هذا الحديث دليل على أن مع كل طائفة حق، وأن عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق]

يقول المؤلف رحمه الله: بأن الخلاف والنزاع الذي حصل بين أهل العراق وهم علي رضي الله عنه ومن معه، وبين أهل الشام وهم معاوية ومن معه، بأن الحروب التي حصلت بينهم كانت عن اجتهاد منهم فيها، فهم مجتهدون فمنهم المصيب له أجران ومنهم المخطئ له أجر، ونعلم أن عليا رضي الله عنه أفضل من معاوية وأقرب إلى الحق منه وممن قاتله معه، والدليل على أنه أقرب إلى الحق: قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين)، فقوله: تمرق بمعنى: تخرج عن الدين، وهم الخوارج، قال: (تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)، وكان علي هو من قتلهم فصار أقرب إلى الحق من معاوية.

يقول المؤلف: (وفي هذا الحديث دليل على أن مع كل طائفة حق وأن عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق).

والحديث فيه دليل على أن معاوية معه حق وكذلك علي رضي الله عنهما، لكن الأقرب إلى الحق هو علي رضي الله عنه، ومما يدل على ذلك أيضا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لـ عمار: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية)، فقتله جيش معاوية، فدل على أن معاوية ومن معه بغاة، لكن لا يعلمون أنهم بغاة، وذلك أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه بويع بالخلافة من قبل أهل الحل والعقد، فامتنع معاوية وأهل الشام من البيعة، فتكلم بعضهم مع معاوية وقال بأنه يجب عليكم أن تبايعوا، وقد ثبتت البيعة لـ علي فلماذا لا تبايعون؟ فامتنع معاوية وأهل الشام، وقالوا: لا نبايع أحدا مع أننا نعتقد أنك أولى بالخلافة منا، لكن يجب عليك تسليم قتلة عثمان الذين قتلوه حتى نقتلهم، لأن معاوية أقرب الناس إليه، ونخشى أن يزيد طغيانهم وشرهم، فقال علي رضي الله عنه: أنا أوافقكم على ذلك، لكني

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية ٤٧١/٥

لا أستطيع أن أسلمكم قتلته الآن، فلا أعرف من الذي قتل عثمان؛ لأنه مندس لا يعرف، وحتى لو عرف فإن قبيلته تنتصر له فالأمر شديد جدا، فإذا استتب الأمر فإننا نأخذ قتلة عثمان ونقتلهم، فقال أهل الشام: بل أعطونا قتلة عثمان الآن، ومن هنا حصل الخلاف، وهذه أسبابه.

فلما رأى علي رضي الله عنه أنهم لم يبايعوه أراد أن يخضعهم بالقوة ولابد من قتالهم، فانضم إلى علي أكثر الصحابة معتقدين أنه على الحق وأن أهل الشام بغاة يجب إخضاعهم؛ عملا بقول الله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات:٩]، فانضم جماهير الصحابة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بهذه الآية، وقالوا: بأن أهل الشام بغاة، والله أمرنا أن نقاتل البغاة إذا لم يفيئوا إلى أمر الله، فلما لم يبايعوا قاتلهم علي رضي الله عنه، فدافعوا عن أنفسهم وهذا سبب الخلاف.

ولم ير علي رضي الله عنه أن معاوية وأهل الشام من المؤلفة قلوبهم، فلم يستقر الإسلام في قلوبهم بعد -والمؤلفة قلوبهم: هم الذين دخلوا الإسلام من قريب- وكان معاوية بن أبي سفيان ممن دخل في الإسلام من قديم، فليسوا من المؤلفة قلوبهم، فلم يبق إلا القتال فقاتلوهم، وهذا هو الصواب.

فكان الصواب مع علي رضي الله عنه، وكان أهل الشام ومعاوية متأولين، فقالوا: نحن لا نمانع ولا نطالب بالخلافة، وإنما نطالب بدم عثمان لأننا أولياؤه، فأعطونا القتلة ثم نبايع بعد ذلك.

ويرى علي رضي الله عنه أنه الخليفة الراشد الذي تمت له البيعة فيجب إخضاعهم له، وأما مطالبتهم بالدم فيكون بعد ذلك، فهذا هو بداية منشأ النزاع.

وهذا معنى قول المؤلف رحمه الله: (ونعلم أن عليا كان أفضل وأقرب إلى الحق).". (١)

"

(١) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي ٥/١٠